الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة تيسمسيلت

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

مطبوعة بيداغوجية في مادة :

دراسات استشراقية

موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر – تخصص أدب عربي قديم (السداسي الأول)

من إعداد : الأستاذة بغالية هاجر

السنة الجامعية : 2022 /2023

الفهرس :

وصف المادة.....01

مقدمة 02

المحاضرة الأولى : مدخل إلى الاستشراق (الجزء 01).....03

المحاضرة الثانية : مدخل إلى الاستشراق (الجزء 02) 16

المحاضرة الثالثة : مدخل إلى الاستشراق (الجزء 03).....**31**

المحاضرة الرابعة : ميادين الدراسات الاستشراقية.....48

المحاضرة الخامسة : الدراسات الاستشراقية في حقل الأدب العربي القديم (دراسات تاريخية نصوصية – الشعر العربي و صحة الشعر الجاهلي) الجزء 01.....**60**

المحاضرة السادسة : الدراسات الاستشراقية في حقل الأدب العربي القديم(دراسات تاريخية نصوصية – الشعر العربي و صحة الشعر الجاهلي) الجزء 02.....**74**

المحاضرة السابعة : الدراسات الاستشراقية في حقل الأدب العربي القديم (دراسات اجتماعية أنثروبولوجية) الجزء 01.....**90**

المحاضرة الثامنة : الدراسات الاستشراقية في حقل الأدب العربي القديم (دراسات اجتماعية أنثروبولوجية) الجزء02.....**106**

المحاضرة التاسعة : الدراسات الاستشراقية في حقل الأدب العربي القديم (دراسات فنية جمالية).....**120**

المحاضرة العاشرة : الدراسات الاستشراقية في حقل الأدب العربي القديم(دراسات سيرية بيوغرافية – الجزء 01 -).....**132**

المحاضرة 11 : الدراسات الاستشراقية في حقل الأدب العربي القديم(دراسات سيرية بيوغرافية - الجزء 02 -).....155

المحاضرة 12 : تفاعل الباحثين العرب مع الدراسات الاستشراقية :في إطار الترجمة - في إطار النقد - في إطار التتلمذ.....160

خاتمة 181

قائمة المراجع 182

وصف المادة : [1]

اسم المقياس	دراسات استشراقية
الفئة المستهدفة	طلبة السنة أولى ماستر – تخصص أدب عربي قديم
أهداف المادة	- تعريف الطالب بمفهوم الاستشراق عامة ، و دلالته في حقل الدراسات اللغوية و الأدبية خاصة . - أن يتبين الطالب خلفيات تلقي الأدب العربي القديم لدى المستشرقين خاصة . - قيام الطالب بفحص و تحليل نماذج من الدراسات و يحكم على وجاهتها .
البرنامج المفصل للمادة	- مدخل إلى الاستشراق . - ميادين الدراسات الاستشراقية . - الدراسات الاستشراقية في حقل الأدب العربي القديم : دراسات تاريخية نصوصية (نشأة الشعر العربي ، صحة الشعر الجاهلي) ، دراسات اجتماعية أنثروبولوجية ، دراسات فنية جمالية (الموسيقى و الصورة الفنية ، دراسات سيرية بيوغرافية . - تفاعل الباحثين العرب مع الدراسات الاستشراقية : في إطار الترجمة ، في إطار النقد ، في إطار التتلمذ .
طريقة التقييم	مراقبة مستمرة ، امتحان .

[1] عرض تكوين ماستر أكاديمي ، جامعة " تيسمسيلت " ، 2016 / 2017

مقدمة :

المطبوعة البيداغوجية **" دراسات استشراقية "** هي عبارة عن سلسلة من المحاضرات الموجهة لطلبة السنة الأولى ماستر- تخصص أدب عربي قديم- ضمن نظام (ل. م. د) على مدار السداسي الأول . تم تدريسها لسنوات متتالية ؛ و هي ثمرة جهد بحثي في مؤلفات الاستشراق و الأدب العربي سواء تعلق الأمر بالقديم منها (كلاسيكيات التخصص) أو المحدث (المقالات العلمية الصادرة حديثا) ، و هي مناسبة للمستوى التعليمي للفئة المستهدفة ؛ إذ يكون متوقعا منهم اكتساب جملة من العمليات المعرفية القبيلة أهمها الإدراك و القدرة على التحليل و النقد، و تظهر هذه الكفاءات بنسب و مستويات متفاوتة بين الطلبة خاصة في حصص الأعمال الموجهة ، أين يتعين عليهم اختيار نص من النصوص الأدبية ذات الصبغة الاستشراقية و الوقوف على مختلف أبعادها سواء التاريخية ، الجمالية و الفنية ، الاجتماعية أو البيوغرافية ، و إبداء رأي مختلف العلماء المحليين و الأجانب فيها ، مع التركيز على وجهة النظر الشخصية للمتعلم و تحفيزه على النقد الموضوعي بناء على الأسس العلمية و المنهجية ، خاصة إذا علمنا أن موضوع الاستشراق و الدراسات الاستشراقية هو قضية ينبغي التعامل معها بقدر كبير من الحذر و توعية الطلبة بضرورة تجاوز الانقياد وراء عاطفتهم أثناء قيامهم بعملية النقد ، و إلا سيضيع عليهم ذلك فرصة النهل و الإطلاع على المعارف التي تدخل ضمن تكوينهم .

و بناء على ما نص عليه عرض تكوين الماستر الأكاديمي لجامعة " تيسمسيلت " (2016 / 2017) فيما يتعلق بمادة " دراسات استشراقية " ، فإن هذه المطبوعة البيداغوجية تتضمن مجموعة من المحاور هي كالتالي :

أولا : مدخل إلى الاستشراق .

ثانيا : ميادين الدراسات الاستشراقية .

ثالثا :الدراسات الاستشراقية في حقل الأدب العربي القديم : دراسات تاريخية نصوصية (نشأة الشعر العربي ، صحة الشعر الجاهلي) ، دراسات اجتماعية أنثروبولوجية ، دراسات فنية جمالية (الموسيقى و الصورة الفنية ، دراسات سيرية بيوغرافية .

رابعا : تفاعل الباحثين العرب مع الدراسات الاستشراقية : في إطار الترجمة ، في إطار النقد ، في إطار التتلمذ .

و الله ولي التوفيق – د. بغالية هاجر .

المحاضرة الأولى : مدخل إلى الاستشراق (الجزء 01)

المحاضرة الأولى : مدخل إلى الاستشراق (الجزء 01)

مقدمة :

يعتبر الاستشراق من بين المواضيع الحساسة و المعقدة بالنسبة لكثير من الباحثين على اختلاف تخصصاتهم ، و ذلك راجع إلى الصبغة الاستعمارية للبحث الاستشراقي و خلفيته التاريخية ، و مع ذلك لا يمكن التغاضي عن ما قدمه المستشرقون من دراسات خاصة في حقل اللغة و الأدب العربي سواء تعلق الأمر بالتأليف أو الترجمة أو التحقيق و النشر ... الخ ، و من خلال هذه المحاضرة سنتعرف على مفهوم الاستشراق و المستشرقين و أصنافهم و أهم دوافعهم للإقبال على الجانب المقابل للعالم الغربي بالتقصي و سبر كل ما يتعلق به من تفاصيل ، مع ذكر وسائلهم و مناهجهم في ذلك مع التركيز على المحطات التاريخية لتطور الاستشراق .

1 - في مفهوم الاستشراق :

1 – 1 - تعريف الاستشراق لغة :

الاستشراق كلمة مركبة وإضافة":أ، س،ت "والتي تعني في قواعد اللغة العربية طلب الشيء فالاستشراق إذن طلب الشرق، وفي هذا يقول "عبد المتعال محمد الجيري" أن الاستشراق هو دراسة الشرق من حيث الأشخاص والهيئات والتيارات الفكرية والمذهبية في شتى صورها وأنواعها " [1].

والشرق كما جاء على لسان العرب ل "ابن منظور" في مادة شرق أن لفظة الاستشراق من الفعل الثلاثي شرق ، إذ نقول أشرقت الأرض إذ أنارت بإشراق الشمس ، [2] وفي المعجم الوسيط" إن كلمة شرق أخذ بناحية الشرق تقابل الشمس شرقا وشروقا، إذ طلعت من الشرق " . [3]

وهو مشتق من مادة "شرق" عكس الغرب.إن الاستشراق معناه بالإنجليزية (Orientalism) ومنه مشرق الشمس، فمعنى الاستشراق لغة :طلب الشرق . [4]

لغة :نقول تشرق، صار مستشرقا .استشرق :صار مستشرقا، اهتم بالدراسات الشرقية ..استشراق :اتجاه الغربيين نحو الاهتمام بتراث الشرق وحضاراته ولغاته .مستشرق :جمع مستشرقون :أديب غربي يهتم

---

[1] عبد المتعال الجيري : **الاستشراق وجه الاستعمار الفكري** ، مطبعة المدني ، القاهرة الطبعة الأولى ، 1995 ، ص 13

[2] ابن منظور : **لسان العرب** ، المجلد الخامس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2005 ، ص 914

[3] إبراهيم مصطفى و آخرون – ترجمة مجمع اللغة العربية ، ج 01 : **المعجم الوسيط** ، دار الدعوة ، بدون طبعة ، بدون تاريخ ، مادة شرق ص 469

[4] -الزبادي :د .محمد فتح الله : **ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها**، المنشأة العامة للنشر و التوزيع و الإعلان ، طرابلس ، 1984 ص 55

بدرس تراث الشرق وحضاراته ولغاته .وبالنظر في لفظة "استشراق "نجدها مصوغة على وزن استفعال، وهي مأخوذة من كلمة شرق، ثم أضيف إليها ثلاثة حروف هي الألف والسين والتاء، ومعناها طلب الشرق .وليس طلب الشرق سوى طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه .جاء في المعجم الوسيط : شرقت الشمس شرقاً وشروقاً إذا طلعت.

وفي لسان العرب: " شرق" :شرقت الشمس تشرق شروقا وشرقاً :طلعت، واسم الموضع :المشرق . والتشريق :الأخذ في ناحية المشرق، يقال :شتان بين مشرق ومغرب، و شرقوا ذهبوا إلى الشرق، وكلّ ما طلع من المشرق فقد شرق، وفي الحديث" :لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أوغربوا ".

أما في المعجم اللاتيني، فثمة تعريف آخر يدلّ أن المقصود بالشرق ليس الشرق الجغرافي وإّنما الشرق المقترن بمعنى الشروق والضياء والّنور والهداية .ويرى البعض أن كلمة "استشراق" لا ترتبط فقط بالمشرق الجغرافي، وإّنما تعني أن الشرق هو مشرق الشمس ،ولهذا دلالة معنوية بمعنى الشروق والضياء والّنور بعكس الغروب بمعنى الأفول والانتهاء في الدراسات الأوروبية إلى منطقة الشرق المقصودة ، "كما يدل القصد المعنوي على الصباح، ومعروف أن الصباح تشرق فيه الشمس، وتدلّ هذه الكلمة على تحول من المدلول الجغرافي الفلكي إلى التركيز على معنى الصباح الذي يتضمن معنى الّنور وتعني بلاد اليقظة على عكس الظلام .[5]

كلمة استشراق مشتقة من الشرق . [6] أما الحروف الزائدة في الكلمة الألف و السين و التاء فهي حروف تدل في مجموعها على الطلب .[7] و كلمة شرق تعني :مشرق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو : علم الشرق، أو علم العالم الشرقي. [8]

استشرق من الفعل" شرق "يقال :شرقت الشمس أي طلعت، واسم الموضع المشرق، والشرق :المشرق والجمع إشراق، والتشريق الأخذ في ناحية المشرق، يقال :شتان بين مشرق ومغرب، وكل ما طلع من

[5] محمد فوزي المهاجر : **دور الاستشراق في صياغة موقف الكنيسة من الإسلام االمجمع الفاتيكاني الثاني أنموذجا** ، ص 907 ، 908

[6] محمد عوني عبد الرؤوف : **جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة** ، المجلس الأعلى الثقافي ، القاهرة ، الطبعة الأولى 2004 ، ص 03

[7] محمد فتح الله الزيادي : **الاستشراق أهدافه ووسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون** ، دار قتيبة ، 2002 ، ص 17

[8] رودي بارت- ترجمة مصطفى ماهر : **الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية -المستشرقون الألمان منذ تيودور(نولدكه** المركز القومي للترجمة ، مصر، 2011 ، ص 17.

المشرق فهو شرق[9] واستشرق :أي طلب دراسة ما يتعلق بالشرق، فالألف والسين والتاء في أي فعل تدل على الطلب كاستغفر أي طلب المغفرة . [10]

ومن هنا تدل كلمة الاستشراق على علم الشرق، والاهتمام بما يحتوي عليه الشرق من علوم ومعارف وثقافات وميزات وسمات حضارية متنوعة .فالمستشرق هو الإنسان الذي وهب نفسه للبحث والاهتمام بما يتعلق بالشرق، وما يدور فيه من علوم ومعارف، وقيم وحضارات، وفى مجالات مختلفة. [11]

1 – 2 - الاستشراق اصطلاحا :

إن الحديث عن الاستشراق كظاهرة تمكنت من فرض ثقافتها على العالم العربي ، باعتباره عالما لم يتمكن من محاورة تراثه،ولم يتمكن من التحاور مع ثقافته المعاصرة. وأمام هذا الفراغ المعرفي وجد الاستشراق منبرا يمرر من خلاله خطابه الاستشراقي ، مستخدما في ذلك أرقى أدوات المناهج الحديثة ،ليتمكن من ضمان استمرار يته في هندسة الفكر العربي . [12]

إن مصطلح الاستشراق و إن اختلفت الآراء في تحديد مفهومه هو مصطلح حديث الظهور إذا قورن بوجوده كنتيجة لتفاعل و احتكاك الشرق و الغرب لظروف تاريخية و عوامل و جغرافية ، ذلك أنه لم يتداول إلا في مطلع القرن 19 ، و هو ترجمة ل "Orientalis " التي ظهرت في بريطانيا عام 1911م، و للمصطلح الفرنسي " Orientalisme " التي عرفته عام 1830م قبل أن يدرج رسميا في قاموس الأكاديمية الفرنسية سنة 1883م . [13]

اختلف الباحثون كثيرا في تعريف الاستشراق والمستشرق، وذلك لاختلافهم في تحديد معنى الشرق . ولعل أحسن تفسير لكلمتي الشرق والغرب حضاريا، ما ذكره أحد الباحثين حين قال: أما الغرب فهو اصطلاح حديث جرينا فيه على ما اصطلح عليه الأروبيون في عصور الاستعمار من تقسيم العالم إلى شرق وغرب .ويعنون بالغرب أنفسهم، ويقصدون بالشرق أهل آسيا و إفريقيا، الذين كانوا موضع استعبادهم واستغلالهم واستعمارهم، وجرينا نحن على هذا الاستعمال .لكن الكلمة وإن كانت حديثة اصطلاحا واستعمالا فهي قديمة في مفهومها ودلالتها .فقد كانت في العالم منذ زمن قديم قوتان

---

[9] زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا ، الطبعة الخامسة 1999 ، ص336 و : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي : **القاموس المحيط** مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة الثامنة ، 2005 ، ص 3

[10] ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، مكتبة الخانجي للطباعة و النشر و التوزيع ، بدون بلد النشر ، الطبعة الأولى ، 1998 ، ص 03

[11] زقزوق محمود حمدي: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، سلسلة آتاب الأمة ، الكويت،1404ه الطبعة الأولى ، ص 18

[12] بن لباد الغالي : **الاستشراق نقطة اتصال الشمال والجنوب** ، مجلة الإنسان و المجتمع ، العدد 02 ، ديسمبر 2011 ، ص 130

[13] الطيب بن إبراهيم : **الاستشراق الفرنسي و تعدد مهامه خاصة في الجزائر** ، دار المنابع ، الجزائر ، بدون طبعة ، 2004 ، ص 28

متصارعتان :إحداهما في الشرق والأخرى في الغرب ويمثل ذلك في الصراع بين الفرس والروم، ثم في الصراع بين المسلمين والروم، ثم في الصراع بين المسلمين والصليبيين، ثم في الصراع بين العثمانيين والأوربيين مدا وجزراً ، ثم كان آخر فصول هذه الملحمة العلاقات والصلات بين الشرق ممثلا في آسيا وإفريقيا، وبين الغرب ممثلا في أوربا وأمريكا. [14]

هو تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة ، معبرا عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما . [15]

الاستشراق هو علم العالم الشرقي، وهو ذو معنيين: عام ويطلق على كل غربي يشتغل بدراسة الشرق كله، في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه، ومعنى خاص وهو الدراسة الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وتاريخه وعقائده . [16]

الاستشراق هو أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي و المعرفي بين ما يسمى " الشرق " و بين ما يسمى " الغرب " . [17]

يعني الاستشراق تصدي علماء غير المسلمين -سواء أكانوا من الشرق أم من الغرب -لدراسة علوم المسلمين و حضارتهم و معتقداتهم و آدابهم وتقاليد شعوبهم و عاداتهم وآثارهم . [18]

يعد الاستشراق عند كثير من الباحثين الوجه الأكاديمي أو المدون للسياسة الاستعمارية في الشرق الأوسط، ويؤخذ عادة بمعان متداخلة ومتكاملة، ولعل أهم معنى للكلمة هو المعنى الأكاديمي، حيث تطلق كلمة مستشرق على كل من يتخصص في أحد فروع المعرفة المتصلة بالشرق من قريب أو بعيد . [19]

---

[14] محمد فتح الله الزيادي : **ظاهرة انتشار الإسلام و موقف المستشرقين منها** ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس – ليبيا ، بدون طبعة ، 1983 ، ص 57 – 58 و محمد محمد حسين : **الإسلام و الحضارة الغربية** ، دار الإرشاد ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1969 ، ص 11

[15] مانع بن حماد الجهني : **الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب و الأحزاب المعاصرة** ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، دار الندزة الطبعة الرابعة ، 1420 ه ص 687

[16] محمود حمدي زقزوق: **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، مرجع سبق ذكره ، ص 41

[17] تركي بن خالد الظفيري : **الاستشراق عند إدوارد سعيد رؤية إسلامية** ، مركز التأصيل للدراسات و البحوث ،المملكة العربية السعودية الطبعة الثانية ، 2015 ، ص 83

[18] :محمد الأسعد : **مستشرقون في علم الآثار** ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، بدون طبعة ، 2010 ، ص246

[19] -عامر رشيد مبيض: **موسوعة الثقافة السياسية الاجتماعية الاقتصادية العسكرية، مصطلحات ومفاهيم**، دار المعارف، سوريا ، بدون طبعة 2000، ص 68.

وعرفه بعض الباحثين بأنه" : دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون- من أهل الكتاب بوجه خاص -للإسلام والمسلمين، من شتى الجوانب :عقيدة، وشريعة، وثقافة، وحضارة، وتاريخاً، ونظماً، وثروات، وإمكانات بهدف تشويه الإسلام، ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي . [20]

ويذهب **" عبد المنعم فؤاد "** إلى تعريف الاستشراق بقوله: " وأرى أن القول الأدق إن الاستشراق هو : دراسات أكاديمية يقوم بها غير المسلمين من غير العرب سواء من الشرق أو الغرب للإسلام عقيدة وشريعة ولغة وحضارة بقصد التشكيك في هذا الدين القويم وإبعاد الناس عنه " . [21]

و يعرف **"محمود حمدي زقزوق"** الاستشراق بأنه علم الشرق أو علم العالم الشرقي، و كلمة "'مستشرق" بالمعنى العام تطلق على آل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق ؛ أقصاه ووسطه وأدناه، فى لغاته وآدابه وحضارته وأديانه .ولكننا هنا لا نقصد هذا المفهوم الواسع، وإنما ما يعنينا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الاسشراق الذي يعنى الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده و تشريعاته وحضارته بوجه عام .وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الإسلامي عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق[22]' .

عرفه **" ادوارد سعيد "** بأنه فرع من فروع المعرفة الذي تناول به الشرق – و به يتناول –بطريقة منظمة من حيث هو موضوع للتعلم و الاكتشاف و التطبيق . [23] وقال في موضع آخر : الاستشراق قراءة الشرق بنطق سلطوي ويؤسس للتمييز بين نمط المعرفة الغربية التي توصف دائما بالعقلانية،وبين الثقافة الشرقية التي بدت في كل التقريرات الاستشراقية عنوانا لنمط التفكير الأسطوري ، و نموذجا لعقل لا يمتلك الربط بين البرهان ، وبين المقدمات و النتائج .

و في موضع آخر يقول : أنه أسلوب غربي للهيمنة على الشرق، وإعادة صياغته وتشكيله وممارسة السلطة عليه. [24]

يقول **"أحمد حسن الزيات"** : يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره، ولكنه في العصور الوسيطة كان يقصد به دراسةالعبرية لصلتها

---

[20] -أحمد غراب **: رؤية إسلامية للإستشراق** ، المنتدى الإسلامي ،لندن ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ ، ص 02

[21] عبد المنعم فؤاد : **من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام** ، مكتبة العبيكان ،الرياض ، الطبعة الأولى ، 2001 ، ص 18

[22] 1983 شكري النجار: **لم الاهتمام بالاستشراق** ، مجلة الفكر العربي، العدد31 ، 1983 ، ص 02

[23] إدوارد سعيد – ترجمة كمال أبو ديب : **الاستشراق – المعرفة – السلطة** ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت– الطبعة الخامسة 2003

- [24] أحمد غراب **: رؤية إسلامية للإستشراق** ، مرجع سبق ذكره ، ص 08

بالدين، ودراسة العربية لصلتها بالعلم، إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغمورا بما تشعه منائر بغداد والقاهرة من أضواء المدنية والعلم؛ كان الغرب من بحره إلى محيطه يعمه في غياهب من الجهل الكثيف والبربرية الجموح. [25]

الاستشراق دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون من أهل الكتاب للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب : عقيدة، وثقافة، وشريعة، وتاريخً، ونظمً، وثروات، وإمكانيات بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق السلمي". [26]

إن الاستشراق خطاب أو إنشاء ، لكنه خطاب لا يعكس حقائق أو وقائع ، بل يصور تمثلات أو ألوانا من التمثيل ، حيث تتخفى القوة و المؤسسة و المصلحة ، إنه خلق جديد للآخر أو إعادة إنتاج له على صعيد التصور و التمثيل مما يجعل من الاستشراق - موضوع معرفة – بينما يظل موضوعه الذي هو " الشرق " موضوع واقع لا تربطه به صلة تطابق أو انعكاس . [27]

والاستشراق حركة تبدو علمية في ظاهرها، وهو تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقيين، شعوبهم، وتاريخهم، ...وكل ما يتعلق بهم، والمستشرقون جماعة من الغرب هدفهم الأساسي دراسة الإسلام والشعوب الإسلامية لخدمة أغراض التبشير من جهة، وخدمة أغراض الاستعمار الغربي لبلدان المسلمين من جهة أخرى، ولإعداد الدراسات اللازمة لمحاربة الإسلام . [28] ففي الواقع، نجد أنّ المستشرقين اشتغلوا على المدوّنة التراثيّة من وجهة نظر خارجية من حيث الانتماء الإثنّي، واللغويّ... أيْ من زاوية الناظر، والمتأمّل. [29]

فالبحث الاستشراقي يسعى للهجوم على التراث العربيّ والإسلاميّ والثّقافة الإسلاميّة ،ومن ثمةّ الإسراف في تبديل الحقائق، وفي تزييف ما هو ثابت، وفي إعادة كتابة تاريخيّة تحتكم إلى المزاج، وهي إلى

---

[25] حنا الفاخوري : **تاريخ الأدب العري** ، المكتبة البولسية ، لبنان ، الطبعة 12 ، 1987 ، ص 512

[26] -أحمد غراب **: رؤية إسلامية للإستشراق** ، ص 09

[27] سالم يفوت : **حفريات الاستشراق في نقد العقل الاستشراقي** ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1986 ص 08

[28] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: **أجنحة المكر الثلاثة**، دار القلم - دمشق الطبعة الثامنة ، 2000 ، ص 53 ، وعبد المنعم محمد حسنين **الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته**، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، - العدد الثاني ، 1977 ، ص 79

[29] محمد بسناسي : **الدراسة الاستشراقيّة بين الأمس واليوم** ، مجلة دراسات استشراقية ، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، العدد 09 2016 ، ص 56

سلطان الأهواء أقرب .والدّافع الحقيقيّ للرؤيّة السلبيّة الاستشراقيّة، يتمثّل في تقزيم الفتوحات العلميّة والمعرفيّة والحضاريّة للثّقافة العربية. [30]

فقد انشغل الإستشراق الحديث بكل النواحي المعرفية الإسلامية، وذلك بغرض الإفادة من هذه المعارف حينا لطبيعة الحاجة إليها لظروف تاريخية مرّ بها الغرب كالحربين العالميتين، ولأهداف معرفية لم تنفصل عن الصراع الثقافي القديم المتجدد بين الإسلام والغرب حينا آخر. ومما تميز به الدرس الإستشراقي في العصر الحديث محاولة ربطه النصوص والمعارف الإسلامية بالمنظومة الغربية؛ فكما حاول ربط النص القرآني بغيره من نصوص الكتاب المقدس، وربط الفقه الإسلامي بالقانون الروماني، حاول كذلك ربط الفلسفة الإسلامية بالفلسفة اليونانية، مدعيا عدم وجود فلسفة إسلامية أصلا. [31]

و يخطئ من يعتقد أن كتابات المستشرقين على اختلاف ألسنتهم إنّما تكتب على سبيل القصد إلى المتلقي العربي، فلم يطمح يوما أي مستشرق أن تحمل أعماله توجها أو تعليما لأبناء المسلمين، فقصارى ما رامه هؤلاء أن يقدموا تماثلات هذه الثقافة إلى أقوامهم، ولكن حدث عندنا أن أصبحت كتبهم التي نفخوا فيها كثيرا من سمومهم، مرجعا لعلماء وأدباء الأمة، يعتمدون عليها، وموئلا يذوذون عنه، ومنبعا يرتوون منه، فحاولوا بذلك إقامة أعمدة هذا الصرح على إنتاج هؤلاء المستشرقين، فسقطوا وأردفوا معهم أجيالا مازالت تشعر بالضياع والأكثر منه الاستلاب الحضاري . [32]

و حاول الغرب في هذا المسار توخي الحيطة و الدقة و لم يكن عشوائيا أو مجرد آراء أطلقها بدون هدف وجهها إلى عمق الفكر الإسلامي ، حتى تضعف كيان الأمة الإسلامية معتمدا على مناهج تجريبية و مخابر علمية و نظريات دقيقة و لم يعد المثقف العربي في القرن الثامن عشر و التاسع عشر يتعامل مع الخطابات الجارحة للإسلام أو الرسول ، إنما أصبح يتعامل مع حقيقة استعمارية ، و انشغلت الأمة العربية من مرحلة الصدام المعرفي إلى مرحلة الصدام الجغرافي[33]. ومن الأكيد أن منبع اهتمام المستشرقين بتجليات الثقافة العربية الإسلامية أن" الشرق "وهو يشمل الشرق والغرب الإسلاميين ليس

[30] مالك بن نبي: **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث**، ، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، الطبعة الأولى 1969 ، ص 10

[31] مرزوق العمري : **موقف الإستشراق من أصالة الفلسفة الإسلامية** ، مجلة الإنسان و المجتمع ، العدد 02 ، ديسمبر 2011 ، ص 31

[32] عبد القادر بن عزة : **الاستشراق مصنع إمداد فكري لمواد الغزو الثقافي** ، مجلة الإنسان و المجتمع ، العدد 02 ، ديسمبر 2011 ، ص 147

[33] نجيب العقيقي : **المستشرقون**، دار المعارف ، القاهرة، بدون طبعة ، 1965 ، ص 149

لصيقا بأوروبا وحسب، بل إنه كذلك موضع أعظم مستعمرات أوروبا وأغناها وأقدمها ومصدر حضاراتها و لغاتها ومنافسها الثقافي[34].

و يشير **"أحمد درويش "** إلى خطر الاستشراق و المستشرقين بقوله : فلما أرادت معظم دول الغرب عقد الصلات السياسية بدول الشرق و الاغتراف من تراثه ، و الانتفاع بثرواته ، و التزاحم على استعماره أحسنت كل دولة إلى مستشرقيها فضمهم ملوكها إلى حاشياتهم أمناء أسرار ، و انتدبوهم للعمل في سلكي الجيش و الدبلوماسية إلى بلدان الشرق ، وولوهم كراسي اللغات الشرقية في كبرى الجامعات و المدارس الخاصة و المكتبات العامة ، و المطابع الوطنية و أجزلوا عطائهم في الحل و الترحال و منحوهم ألقاب الشرف و عضوية المجامع العلمية . [35] فقدموا معلومات موسعة ومفصلة عن الدول التي رغبت الدول الغربية في استعمارها والاستيلاء على ثرواتها وخيراتها. **[36]** على اعتبار أن الغرب قد افترض في القرنين 19 و 20 أن الشرق و كل ما فيه يحتاج إلى دراسة تصحيحية من جانب الغرب . [37] و يعترف المستشرقون أنفسهم بعنايتهم بهذه الفئة من العلماء ، حيث يؤكد **"رودي بارت"** : أن الاستشراق في ألمانيا وغيرها من البلدان الأوربية مادة علمية معترف بها من الجميع فقد تم له ذلك الاعتراف وتوشك هذه المادة أن تكون ممثلة في كل جامعة من الجامعات بكرسي رسمي يشغله أستاذ . ثم هناك عدد كبير من وظائف المدرسين والمعيدين في تخصص الاستشراق إلى جانب الأساتذة . كما إن المجتمع الأوربي ممثلاً في الحكومات والمجالس النيابية يضع تحت تصرف المستشرقين الإمكانات اللازمة لإجراء بحوث الاستشراق وللحفاظ على نشاطهم التعليمي في هذا المضمار . [38]

2 - تعريف المستشرق:

حدود الاستشراق هي الدراسات الشرقية بوجه عام، وعلى ذلك فكلمة " مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل عالِم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله :أقصاه ووسطه وأدناه، في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه. [39]

---

[34] إدوارد سعيد - ترجمة كمال أبو ذيب ، مرجع سبق ذكره ، ص29

[35] نجيب العقيقي : **المستشرقون** ، مرجع سبق ذكره ، ص 149

[36] محمود محمد شاكر: **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، بدون طبعة 1997 ، ص 180

[37] إدوارد سعيد – ترجمة محمد عناني : **الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق** ، رؤية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2006 ، ص 97

[38] عبد القهار داود العاني : **الاستشراق والدراسات الاسلامية** ، دار الفرقان ، عمان ، بدون طبعة ، 2001

[39] محمود حمدي زقزوق: **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، مرجع سبق ذكره ، ص 22

ويحدد **"مالك بن نبي"** مصطلح المستشرق بقوله : إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية . وأنّ صفة مستشرق ينبغي أن تقتصر على من ليس شرقيّاً ، لأنها تصف حالة طلب لشيء غير متوفر في البيئة التي نشأ فيها الطالب. [40]

و يقول الأستاذ **"عبد الوهّاب حمّودة"** :المستشرق هو من صار شرقيا، وقد أُطلِقت هذه اللّفظة على كلّ عالم غربي يهوى إتقان لغة شرقيّة، وتَجرّد إلى دراسة بعض اللّغات الشّرقيّة كالفارسيّة، والهنديّة، والعربيّة، وتقصّي آدابها طلبًا لمعرفة شأن أمّة أو أمم،من حيث أخلاقها وعاداتها، وتاريخها ودياناتها وعلومها. [41]

والمستشرق حسب **"إدوارد سعيد"** كل من يقوم بتدريس الشرق أو الكتابة عنه أو بحثه ، و يسري ذلك سواء أكان المرء مختصا بعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا) أو بعلم الاجتماع (السوسيولوجيا) أو مؤرخا (فيولولوجيا) في جوانبه المحددة و العامة على حد سواء هو مستشرق ، و ما يقوم به هو أو هي بفعله هو استشراق . [42]

وقال الدكتور**" محمد محمد حسين"** إن اصطلاح المستشرقين اصطلاح واسع يشمل

طوائف متعددة من الباحثين والعلماء، الذين يعملون في ميادين الدراسات الشرقية المختلفة، فهم يدرسون العلوم والفنون والآداب واللغات والديانات والتاريخ و كل ما يخص شعوب الشرق، مثل :الهند والفرس والصين واليابان والعالم العربي وغيرهم من الأمم والشعوب.

و قال الدكتور**" علي الخربوطلي"** : المستشرق هو عالم غربي يهتم بالدراسات الشرقية.

وقال الأستاذ **" محمد آرد علي"** : المستشرقون هم من يعنون بالبحث في لغات الشرق وعلومه.

وقال الأستاذ" منير البعلبكي " :المستشرق هو الدارس للغات الشرق وفنونه وحضارته.

وقال الدكتور" محمد فتح الله الزيادي" : المستشرق كل متخصص غربي في البحث

والدراسة حول الإسلام والمسلمين بقصد التشويه والتشكيك فيه .[43]

---

[40] عقيلة حسين : **الاستشراق حقل معرفي تعريفي بالإسلام ودعوي في بلاد الغرب الوجه الآخر للاستشراق** ، مجلة الإنسان و المجتمع ، العدد 02 ، ديسمبر 2011 ، ص 18

[41] عبد الوهاب حمّودة: **من زلاّت المستشرقين**، مجلّة رسالة الإسلام، دار التّقريب بين المذاهب الإسلاميّة ، القاهرة ،. 1958

[42] إدوارد سعيد – ترجمة كمال أبو ديب : **الاستشراق ، المعرفة ، السلطة ، الإنشاء** ، مرجع سبق ، ص 38

[43] شاكر عالم شوق : **الاستشراق : أخطر تحد للإسلام** ، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ ، المجلد 03 ، ديسمبر 2006 ، ص 66

والمستشرقون من حيث اهتماماتهم فئات أيضا: هناك فئة عينت بالقرآن الكريم وعلومه. وفئة اهتمت بسيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم. و فئة ركزت على الفرق الإسلامية. و فئة عينت بالأحكام الإسلامية. و فئة اهتمت بالفتوحات الإسلامية.و فئة ركزت على الولاة والأمراء وحكام الأمصار والخلفاء في الدول الإسلامية .و فئة درست الحضارة الإسلامية ومالها من تأثير وما عليهاو فئة تخصصت في الآداب العربية . و فئة اهتمت بالفن الإسلامي .وفئة أخرى اتجهت إلى العلوم عند المسلمين . [44]

والمهمة التي كان يقوم بها المستشرقون الأوائل يقوم بها اليوم المستشرقون الجدد ، وإن اختلفت الوسائل وحورت الأسماء . وينضم هذا الصنف من المستشرقين إلى أولئك الذين ساعدوا على دفع الشرقيين من المسلمين العرب أن يرتابوا بالمستشرقين جميعا لأنّ من المؤسف أن يسخر هؤلاء العلم الذي يسمونه الإنسان لإذلال الإنسان واستعباده أو الطعن على تراثه وعقيدته بغير حق." . [45]

3 - موقف المستشرقين المعاصرين من مسمى مستشرق :

ناقش عدد من المستشرقين مصطلح المستشرق والاستشراق وحاول بعضهم التخلص من وصف المستشرق لما ينطوي عليه من حمولات، إذ ما أن يُذكر هذا المصطلح حتى يستدعى إلى الذاكرة كل خلفيات واتجاهات وأحقاد هذا التيار الملغوم، وحينئذٍ يحصل التوجس والتفتيش في المضامين، وقد رأى بعض الغربيين أن هذا المصطلح لم يعد يفي بوصف الباحثين المتخصصين في العالم الإسلامي، إذ كتب **"برنارد لويس"** مقالة بعنوان "مسألة الاستشراق" يتناول فيها ما توصل إليه معظم المستشرقين المشاركين في مؤتمرهم العالمي في باريس عام 1973 م من التوصية بالاستغناء عن هذا المصطلح على أن يطلق على هذه المؤتمرات اسم" : المؤتمرات العالمية للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال وشمال أفريقا"، أو غيرها من المسميات وكان مما قاله :"لقد أصبحت كلمة مستشرق منذ الآن فصاعداً ملوثة هي الأخرى أيضاً . ومن صور التنصل من المصطلح في هذا العصر ما ذكره الدكتور "علي النملة "من أن عدداً من المستشرقين المعاصرين اعترضوا على تسميتهم بالمستشرقين وفضلوا تسميتهم بالمستعربين، أو المتخصصين في الدراسات الإسلامية، أو الشرقية، وذكر منهم :"اندريه ميكيل " و"الدومينيك شوفالييه "، و "جون اسبوزيتو "، و" جان بول شارليه"، و "كلود كاهن " و"كراتشكوفسكي " ، و "جاك بيرك" ،ويؤكد "علي النملة" على بقاء مضمون الاستشراق وموضوعه

[44] ميم نسرين لطيفة : **جهود المستشرقين في نشر التراث العربي** رسالة دكتوراه في الدراسات الاستشراقية ، جامعة سيدي بلعباس – الجزائر 2014 / 2015 ، ص 20

[45] صلاح الدين المنجد :**المنتقى من دراسات مختلفة في الثقافة العربية** ،ج -1 ، دار الكتاب الجديد بيروت ن الطبعة الثالثة ، 1976

وإن تم الالتفاف على المصطلح بقوله : "هذا الالتفاف على المصطلح لا يعني بالتأكيد نهاية المضمون وبالتالي إزالة هذا المضمون من الخريطة الفكرية المعاصرة وانتفاء أن يكون الاستشراق عاملا فاعلا من عوامل الحوار بين الشرق والغرب عموما وبين العرب والمسلمين والغربيين خصوصا وأما ما يتداول من أن الاستشراق قد انتهى فإنما هي ربما للتهيئة للبديل، وربما اقتصر الأمر على تغيير الإطلاقات دون التنكر للمضمون، ومع اعتراض "مكسيم رودنسون" على استمرار مسمى الاستشراق في الزمن المعاصر إلا أنه يؤكد بأن بعض المستشرقين مازالوا لم يخرجوا عن نطاق الاستشراق مفهوماً ومنهجاً، إذ يرى بأن كثيراً من المستشرقين مازالوا سجناء الاستشراق منغلقون على أنفسهم داخل غيتو وهم سعداء في ذلك غالباً بل إن مفهوم الاستشراق نفسه ناتج ضرورات عملية عابرة التقى عندها العلماء الأوربيون المتمرسون بدراسة الثقافات الأخرى وشوهت هذه الحالة بقوة رؤيتهم للأشياء، والحقيقة بأن التهرب من المصطلح لا يعفي من استمرار التمسك بالمضمون، وأما تلوث المسمى فقد كان نتيجة لارتباط العديد من المستشرقين في القرن العشرين بالاستعمار، ومع ذلك فلا بأس من تسمية من كان منصفاً منهم لقضايا المسلمين بالأسماء التي اختاروها لأنفسهم. [46]فالمستشرقون الإسبان مثلا يرون أنهم من المستشرقين بل يفضلون أن يدعوا المستعربين ، لأنهم يبحثون في حقبة كان المسلون فيها يحكمون الأندلس خصوصا و اسبانيا عموما ، والمستشرقون الإسبان يبحثون تاريخ بلادهم الثقافي والحضاري فليسوا مستشرقين . [47]

4 - مكان و زمان الاستشراق :

إن الشرق عند المستشرقين لا تحدده الجغرافيا إنما تحدده الهوية . الشرق الجغرافيا هو ذلك الذي يقع شرق الأرض الممتد " من أطراف الصين إلى موريتانيا غربا ، و من العراق و تركيا شمالا إلى إندونيسيا جنوبا . [48] و لكن هذا الشرق المكان المقابل للغرب لا معنى له ما لم تحدد هويته ، و هويته عند المستشرقين الإسلام ، و من هنا نؤكد أن ما يراد بالشرق هو الإنسان المسلم حيثما كان و أينما وجد.

لقد وجد هذا الشرق منذ آلاف السنين ، و كان دائما محل اهتمام ، وجد بسحره ، بتنوع ثقافته بحضاراته المتعاقبة ، بكونه مهبط الرسالات ، إنه إذن مركز العالم لأنه كان صانعا و مشاركا فعالا و طرفا رئيسا في الأحداث ، و ما يشهده هذا الشرق " المسلم " خير دليل . لقد ناصب الغرب المسلمين العداء منذ الفتوحات الإسلامية ، منذ استفاق ذات زمان و قد كان غارقا في الظلام ، على وقع حوافر

[46] محمد بن سعيد السرحاني : **تاريخ و نهاية الاستشراق** ، مجلة الحضارة الإسلامية ، المجلد 22 ، العدد 01 ، جوان 2021 ، ص 437 - 439

[47] علي بن إبراهيم نملة : **الالتفاف على الاستشراق**، مكتبة عبد العزيز العامة ، الرياض ، 2007 ، ص71

[48] سعيد عبد الرحمان الأعظمي و آخرون : **الإسلام و المستشرقون** ، ص 125 ، 126

الخيل ، تهز الأرض و توقظ الموتى من قبورهم ، و كم كانت دهشة عظيمة ، و كم كان وقع رجال الله الحاملين لرسالته من أثر في نفسه ، كيف لأمة لا ذكر لها تصنع الحدث و تطوي الزمن ، و تخرج على البشرية عزيزة قوية متماسكة ، كيف لرعاة الإبل الغارقين في البداوة ، الراضين بشظف العيش أن يكون منهم السادة و القادة ، كيف استطاعوا أن يبلغوا مشارق الأرض و مغاربها في زمن يسير ، لم تثنهم قوة الفرس و لا غطرسة الروم ، إن في الأمر لسر و السر بارز غير خفي ، إنه الدين الجديد الذي بشر به محمد صلى الله عليه و سلم البشرية ، إنها أمة محمد صلى الله عليه و سلم ، الأمة التي انتصرت بالحق للحق و نصرت اليقين باليقين ، لا بغاية و لا طاغية ، رايتها خفاقة ، قلوبها شفاقة سيوفها براقة ، رجالها للشهادة مشتاقة عشاقة ، شعارها " و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " ، و شهد على ذلك شاهد من أهلها ، يقول المؤرخ **" فيشر "** إن الدين قد أمد أمة العرب بقوة ذاتية أكسبتها الحياة و الدوم ، و لولا هذه القوة التي نشأت عن الرابطة الدينية الجامعة لافتقر العرب . إن التكتل الذي لا تحدث الانتصارات بدونه ، و لولا ما سرى بين العرب من روحية متسامية عن مجرد الشهوة للحرب و الغنيمة لما استطاعوا أن يضفروا برضا الشاميين و المصريين و الفرس و البربر عن حكمهم ، ثم إنه لا شك أن قسطا غير قليل من نجاح العرب في فتوحهم و حروبهم يرجع إلى ظهور دين جديد في قلب بلادهم " [49] و لابد من عمل ، فكان أن تحالف الإخوة الأعداء ، رجال الدين و السياسة لأن الخطر في نظرهم يداهم الجميع .

– الزمان : إن الزمان الذي عني به المستشرقون ممتد إلى ما وصلت إليه تخميناتهم ، إلى العرب قبل الإسلام ، إلى تاريخ وجودهم ، و ليستمر إلى اليوم و إلى المستقبل ، و لا شك ، لقد أوغلوا في الزمان قديمه لا بغية سبر أغواره و معرفة حقائقه ، و إنما تفتيشا عن فكرة هنا أو عثرة هناك أو حدث عابر أو نسب مغموز ، ليتمكنوا من تأكيد افتراءاتهم ، إنهم لم يهتموا مثلا بالأدب الجاهلي و رواده إلا للتشكيك في وجوده أحيانا ، و نفي فصاحته و بلاغته أحيانا أخرى ، ليصلوا في النهاية إلى أن القرآن لم يكن معجزا كما يدعي المسلمون ، إنما هو من وضع الرسول صلى الله عليه و سلم ، اقتبس تعاليمه من الكتب السماوية التي سبقت بعثته ، و إن اعترفوا بفصاحة العرب قبل الإسلام ، رأوا النبي عليه الصلاة و السلام بأنه شاعر تقوله ، ثم كان تركيزهم على فترة البعثة المحمدية ، فلم يتركوا شاردة و لا واردة إلا أحصوها ، و فسروها الوجهة التي يرتضون لا يراعون في ذلك أمانة و لا علما ، و هوا هو **" غولد زيهر"** يقول : " فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف و و آراء دينية عرفها أو استقاها

[49] سعد الدين السيد صالح : **إحذروا الأساليب الجديدة في مواجهة الإسلام** ، الوكالة الوطنية للنشر و الإشهار ، الجزائر ، بدون طبعة ، 1990 ، ص 25 ، 26

بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية و المسيحية و غيرها التي تأثر بها تأثرا عميقا ، و التي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه ..." .

إن أول قضية شغلت بالهم كما سلف هو القرآن الكريم ، دستور المسلمين ، و مصدر تشريعهم الأول بأنواره اهتدوا و تحت ضلاله ساروا أعزاء متسامين لا يصدهم متاع الدنيا و لا متاع المتخاذلين و لا كيد الأعداء المتربصين ، و القرآن الكريم علوم و قراءات و تاريخ و لغة و بيان ، و كان على المستشرقين بمختلف أطيافهم و أجناسهم أن يلموا بكل هذه الجوانب ، ثم جاء دور السنة النبوية المطهرة ، المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي ، فشككوا في صحتها ، و اعتبر المستشرق **" قولد زيهر "** الذي اهتم كثيرا بالسنة النبوية و الحديث النبوي مجرد أثر من آثار المسلمين ، ظهر نتيجة تطور المسلمين في القرون الهجرية الأولى ، كما تناولوا سيرة النبي عليه الصلاة و السلام ، و لم يقفوا عند هذا الحد بل ألموا بكل ما يتعلق بالإنسان المسلم ، نفسيته و حياته الاجتماعية و ثقافته ، فشوهوا ما يستطيعون تشويهه و وجهوا ما يستطيعون توجيهه لأغراضهم المعلنة و الخفية ، و أنكروا على الأمة كل فضل متجاهلين الحقائق التي لا ينكرها العقل ، متجنبين الخوض فيها و غطت هذه الدراسات زمن المسلمين كله . [50]

5 - الجهات المعنية بالاستشراق :

إن ابرز الجهات التي اهتمت بحركة الاستشراق هي :

1 ـ الأديرة التي بعثت رهبانها للبلاد الإسلامية لينقلوا إليها الفكر الإسلامي فيحددوا مواقع الخطر فيه على دينهم للرد عليه ومحاولة إيقاف انتشاره .

2 ـ المؤسسات التي أُنشئت لمثل هذه الدراسات ، والتي قامت على أكتاف الرهبان .

3 ـ وفضلاً عن الجهتين السابقتين ، ظهرت اهتمامات فردية بالدراسات العربية الإسلامية بعد قيام الغرب باستعمار البلاد العربية [51]

[50] محمد الغزالي : **دفاع عن العقيدة و الشريعة ضد مطاعن المسرفين** ، دار السلام للنشر و التوزيع ، الطبعة الخامسة ، بدون تاريخ ، ص 16

[51] مقتدر حمدان عبد المجيد : **موقف المستشرقين من الرسول صلى الله عليه و اله وسلم غوستاف لوبون إنموذجا** ،حوليات كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ، ص 07 - 09

المحاضرة الثانية : مدخل إلى الاستشراق (الجزء 02)

المحاضرة الثانية : مدخل إلى الاستشراق (الجزء 02)

6 - تاريخ الاستشراق:

إنّ جذور الاستشراق وإرهاصاته الأولى ضاربة في القدم؛ إذْ ترجع إلى انعكاسات المدّ العربيّ الإسلاميّ الآخذ في الاستيساع والتّمكن في أقاصي الأرض وأدناها،وموقف الجانب المسيحيّ منه، الذي لم ينظر بعين الرضا، إلى تقلص نفوذه التّاريخي والجغرافيّ؛ فحصلتْ الحروب الصليبيّة، وحروب الاسترداد لتتلوها الحروب الاستعماريّة للعالم العربيّ الإسلاميّ، وكان من بين ما أسفرتْ عنه الصراعات العربيّة الغربيّة عسكريّا وفكريّا أنْ" الْتَفَتَ الغرب إلى العلوم والمعارف، وأدرك أهميّة ذلك في صراعه مع العالم الإسلاميّ. [1]

يعد الاستشراق القاعدة الروحية للغرب في إمداده بمسوغات الهجوم على الشرق، وبالتالي، فإن المستشرقين يعدون مشكلة ثقافية ودينية كبرى، وهذه الحقيقة لابد من الاعتراف بها اعترافا صريحا كاملا، ثم مواجهة المشكلة ودراستها دراسة جديدة، وتحديد موقفنا إزاءها تحديدا دقيقا.

كانت بدايات النشاط الاستشراقي في النصف الأول من القرن التاسع عشر في أوروبا وأمريكا، إذ بنى له هيكلا نظاميا حوى العلوم الإسلامية بمختلف مشاربها، وشتى تخصصاتها، "وقد ابتدأ فيما ابتدأ فيه بإنشاء جمعيات لمتابعة الدراسات الاستشراقية، فقد تأسست أولا الجمعية الآسيوية في باريس عام 1822م ، ثم الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا وأيرلندا عام 1823م ، والجمعية الشرقية الأمريكية عام 1842م ، والجمعية الشرقية الألمانية عام 1845م.

ساهمت هذه الجمعيات في إصدار المجلات، إذ أول مجلة صدرت في فيينا متخصصة في الدراسات الاستشراقية سميت بـ "ينابيع الشرق "، رئيس تحريرها **"هامر بريجشتال"** استمرت من 1809 م إلى 1818م ' كما ظهرت مجلة في باريس اهتمت بالعالم الإسلامي وهي "مجلة الإسلام "، وقد خلفتها في عام 1906م مجلة العالم الإسلامي التي صدرت عن البعثة العلمية الفرنسية في المغرب وقد تحولت بعد ذلك إلى مجلة الدراسات الإسلامية.وفي ألمانيا ظهرت مجلة الإسلام عام 1910م ، وفي روسيا ظهرت مجلة عالم الإسلام، عام 1911م . [2]

---

[1] محمد فاروق النبهان: **الاستشراق :تعريفه، مدارسه آثاره**، منشورات المنظمة الإسلاميّة للتّربيّة والعلوم والثقافة، الرباط ، الطبعة الأولى 2007، ص 11 ،

[2] نفس المرجع السابق .

أما المؤتمرات الدولية فلقد شهدت أوربا عددا منها وقد أتاحت للمستشرقين في كل مكان الفرصة لزيادة التنسيق وتوثيق أواصر التعاون، والتعرف بصورة مباشرة على أعمال بعضها بعضا، وتجنب ازدواج العمل حرصا على تجميع الجهود وعدم تبديدها في أعمال مكررة.

وأول مؤتمر عقد للمستشرقين كان عام 1873م بباريس، وفي عام 1849 م عقد مؤتمر بألمانيا، ولقد ضم مؤتمر أكسفورد مئات العلماء قدروا بتسعمائة عالم من خمس وعشرين دولة، وخمس وثمانين جامعة وتسع وسبعين جمعية علمية، وأربع عشرة مجموعة اختصاص، كل مجموعة منها تبحث في مجال معين من الدراسات الاستشراقية، وجعلها منهجا يلتجأ إليه كدليل للباحث في دراسته الاستشراقية.

وهذا الكم النوعي والكيفي يدل على الاهتمام الذي اتجه إليه المستشرقون، ليوظفوا ملكاتهم وقدراتهم تجاه الحضارة الإسلامية لدراسة كلياتها وجزئياتها ودقائقها بغية الوقوف أمام حقائق تساعد المنصفين منهم في تجلية المواقع التي تجعل منها في أتم استعداد للحوار مع الآخر، وتمد المناوئين منهم بنقاط ضعف تلك الحضارة لتشويه محاسنها، وتزوير شكلها وجوهرها، وجعله مناوئا للحضارة الغربية، مما يؤثر على الرأي العام الغربي وتجنيده ليكون وجها آخر للصراع الحضاري مع الحضارة الإسلامية.

ويتطلب منا هذا الأمر البحث في فئات المستشرقين الذين تعاقبوا عبر الزمان والمكان مشخصين البناء العام للحضارة الإسلامية، ويرجع بعض الباحثين التنوع في المستشرقين إلى اعتبارات أهمها: أن تاريخ حركة الاستشراق في الغرب، وإن تأثير العنصر السياسي فيها في مختلف العصور، قصد به وجه الإسلام في أوروبا في فترة الحروب الإسلامية وما بعدها كان يخدم الأهداف السياسية المحضة، لكن المصالح السياسية والاقتصادية قد أدت في القرون التالية إلى ازدياد الحاجة إلى معلومات موضوعية حول هذه الإمبراطورية العثمانية الكبيرة القوية، التي كانت تقيم بجوار أوربا، وكانت تهددها، ولقد بدأ الانفتاح الثقافي نحو الشرق الإسلامي في أوربا فقط في الفترة التي شهدت التهديد العثماني يبتعد عن الغرب، في هذه الفترة بالذات أصبحت الرحلات إلى الشرق في ازدياد .[3]

ولقد وقف الباحثون على أهم الفئات من المستشرقين التي كان لها الدور البارز في تلك التجلية:
أ - فريق من طلاب الأساطير والغرائب الذين كان همهم إبراز خصائص الحضارة الإسلامية في ثوب من الدجل والشعوذة، والغوص في الأساطير التي تتنافى والمنهج العلمي، وما إصرارهم على إبراز النتاج الثقافي الذي أفرزته عقلية متأثرة بالتقاليد البالية، ككتاب ألف ليلة وليلة وغيره من الكتب الأدبية والتاريخية والفلسفية، أملى على المتخصصين خلو هذه الفئة الاستشراقية منهج علمي دقيق يسقطونه على هذه الحضارة في إبراز محاسنها ومساوئها بموضوعية غير متأثرة بالذاتية، وهو هدف أريد من خلاله تشويه ثوابت الحضارة الإسلامية، ومساراتها المعتدلة ، وقد ظهر هذا الفريق في بداية نشأة

[3] نفس المرجع السابق .

الاستشراق واختفى بالتدرج. ب - كما ظهر فريق من المستشرقين وظفوا أساليبهم ومناهجهم في تدعيم المصالح الغربية الاقتصادية والسياسية الاستعمارية، القائمة على أهداف ذرائعية، غير أن البعض يعتقد أن هذا الإسناد غير مبرر حيث يكون من الخطأ إذا قللنا من أهمية مخزون المعرفة الموثقة وتقنيات السنة الاستشراقية - في كتابات الغربيين من أمثال **"كرومر"** و**"بلفور"**- فأن نقول ببساطة إن الاستشراق كان إضفاء لعقلنة منظرة مسوغة على الحكم الاستعماري هو أن نهمل المدى البعيد الذي كان عليه الحكم الاستعماري قد سوغ من قبل الاستشراق بصورة مسبقة، لا بعد أن حدث. جـ - وفريق آخر غابت عن أفكاره ومناهجه وأقلامه روح العلمية، والنزاهة الفكرية، فتمادى في بث الشكوك في تراث الحضارة الإسلامية، من أمثال **"بدويل"** و**"بريدو"** و**"سيل"** من القرن الثامن عشر ولقد كان لكتابات بعضهم مثل **"سيل"** أثر كبير في الغرب لمدة طويلة. وفريق آخر واكب المنهج العلمي، غير أنه نهج طريق الغاية تبرر الوسيلة، لما في هذا المنهج من أثر سلبي على المادة أو العينة أو التراث المراد دراسته، فانصبت جهود المستشرقين في إبراز عوامل الضعف في الحضارة الإسلامية، والتشكيك في ثوابتها، والحط من إنجازاتها باسم منهج البحث العلمي وهو ما أكده **"رودي بارت"** في قوله: "فنحن معشر المستشرقين عندما نقوم اليوم بدراسات في العلوم العربية والعلوم الإسلامية، لا نقوم بها قط لكي نبرهن على ضعة العالم العربي الإسلامي، بل على العكس، نحن نبرهن على تقديرنا الخاص للعالم الذي يمثله الإسلام، ومظاهره المختلفة، والذي عبر عنه الأدب العربي كتابة، ونحن بطبيعة الحال لا نأخذ كل شيء ترويه المصادر على عواهنه، دون أن نعمل فيه النظر، بل نقيم وزنا فحسب لما يثبت أمام النقد التاريخي أو يبدو وكأنه يثبت أمامه، ونحن في هذا نطبق على الإسلام وتاريخه وعلى المؤلفات العربية التي نشتغل بها المعيار النقدي نفسه الذي نطبقه على تاريخ الفكر عندنا وعلى المصادر المدونة لعالمنا نحن. [4]

ولقد بالغ مستشرقو الغرب في تمييز ثقافتهم، والتعالي بحضارتهم إلى أن أنقصوا من قدر الحضارات الأخرى، خصوصا الحضارة الإسلامية التي يعد الإنسان المعادلة الأساس في ارتقائها أو كمونها، والشرقي الذي هو لفظة تطلق على المسلم دون القصد التعبير الجغرافي لها، لا يملك أدوات التقدم التي يملكها الأوروبي - الغربي -، خصوصا أن طبيعة تعامله مع الأدوات العلمية يتميز بالسطحية وأحيانا غياب الذكاء الذي يفرض عليه التقدم، إذ نجد **"كرومر"** يشرح لنا هذه الطبيعة في صورة تؤكد طبيعة الصراع الحضاري الكامن في نفسية وعقلية الإنسان "الغربي" إذ يقول: "الافتقار إلى الدقة الذي يتحلل بسهولة ليصبح انعداما للحقيقة، هو في الواقع الخصيصة الرئيسية للعقل الشرقي، الأوروبي ذو محاكمة عقلية دقيقة، وتقريره للحقائق خال من أي التباس، وهو منطقي مطبوع، رغم أنه قد لا يكون درس المنطق، وهو بطبعه شاك ويتطلب البرهان قبل أن يستطيع قبول الحقيقة أي مقولة، ويعمل ذكاؤه

[4] نفس المرجع السابق .

المدرب مثل آلة ميكانيكية، أما عقل الشرقي فهو على النقيض، مثل شوارع مدنه الجميلة صوريا، يفتقر بشكل بارز إلى التناظر، ومحاكمته العقلية من طبيعة مهلهلة إلى أقصى درجة، ورغم أن العرب القدماء قد اكتسبوا بدرجة أعلى نسبيا علم الجدلية "الديالكتيك"، فإن أحفادهم يعانون بشكل لا مثيل له من ضعف ملكة المنطق، وغالبا ما يعجزون عن استخراج أكثر الاستنتاجات وضوحا من أبسط المقدمات التي قد يعترفون بصحتها بدءا، خذ على عاتقك أن تحصل على تقرير صريح للحقائق من مصري عادي وسيكون إيضاحه بشكل عام مسهبا ومفتقرا للسلاسة، ومن المحتمل أن يناقض نفسه بضع مرات قبل أن ينهي قصته، وهو غالبا ما ينهار أمام أكثر عمليات التحقيق لينا، وبوجه عام فإن الشرقي يتصرف ويتحدث ويفكر بطريقة هي النقيض المطلق لطريقة الأوروبي.

وأمام هذه المعادلة التي تجعل من الباحث يشخص الأدوات المستعملة في تحليل وضع قائم بالقوة للحضارة الإسلامية يؤكد على ضرورة التأني في الإطلاقات الجزافية للأحكام، والدقة في البحث في مقاصد الدراسات الاستشراقية تجاه الحضارة الإسلامية في إطار التأسيس الفعلي والإيجابي لحوار الحضارات، من خلال اجتناب الذاتية السلبية لتلك الإطلاقات، فالرد الحقيقي على المستشرقين إنما ينبني حقيقة على إنتاج دراسات وفق مناهج دقيقة وصارمة تبتغي الحقيقة ولا تخفي منها شيئا، مع تقديم فكرنا العربي الإسلامي للآخرين على أنه فكر إنساني عالمي، وذلك بترجمة ودعم هذه الأعمال إلى لغات أمم المستشرقين،على أيدي علماء مسلمين، ولا بأس من فتح حوارات مع المستشرقين، ولكن بشرط ألا نقع في مغالطة كبرى، ولا يتحول الحوار إلى حوار ديني ديني، بل يبقى حوارا إنسانيا.[5]

غير أن الاستشراق يبقى يتراوح مكانه في تبرير سياسة الغرب في الهيمنة على الشرق أو ما يسمى بالصراع الحضاري، فرغم النقلات الهامة التي شهدها الاستشراق "على مدى القرنين المنصرمين، ظل في الجوهر عاجزا عن التطور بسبب تمسكه بخرافة كبرى حول الشرق، أن الثقافة الشرقية هي في حد ذاتها ثقافة التطور الموقوف بصفة دائمة، فإذا اتسم الفكر الاستشراقي بهذا الوضع، تصعب إمكانية بناء صرح تعارفي بين الحضارتين، ولن يتم هذا إلا إذا أزاح الاستشراق هذه المعادلة الاحتمالية عن نسقه الفكري في إرادته الحوار مع الآخر، وبمعنى آخر لابد من إزاحة مزاعم القوة والمعرفة التي يعتقدها الغرب في بسط هيمنته على الآخر، وذلك بوجود إرادة عازمة على مثل هذا التعارف أو التواصل بين الحضارات دون إقصاء أي طرف لآخر. [6]

[5] نفس المرجع السابق .

[6] ناجي شنوف : **الاستشراق وحوار الحضارات** ، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد الثامن، سبتمبر 2008 ص 04 - 09

7 – دوافع الاستشراق :

تتنوع دوافع الإستشراق تبعاً لمكانة المستشرق والجهة التي تتبناه، فمن ترسله الكنيسة يغلب عليه الدافع الكنسي التنصيري أو التبشيري، ومن ترسله الجهات الاستعمارية يغلب عليه الدافع الاستعماري وهكذا وعلى هذا فمن أهم دوافع الإستشراق: [7]

7 – 1 - الدافع الديني:

بدأ الاستشراق بالرهبان الذين كان جهدهم الأول الطعن في الإسلام وتشويه محاسنه و تزييف حقائقه،ليثبتوا لجماهيرهم أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار،كما التصق بهذا الجهد كله مرامي التنصير في أوساط المسلمين.[8] و عمدوا في ذلك إلى إقامة المختبرات والوسائل العلمية اللازمة . وكان أكثر المدرسين من الرهبان الذين قاموا بدور التبشير والتشكيك في الدين الإسلامي . [9] لدرجة زعم بعضهم أنّ الدين الإسلامي لم يصل إلى درجة الدين، وأنّ محمدا صّلى الله عليه وسّلم لم يكن أثر من مصلح ظهر بين مجموعة من البدو الجهلة الأميين ، فلم كلّ هذا الاهتمام ؟ ولم يأتي الاهتمام في البداية من الرهبان والقساوسة أو القسسين ؟ فيقصدون ديار الإسلام يتعّلمون اللغة العربية ، فيعودون إلى أدريتهم وينقلون تراث المسلمين معهم؟ [10]

إذن ، يعد الهدف الديني هو الهدف الرئيسي وراء ظهور الاستشراق، بل هو الهدف الذي صاحب مسيرة ظهور الاستشراق على المدى التاريخي الطويل الذي مر به منذ نشأته ، وقد سلك المستشرقون وسائل شتى لتحقيق هذا الهدف ، لكن كان أخطرها بلا ريب التركيز على إثارة القضايا الخلافية في الفكر الإسلامي، والعمل على إحياء الآراء عن التفكير في عظائم الأمورالشاذة للفرق المغالية؛ ليشغل المسلمون أنفسهم فعمدوا إلى إثارة الخلافات المذهبية والصوفية.[11]

كما حاول بعضهم إحياء الخصومات التاريخية بين المعتزلة و الأشاعرة أو بين المعتزلة والسلف، فبعد أن أدرك الغرب أن الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي تفوق في شدة ميل أهله إليه وتمسكهم به ،وإن

---

[7] فريدة أولمو : **قراءات إستشراقية في التسامح الإسلامي** ، مؤتمر " الاستشراق ما له و ما عليه " ، ، كلية العلوم و الآداب بالرس، المملكة العربية السعودية ، من 14 إلى 16 مارس 2016 ، ص 1008

[8] محمد عيساوي : **إسهامات المفكر عبد الرحمان بدوي في نقد الآراء الاستشراقية حول تاريخ السيرة النبوية"قضايا ونماذج في ضوء موسوعة المستشرقينمجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية ، المجلد 05 ، العدد 01 ، "** ص 404

[9] عبد اللطيف الحميد : **سقوط الدولة العثمانية : دراسة تاريخية في العوامل والأسباب** ، مكتبة العبيكان، الرياض ، 1401 ه ، ص 645

[10] حسن ضياء الدين عنتر : **الاستشراق : نشأته وأهدافه** ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، مكة المكرمة ، 1401، ص645

[11] مصطفى بن حسني السباعي : **الاستشراق و المستشرقون ما لهم و ما عليهم** ، دار الوراق – المكتب الإسلامي ، بدون طبعة ، 1384 ه ص 25

رابطة الإخاء بين أفراد المسلمين كفيلة بأن تجعل المسلم يهب نفسه لنصرة إخوانه في الدين ،فهذا عامل مؤرق للمستعمرين، ومن هنا فقد تكاتفت جهود الغربيين في العمل على إضعاف هذه الرابطة بين المسلمين التي كانت و لا تزال تمثل غاية و هدف النشاط الاستشراقي المكون من رجال الكهنوت المسيحي واليهودي مدفوعين إلى هذا اللون من الدراسة بعواطفهم الدينية و الانتصار لدينهم، ومن هنا فقد تنوعت الدراسات الإسلامية عند المستشرقين وتعددت من ناحية الاهتمام بالإسلام وحضارته، ، وقد ركزوا في ذلك على سر قوة المسلم ونقاط الضعف في العالم الإسلامي؛ فراحوا يشككون في عقيدته حسب أهوائهم الصليبية، وحسب مكرهم السياسي والمذهبي.

ومن هنا تظهر الدوافع وراء الاستشراق وأهدافه الدينية ويمكن إجمالها فيما بلي:

- التشكيك في صحة رسالة النبي عليه الصلاة و السلام ومصدرها الإلهي، فأنكروا أن يكون الرسول نبيا يوحى إليه من عند الله عز و جل ، كما أنهم و يتخبطون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها أصحابه رضي الله عنهم ، فاتهموا الرسول عليه الصلاة و السلام بالمرض النفسي كما اتهموه بذلك كفار قريش بأنه شاعر و مجنون إلى غير ذلك من افتراءاتهم الباطلة كما أنهم أنكروا أن يكون القرآن كتابا سماويا منزلا من عند الله سبحانه و تعالى و أن محمدا صلى الله عليه و سلم رسول ، و زعموا أن القرآن من تأليفه وحده أو بمعاونة آخرين ، وهذا الافتراء سبق و أن جاء به المشركون من قبل ، فوصفوا القرآن الكريم بأنه قول شيطان ، و أنه أساطير الأولين ، و تارة وصفوه بأنه إفك افتراه و أعانه عليه قوم آخرون .
- إنكارهم أن يكون الإسلام دينا من عند الله و إنما هو ملفق عندهم من الديانتين اليهودية و المسيحية ، و ليس لهم في ذلك أي مستند علمي يؤيده سوى ادعاءات تستند على بعض نقاط الالتقاء بين الإسلام و الدينين السابقين .
- التشكيك في صحة الحديث النبوي ، و يتذرع هؤلاء المستشرقون بما دخل على الحديث النبوي من وضع و دس ، متجاهلين تلك الجهود التي بذلها علماؤنا لتنقية الحديث الصحيح من غيره .
- التشكيك بقيمة الفقه الإسلامي الذاتية ، بزعمهم أن الفقه الإسلامي مستمد من الفقه الروماني و قد بين علماؤنا تهافت هذه الدعوى ، و فيما قرره مؤتمر القانون المقارن المنعقد ب " لاهاي " من أن الفقه الإسلامي فقه مستقل بذاته ، و لم يكن مستمدا من أي فقه آخر .
- النيل من اللغة العربية و استبعاد قدرتها على مسايرة ركب التطور، و التحقير من شأنها و جعل العامية لغة الحديث و الصحافة لتحل محل اللغة العربية الفصحى .
- إرجاع الإسلام إلى مصادر يهودية و نصرانية بدلا من إرجاع التشابه بين الإسلام و هاتين الديانتين إلى وحدة المصدر .

- العمل على تنصير المسلمين .
- اعتمادهم على الأحاديث الضعيفة و الأخبار الموضوعة في سبيل تدعيم آرائهم و بناء نظرياتهم.
- لقد كان الهدف الاستراتيجي الديني من حملة التشويه ضد الإسلام هو حماية أوربا من قبول الإسلام بعد أن عجزت عن القضاء عليه من خلال الحروب الصليبية .[12]

7- 2 -الدافع الاستعماري:

استخدم الاستشراق الكتب و المجلات والمقالات وكراسي التدريس والمؤتمرات العلمية والمحاضرات العامة وغيرها من الوسائل لخدمة الاستعمار في أغلب الأحيان و ليس لخدمة العلم والحقيقة. [13]

فعندما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين وفشلهم، وهي في الحقيقة حروب استعمارية - وإن كانت حروب دينية - لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد الإسلام والعرب .فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد، وجندوا لها علماء بارزين يبحثون عن كل شأن من شئونها من عقيدة وتقاليد وعادات وأخلاق وثروات وغيرها، ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيستغلوها. ولما تم الاستيلاء والسيطرة على البلاد الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى، بدأ المستعمرون في تشجيع الدراسات الاستشراقية نظراً لحاجتهم الملحة إلى فهم أوضاع المسلمين في البلاد التي استعمروها حتى يتسنى لهم العمل لإضعاف روح المقاومة والوعي التحرري لديهم وبث الفرقة والوهن في صفوفهم، وقد اتخذوا لذلك وسائل عديدة أهمها التشكيك بفائدة ما في أيدي المسلمين من تراث وما عندهم من عقيدة وقيم إنسانية وحضارية وثقافية و عادات .والتبشير بحضارة الغرب المادية وما عندهم من عقائد وثقافات باطلة زائفة والانفتاح عليها والميل إليها و أدى ذلك إلى تفتيت وحدة المسلمين عن طريق إحياء مفاهيم جديدة تثير الفرقة والشقاق، وتزايد الحساسيات الدينية والطائفية مثل :القومية والشعوبية الحزبية التي منع عنها الإسلام لمتبعيه فاتحدت صفوفهم وازدادوا قوة وعزا وآرامة وشرفاً، وذلك بقوة الإيمان والعقيدة والثقافة [14] وأما الاستعمار فأراد أن يفرق ويشتت بين صفوف المسلمين تنفيذاً لمبدأ " فرق تسد" ، ولعل أخطر خطة استعمارية حاول المستشرقون وأتباعهم تنفيذها، هي محاولة القضاء على اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن و أحد المقومات الأساسية للوحدة العربية الإسلامية، فلقد تعرضت هذه اللغة إلى محاولات عديدة

---

[12] عبير أحمد فاضل الثقفي : **لمحة عن الحركة الاستشراقية و وسائلها و أهدافها** ، حولية كلية الدراسات الاسلامية و العربية للبنات الاسكندرية ، المجلد الأول ، العدد الخامس ، ص 1076

[13] أحمد سمايلوفتش : **فلسفة الاستشراق وآثارها في الأدب العربي المعاصر** ، دار الفكر العربي ،الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1991 ، ص 120

[14] الجندي :أنور: **الإسلام في وجه التغريب**، :دار الاعتصام، ، القاهرة ، بدون طبعة ، 1970 ، ص30

كادت أن تعصف بها وتطمسها في أجزاء كثيرة من بقاع العالم العربي مثل" تونس والجزائر والمغرب" في عهد الاستعمار الفرنسي، وفي الوقت الحاضر يقوم المستشرقون بتوجيه الدراسات العليا في الكثير من الجامعات الغربية من دراسة الفصحى إلى دراسة العامية وتعميق البحث في اللهجات المحلية أمثال المستشرق **"ويلكوآس"** و **"ويلمور"**، وتابعهم في ذلك بعض الباحثين العرب مثل **"سلامة موسى"** و**"لطفي السيد."** [15]

7 – 3 - الدافع السياسي:

يشير الدكتور **"مصطفى السباعي "** في حديثه عن الدافع السياسي للاستشراق بقوله **:** وهنالك دافع آخر أخذ يتجلى في عصرنا الحاضر بعد استقلال أكثر الدول العربية و المسلمة، ففي كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى هذه الدول سكرتير أو ملحق ثقافي يحسن اللغة العربية؛ ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة فيتعرف إلى أفكارهم، ويبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته، وكثيرًا ما كان لهذا الاتصال أثره الخطير في الماضي حين كان السفراء الغربيون - ولا يزالون في بعض البلدان العربية و المسلمة يبثون الدسائس للتفرقة بين الدول العربية بعضها مع بعض، وبين الدول العربية والدول المسلمة، بحجة توجيه النصح وإسداء المعونة بعد أن درسوا تماماً نفسية كثيرين من المسؤولين في تلك البلدان، وعرفوا نواحي الضعف في سياستهم العامة، كما عرفوا الاتجاهات الشعبية الخطيرة على مصالحهم واستعمارهم. . [16]

وقد ظهر - حقًا - في الآونة الأخيرة في معظم الدول المسلمة والعربية نوعٌ من التواصل الثقافي بين الملحقات الثقافية للدول الغربية والطبقات المثقفة من الدول المسلمة التي تحتضن هذه الملحقات، وتعقد الندوات العلمية و الأدبية بحجة تبادل الآراء والأفكار أو ما سمي في العصر الحديث بالتقارب الديني أو الحوار الحضاري، والهدف الأول والأخير من انعقاد هذه الندوات هو تحويل المسلمين عن دينهم وإيجاد طبقة من المثقفين ولاسيما الذين يشغلون مناصب عالية في الدولة من تحقيق بعض أهدافهم السياسية في كسر الحواجز وإزالة العراقيل التي تحول دون الوصول إلى مآربهم في تلك البلدان، وأيضًا هناك مطلب مهم جدًا يقصده هؤلاء من وراء ملحقياتهم وهو اختيار بعض الناس من أبناء البلد التي هم فيها ليكونوا لهم عيونًا لخدمة مصالحهم في جميع المجالات. [17]

---

[15] نفس المرجع السابق

[16] - مصطفى السباعي **:الاستشراق والمستشرقون" ما لهم وما عليهم"**،مرجع سبق ذكره ، ص 23

[17] فالح بن محمد بن فالح الصغيّر : **الاستشراق و موقفه من السنة النبوية** ، 2012 ، ص 20

و يجدر بنا أن نشير إلى أن الهدف السياسي للاستشراق يمكن في الأهداف الأخرى الدينية و الاحتلالية و الاقتصادية والتجارية و العلمية أيضا . [18]

7 – 4 - الدافع التجاري الاقتصادي :

وهو مهم لجلب الواردات وضمان الصادرات بما يتماشى مع مصالح الغرب على الجهتين لهم وعلينا حتى يضمنوا نجاحا في التسويق، فيبحثون عما يريده المسلمون فيصنعونه ويسوقونه لهم، أو ما لا يريدونه فيعملون على نزع هذه الإرادة ومن ثم التصدير والتسويق، ومن بين هذه المظاهر أصبحوا يسوقوا لنا عصائر ومشروبات مختلفة هي في الأصل حلال لكنها في قارورات تشبه قارورات الخمر حتى نتقبل الفكرة شيئا فشيئا، أو يسوقون خمورا وينزعون منها الكحول، هذا إن نزعوا ويكتبون عليها خال من الكحول، وهذا مثال فقط. [19]

وهناك جانب آخر -وهو جانب ضيق – من جوانب الهدف الاقتصادي التجاري يتعلق باتخاذ الاستشراق مهنة وموردا ماديا لدى بعض المستشرقين يتكسبون من ورائه من خلال نشر ما يتعلق بالإسلام والعربية، وتشجيع " نشر المؤلفات والكتب التي تدور حول الإسهامات والشرقيات ويشرفون على نشرها لما يرون لها من سوق نافعة في البلاد الشرقية." [20]

7 – 5 - الدافع العلمي:

هناك فئة قليلة و نادرة جدًا من العلماء الغربيين الذين يقبلون على دراسة الإسلام دراسة حقيقية لفهمه الإطلاع عليه، مجردين من الدوافع الأغراض التي سبق ذكرها، وهؤلاء يعدون من الصادقين في أبحاثهم ودراساتهم، إلا أنهم غير مدعومين من الدول الغربية، ول امن المؤسسات الاستشراقية التي تأسست على أساس تشويه الإسلام وتحريف أحكامه عند الناس، من أجل ذلك لا يكون لهم صيت قوي شهرة شائعة في الأوساط العلمية والسياسية والدولية .وربما يجد هذا القسم من المستشرقين مضايقات وعقوبات من قبل حكوماتهم لأنهم لا يمثلون وجهة نظرهم ولا يخدمون مصالحهم، ومن هؤلاء المستشرقين من يعتنق الإسلام بعد أن يدرسه دراسة عميقة ومجردة، وربما يتحول إلى داعية ومفكر يدافع عن حمى الإسلام وديارة، ومن بين المستشرقين الذين كان هذا شأنهم المفكر **"محمد أسد"** صاحب كتاب" الإسلام على مفترق الطرق"، و**"توماس أرنولد "**صاحب كتاب" الدعوة إلى الإسلام "والذي

---

[18] نديم البيطار : **حدود الهوية القومية – نقد عام** – بيروت ، دار الوحدة 1982 م، ص172

[19] عبد الحليم ريوقي : **ماهية الاستشراق (النشأة – المناهج و الأهداف – الأصناف و الوسائل)** ، مجلة الإنسان و المجتمع ، العدد 02 ديسمبر 2011 ، ص 84

[20] آرثر ربري - ترجمة الدسوقي النويهي : **المستشرقون البريطانيون** مطبعة وليام كولتر ، لندن ، بدون طبعة 1946 ، ص 14

ركز فيه على التسامح الديني في الإسلام والتزام المسلمين بهذا المبدأ عبر التاريخ، إلا أنه تعرض لأكبر هجمة استشراقية واتهموه بأنه لم يعتمد في كتابه على الأدلة العلمية، وإنما على عاطفته تجاه المسلمين رغم أنه لم يورد حادثة من التاريخ إلا ووثقها من مصادرها ومراجعها العلمية. ومن هؤلاء المستشرقين أيضًا المستشرق الفرنسي**" دينيه "**الذي أسلم في الجزائر وغيّر اسمه إلى**" ناصر الدين دينيه "**وألف مع كاتب جزائري كتابًا في السيرة النبوية، وله كتاب" أشعة خاصة بنور الإسلام "الذي بينّ فيه حقد الغرب وتحاملهم على الرسول عليه الصلاة و السلام .[21]

و يتجسد الهدف العلمي للاستشراق في العولمة التي يفخر بها الغرب اليوم و التي لها أثر كبير في الإعلام و الثقافة و القيم ،مع العلم أن العولمة لا قيم لها ،و من أثارها ضرب الهوية الثقافية، فهم يملكون إعلاما بلا قيم و نحن نملك قيما بلا إعلام. العولمة في معناها اللغوي هي تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله، و يمكن تحديد مفهوم العولمة بأنها نظام غربي حديث يمتلك زمام التكنولوجيا، يسعى نحو تحقيق أهداف كبرى في مقدمتها الإحاطة باقتصاد العالم وصولا إلى نسيجه الاجتماعي والثقافي وذلك من خلال إقامة نظام كوني بديل، تذوب فيه الثقافات القومية المتنوعة لتحل مكانها حضارة كونية عالمية موحدة. وفي ذلك انقلاب في طبيعة العلاقات التي تربط الإنسان بواقعه وتاريخه الحضاري وميراثه الثقافي .و لهذا سرعان ما انتقل مفهوم العولمة إلى القنوات الثقافية فظهرت مصطلحات جديدة نحو : الثقافة الشاملة، والأدب العالمي، مما أثار جملة من الإشكالات في الفكر والثقافة، وفي مقدمتها إشكالية الهوية والخصوصية الحضارية دفع العولمة إلى توحيد الأنماط الثقافية المختلفة وجعلها في منظومة ثقافية واحدة تؤنها الدولة الفاعلة وهي الولايات المتحدة الأمريكية تحقيقا لمصالح اقتصادية معينة بالدرجة الأولى، ولذلك فهي عولمة متوحشة تعمل على إقصاء الآخر من خلال أنجع السبل والوسائل ألا وهي سياسة الاختراق الثقافي، مما يعني أن العولمة لا تحترم خصوصيات المجتمعات الإنسانية و هوياتها الثقافية .وهكذا فإن العولمة تطال الثقافات بالذات، بما أنها مرجعيات للدلالة وأنماط للوجود والحياة الخاصة بكل أمة أو دولة أو مجتمع. ومن خصائص العولمة التحكم في آليات التفكير والتحليل والتصور والتماثل، أي ما يمكن أن نسميه بكلمة واحدة بالمخيال .وحين تتم السيطرة على مخيال المجتمع يصبح بذلك التعبير عن وجوده منقوصا ومتحكما فيه .فالعولمة تعمل على ما يلي:

- التحكم بالمخيال الجماعي من خلال الصورة الإعلامية والتلفزيونية التي تؤثر في الشباب مما يؤدي بهم إلى تغيير سلوكاتهم بما يتلاءم مع ثقافة تروج لها العولمة.

[21] عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني **: أجنحة المكر الثلثة وخوافيها :التبشير –الاستشراق – الاستعمار :دراسة وتحليل وتوجيه**، دار القلم دمشق ، الطبعة السابعة ، دمشق ،1994

- تنميط الحياة اليومية بحكم فراغ المخيال الجماعي بحيث يؤدي ذلك إلى ظهور نمط معيشي يومي واحد، ومشاعر إنسانية واحدة لدى الشعوب المتأثرة بثقافة العولمة.

- تهميش كل إبداع فكري وثقافي لا يتصل بالسوق كليا أو جزئيا، بحيث يصبح ملغى ولا قيمة له.

- انقطاع الشعوب عن التواصل مع التراث والممارسات الثقافية التقليدية، بحيث ترمي العولمة في العالم إلى إحلال ثقافة سطحية.[22]

والعولمة ليست هي العالمية، بحيث يختلف مصطلح العولمة عن مصطلح العالمية .فالعالمية لا تهدف إلى إقصاء الآخر، وإنما هي التفتح على العالم في إطار احترام الثقافات المتنوعة .أما العولمة فهي نفي للآخر وإحلال الاختراق الثقافي محل الصراع الإيديولوجي، و الاستشراق هو ذلك النوع من المعرفة التي شيدها الغرب لنفسه عن الشرق . فالعالمية قيمة إنسانية نبيلة وشريفة تفيد انضواء الإنسانية كلها تحت قيم أخلاقية نظيفة واحدة فهما وعلما وعملا.و منها قيم البر والعمل والعلم و الإحسان والعدل والوفاء و الصبر. أما وقد تعاظم دور اللغة العربية في عصر العولمة والمتغير المعلوماتي، فثمة معركة لغوية بالسر والعلانية نتيجة إحساس كثير من دول العالم بخطر لغة العولمة. فبعد سقوط الأندلس عكف المستشرقون على التحليل و البحث في نوادر المؤلفات العربية و في شتى أنواع المعرفة ،و لم يتركوا جانبا من جوانب هذه العلوم إلا و تناولوها بالتحقيق والدرس ،فتكونت لديهم معارف واسعة عن الشرق من حيث سكانه و عاداته و اقتصادياته وطرق تجارته ومواطن القوة و الضعف فيه ،حاجتهم إلى الزيادة بمعرفة الشرق و أحواله لم تتوقف أبدا،حيث قام أغلب المستشرقين برحلات من الغرب إلى الشرق طمعا في الاستيلاء على هذه البلاد ، وذلك لما تزخر به من ثروات اقتصادية و كنوز حضارية .فسخرت الحكومات الغربية هؤلاء الناس لخدمة أغراضها الاستعمارية التوسعية ،تمثلت في تلك الرحلات التي قام بها الرواد المستشرقون لتقديم صورة واضحة وأكثر دقة عن الشرق[23].

7 – 6 - الدوافع النفسية :

تكمن في طبيعة الإنسان من حيث هو كائن حي و مخلوق و مفكر ، له خصائصه و آماله و أحلامه و أطماعه و أهدافه و نزواته و رغباته و إحساساته ، و لما ظهر الإسلام و انتشر بسرعة في تلك البقاع الشاسعة و وقف العالم مدهوشا أمام هذه المعجزة الكبرى ، و عندما أفاق من ذهوله رأى أمرا عجبا مآذن شاهقة تدوي من فوقها بكلمات تكبر الله و تدعوا إليه ، و منابر رائعة يتسارع المؤمنون إليها

[22] خشاب الصادق : **الاستشراق والإسلام من خلال شخصية كرستيان سنوك هورخرونيه** ، مجلة الإنسان و المجتمع ، العدد 02 ، ديسمبر 2011 ، ص 41 ، 42

[23] نفس المرجع السابق ، ص 42

ليسمعوا دروس العلم ، و معاهد زاخرة يتزاحم العلماء و الطلاب فيها ، و مراكز بحوث يتسابق الخبراء و الباحثون فيها إلى الكشف و الابتكار و الإبداع ... فإذا رأى الباحث ذلك استيقظت نفسه و تحرك فكره ، و عكف على تراث هؤلاء و أولئك و أخذ ليل نهار يشتغل ليحدد منابع قوتهم و حضارتهما و آدابهم و فلسفتهم و إيمانهم ، حتى ظهر في الغرب أناس رأوا العكوف على التراث الإسلامي بأوسع معانيه لمعرفة أسباب تلك القوة الخارقة و مقومات هذه الحضارة العتيدة ، و من هنا كانت نشأة حركة عرفت فيما بعد بحركة الاستشراق ، و قد ولدت أصلا بسبب حيرة الرجل الغربي اتجاه العالم العربي و إحساسه الداخلي بالرغبة في مقاومة التوسع الإسلامي الذي عبر إلى أوربا يوما ما و سيطر على جزء كبير منها ... و مهما يكن الأمر ، فقد اتضح الآن أن الدوافع النفسية كانت عظيمة الشأن في نشأة الاستشراق ، و أن لها أثرا كبيرا في اتجاه علمائه و تطور حركته مما لا يدع مجالا للشك في أنها تعد أساسا من أسس إنطلاق هذا العلم الإنساني الرحب إلى آفاق جديدة واسعة . [24]

7 – 7 - الدافع الثقافي:

من أبرز أهداف الاستشراق نشر الثقافة الغربية، ومن أبرز المجالات الثقافية نشر اللغات الأوربية ومحاربة اللغة العربية، وصبغ البلاد العربية والإسلامية بالطابع الثقافي الغربي، وقد نشط الاستشراق في هذا المجال أيما نشاط، فأسس المعاهد العلمية والتنصيرية في أنحاء العالم الإسلامي وسعى إلى نشر ثقافته وفكره من خلال هؤلاء التلاميذ. كما حرص الغرب على الغزو الثقافي من خلال التغريب بعدة طرق منهاالتعليم من حيث المنهج ومن حيث المادة العلمية ، وفي مجال الإعلام تستغل كل وسائل الإعلام المتاحة وخاصة أفلام السينما والتلفاز وغير ذلك . [25]

7 – 8 - الدافع الأدبي و الفني :

منذ بداية الاتصال بين الشرق و الغرب لاسيما في بداية العصور الوسطى ، كانت المعلومات عن الإسلام و الشرق بوجه خاص تدخل الخيال الغربي و تؤثر في تشكيل تقاليد أدبية و فنية ما تزال مستمرة في العديد من الأعمال الإبداعية ، مثلا في ملحمة الشاعر الإيطالي **" دانتي "** – " الكوميديا الإلهية " في القرن 13 م ، نجد تصويرا لشخصيات إسلامية تعكس الكيفية التي صورت بها أوربا النصرانية المسلمين آنذاك ، ثم نجد جانبا مغايرا إلى حد ما في بعض أعمال الشاعر الإنجليزي **" تشوسر "** في القرن 14 م ثم **" شكسبير "** في القرن 16 م ثم **" فوليتر "** في القرن 17م ، و هكذا عبر العصور

[24] حمد سمايلوفيتش : **فلسفة الاستشراق و أثرها على في الأدب العربي المعاصر** ، دار الفكر العربي ، مصر ، الطبعة الثالثة ، 1973 ص24 – 26

[25] مصطفى السباعي : **المستشرقون** ، مرجع سبق ذكره ، ص54

حتى نصل إلى العصر الحديث لتتواصل التناولات و التصورات الاستشراقية في أعمال العديد من الكتاب الغربيين و منهم على سبيل المثال الروائي الأمريكي **" جون بارث "** الذي اهتم بألف ليلة و ليلة على نحو خاص ، أما على مستوى الفنون التشكيلية ،فإن أشهر ما استقرت عليه التقاليد الاستشراقية هي اللوحات التي أنتجها فنانو العصرين 18م و م19 في أوربا من أمثال الفرنسي **" ديلاكروا "** . [26]

7 – 9 - السعي إلى النيل من اللغة العربية:

تظهر أهمية اللغة العربية على باقي اللغات واللهجات لأنها اللغة التي اختارها الله – عز وجل – لأن تكون مشرفة بنزول القرآن الكريم، وقد عرف المستشرقون أنه ما دامت اللغة العربية حية في نفوس المسلمين فإنهم لا يزالون قادرين على فهم الإسلام، ولذلك جاءت اللغة العربية في مقدمة الكلام في المحتوى الاستشراقي، ومنذ البداية اهتم المستشرقون بدراستها، ومما يوضح ذلك أن **"رايموند لول"** اشترى أسيراً عربياً أسترقه ليعلِّمه اللغة العربية والعلوم الإسلامية وسعى لدى البابا لكي يأمر بإنشاء كراسي في اللغة العربية في جامعات أوروبا لتعليم بعض النابهين اللغة العربية وتخريج المستشرقين، مع أن معرفة الأوروبيين باللغة العربية قد بدأت قبل ذلك بقرون عدة في القرن التاسع الميلادي، وكانت معرفتهم بها في الأندلس ثم صقلية، وكانت في الأندلس من الشيوع للدرجة التي أرقَّت أحد رهبانهم**" البار القرطي"** إذ قال" :إن نصارى أسبانيا لم يعودوا يهتمون بدراسة اللاتينية لغة الكتاب المقدس ولكنهم يتقنون الكلام بالعربية والكتابة بها، بل إن من بينهم كثير من يجيدون نظم الشعر العربي" ، ومن هنا نجد المستشرقين حاولوا بكل ما أُوتوا من الحيل والخداع للغض من شأنها والتشجيع على تركها بالكلية، فهي تقض مضاجعهم، ومن العجيب أن يسميها المحتلون الفرنسيون والبريطانيون في مستعمراتهم بأنها لغة المستعمر، واللغة العربية وإن كانت تقلق أعداء الإسلام في الدول الشرقية والغربية على حد سواء لكنهم مع عداوتهم لها يهتمون بها اهتماماً عظيماً، فهم يقبلون على تعلمها بنهم شديد بغرض التصدي للإسلام وأهله، ومحاربتهم بنفس لغتهم وأساليبهم، وبذلوا في ذلك جهوداً جبارة حتى صار منهم عباقرة في اللغة العربية نثراً ونظماً، وألفَّوا المعاجم المطولة فيها، وفتحوا مدارس لتعليمها ممن يقع عليه اختيارهم من النابهين منهم، وأكملوها بجامعات ودراسات عليا لتخريج المستشرقين والمنَّصرين ومن تبعهم لبثهم في العالم الإسلامي ، ولم يقصروا في اهتمامهم باللغة العربية تعليماً فقط، بل أنشأوا مطابع بالحروف العربية لتتم دراستهم لها، وليتمكنوا بعد ذلك من بث سمومهم ضدها، وهم على يقين من أن لكل صانع صدى، كما أنهم تعلموا العربية ليزيدوا من استعلائهم على العرب المسلمين حين يتم احتلالهم لهم الاحتلال الذي خططوا له ونفذوه بالقوة والقهر سنين عدداً، واستغل المستشرقون التعليم وحولوه إلى أداة تخريب للقيم والأخلاق والدين على أيدي أناس لا يخافون الله ولا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة.

[26] الموسوعة العربية العالمية ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع ، الرياض ، الطبعة الثانية ، 1999 ، ص 3 - 7

ولقد ابتكر المستشرقون وسائل كثيرة لإبعاد اللغة العربية عن الصدارة منها منعها من دخول المدارس العامة مع إدخال لغة المحتلين التي أصبحت هي اللغة الرسمية في المدارس والدوائر الحكومية والتي توصف لطلاب العلم بأنها هي لغة الرقي والتطور والسبيل إلى نيل الشهادات العالية والوظائف المحترمة لدى الدول، بينما يشار إلى اللغة العربية بأنها لغة التخلف والمتخلفين ويكيلون لها التهم وألوان الاستهزاء بها وأنها لغة يجب أن تموت لتحل محلها لغة التطور والصناعات المختلفة في الوقت الذي شجعوا فيه اللهجات العامية – المحلية – أي التي لا ضرر فيها على المحتلين ولا على المستشرقين .[27]

لقد أنشأ المستشرقون مدارس وكليات عديدة باللغات العامية ومنها: "مدرسة نابولي للدروس الشرقية " مدرسة باريس للغات الشرقية الحية"، و "مدرسة لازارف للغات الشرقية في موسكو"، و "الكلية الملكية لعلوم الاقتصاد الشرقية " ، وكانت تُدرس اللهجات العربية، و "جامعة لندن في بريطانيا" الذي تخرج منها الجاسوس البريطاني**" لورنس"**، وكانت كل هذه المدارس والجامعات والكليات مهمتها دراسة اللغات العامية المحلية، ولقد تخرج من هذه المدارس عدد كبير كان اهتماهم في مؤلفاتهم بحث اللغات العربية المحلية الدارجة، بل وصل مكرهم إلى القرآن الكريم فترجموه على أنه شعر عربي عامي وباللهجة العامية لتقريبه إلى الأفهام على حسب زعمهم، وهم يريدون من وراء هذا الصنيع إبعاد المسلمين عن لغتهم العربية الفصحى وإحلال العامية محلها، وما يتبع ذلك من تفرق كلمة العرب المسلمين وعدم اجتماعهم على وحدة واحدة ومرجع واحد يجمع بينهم.

وقد انهال المستشرقون بالمديح على الذين ينادون بالعامية وجعلوهم طلائع ثورية أدبية على اللغة – بل هم ثورة على اللغة العربية – التي لم تستطع بزعمهم أن تساير الحضارات الأوروبية في استيعاب الجديد، وفي استيعاب أسماء الصناعات التي يزخر بها الغرب حسب افترائهم .

وأخذ المستشرقون يؤكدون على أن اللغة العربية لغة التخلف والمتخلفين وكالوا لها التهم وألوان الاستهزاء بكل الوسائل والطرق لمحاربتها والنيل منها، ومن الوسائل الماكرة التي لجأ إليها المستشرقون أيضاً أن جعلوا الطالب الذي يمتحن اللغة العربية ولم ينجح منها لا يعتبر راسب بل من حقه أن يرفع إلى السنة التي تليها، وهناك حيلة أخرى للقضاء على اللغة العربية الفصحى وهي أن يكفي لنجاح الطالب فيها أن يشترط عليه الحصول على نسب مئوية متدنية جداً وبالتالي يتخرج الطالب دون أن يهتم بلغته الأم فضلاً عن أن يجيدها، بل وقد ذهبوا إلى أكثر من ذلك وهي دمج المواد المتشابهة وإعطائها درجة

[27] أ.د :**عفاف بنت حسن بن محمد مختار الهاشمي : الاستشراق ما له و ما عليه** ، مؤتمر " الاستشراق ما له و ما عليه " ، كلية العلوم و الآداب بالرس، المملكة العربية السعودية ، من 14 إلى 16 مارس 2016 ، ص1293 - 1297

واحدة فتُضم مواد اللغة العربية من نحو، وصرف، وبلاغة، وأدب، وإملاء، وخط، وقراءة، وتعبير ونصوص، وعروض في مادة واحدة كذلك، وبالتالي تقل صلة الطالب باللغة العربية[28].

7 – 10 - السعي إلى خدمة مشروع الصهيونية :

كانت البداية مع الحروب الصليبية التي خابت فيها آمال الغرب في احتلال بيت المقدس ، و كانت الكرة الثانية مع الحرب العالمية الأولى ، و كانت الهجمة الأخيرة المستمرة أحداثها مع نهاية الحرب العالمية الثانية .

لقد كان الصراع في المرحلة الأولى و الثانية بين المسيحية الغربية و المسلمين ، أما المرحلة الأخيرة فالصراع فيها مستمر بين الصهيونية تساندها قوى الغرب المستكبرة ، و بين الشرق المستعين المستضعف المؤمن بقضيته ، و ليس ثمة شك في أن الاستشراق قد شارك بطريقة أو بأخرى في هذا الصراع المرير حول الأرض المقدسة .

لقد كان المستشرقون في طليعة المهتمين بالأرض المقدسة ، أرض الميعاد كما يدعون ، بل تهافت اليوم جميعهم على تاريخ المنطقة و ثقافتها ، فلم يتخلف من حملة القلم و السيف ، تهافت رجال الدين و الفنانون و الصحفيون و الدارسون و الزائرون لمهبط الرسالات و المهتمون بالديانات ، و كان تهافتهم و مسعاهم دراسة كل ما يتعلق بهذه المنطقة و بهذا النتاج الفكري و الأدبي المزعوم ، و بالتنسيق مع عسكر الغرب و جواسيسه ، كان للصهيونية موطن ، و بفضل هؤلاء جميعهم مازالت جاثمة على صدر الشرق .

إن المأساة التي يعيشها بيت المقدس ، ساهم في حبك خيوطها المستشرقون الذين لا يمكن تبرئة ساحتهم لأن موقف الاستشراق كان أكثر خطرا ... لأنه الوحيد الذي يستطيع أن يرى الرؤية الموضوعية الواضحة ، و يبرز الحقيقة التي يشوبها الشك ، و لكنه لم يفعل ذلك بل تآمر مع الاستعمار و الصهيونية في طمس الحقيقة ، و اشترك في هذه الجريمة التاريخية . [29]

[28] نفس المرجع السابق

[29] أحمد سمايلوفيتش : **فلسفة الاستشراق و أثرها على في الأدب العربي المعاصر** ، مرجع سبق ذكره ، ص 141 ، 149 ، 150

المحاضرة الثالثة : مدخل إلى الاستشراق (الجزء 03)

المحاضرة الثالثة : مدخل إلى الاستشراق (الجزء 03)

8 - وسائل الاستشراق :

إن أخطر الأدوات والوسائل التي يملكها الاستشراق الجديد، امتلاك دبلوماسية المؤامرة وآلية الغزو الثقافي، وأخطر ما في ذلك الركائز العسكرية التي تمثل منصة انطلاق لغزو ثقافي خطط له من زمن بعيد في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة. [1] و يمكن أن نلخص أهم وسائل الاستشراقي في النقاط التالية :

8 – 1 - تأليف الكتب :

لقد عكف المستشرقون على تأليف الكتب، وكتابة البحوث ، وإخراج المعاجم

؛فأنتجوا الآلاف المؤلفة من الكتب والبحوث التي تناولت موضوعات مختلفة عن

الإسلام واتجاهاته ، وفي معظم هذه الكتب كثير من التحريف المتعمد في نقل النصوص، وتحريف الوقائع التاريخية ،وتزوير الحقائق ،وهجوم على الإسلام وأهله، وتحقير لمبادئه و تعاليمه السامية بأساليب شتى ،فمنها ما كان يتسم بالوضوح ،ومنها ما يكتنفه الغموض والخفاء. [2]

8 - إنشاء الجمعيات العلمية الاستشراقية:

منذ أواخر القرن الثامن عشر، أصبح تأسيسها واجبا وضرورة لا يمكن الاستغناء عنها لدى المستشرقين في عموم الدول الغربية، فساهمت بدورها في جمع جهود المشتغلين بالدراسات الاستشراقية، كانت بمثابة نقطة الانطلاق الكبرى للاستشراق حيث تجمعت فيها العناصر العلمية و الإدارية والمالية فأسهمت جميعها إسهاما فعالا في البحث والاكتشاف والتعرف على عالم الشرق وحضارته، فضلا عما كان لها من أهداف استغلالية واستعمارية " ، فكان لهذه الجمعيات أثر بالغ الأهمية في تكوين صورة الشرق عند الغرب ومعرفة أحواله ومساره التاريخي وجغرافيته ولغاته وعاداته السائدة. ويرجع تأسيس أول جمعية لدراسة الشرق إلى عام 1778 م حيث ولدت في هولندا، الجمعية البتافية للعلوم والفنون وأعقب ذلك ميلاد جمعية البنغال الآسيوية الملكية في كلكتا عام 1784 م،وتلاها ظهور الجمعية الاستشراقية الأمريكية عام 1842 م،أما في ألمانيا فأنشأت عام 1845 م الجمعية الشرقية الألمانية

---

[1] أحمد سويلم: **ثقافتنا في مفترق الطرق**، مكتبة الشروق الدولية، مصر، الطبعة الأولى، 2004 ، ص 10

[2] اسماعيل علي محمد : **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل** ، دار الكلمة ، القاهرة ، الطبعة السادسة ، 2014 ، ص 89

فهذه الجمعيات وغيرها كانت بمثابة ركائز ودعائم للتيار الاستشراقي،لم تتوقف حركة الاستشراق عند هذا الحد بل ظهرت الجامعات والمعاهد المختصة، في هذا الشأن وكان هدفها إنتاج معرفة

متصلة بالشرق والعالم الإسلامي، منه على وجه التحديد، وعملت على تخريج البحوث والدراسات والمناقشات، التي كانت نتاج الاتصال المباشر بالشرق " ، فقد كانت الجامعات الغربية والمعاهد المتخصصة حول القرآن الكريم والسيرة النبوية والفلسفة والتاريخ الإسلامي والسياسة وعلم الاجتماع اتسعت مجالات الاستشراق، وأخذت تشهد انعقاد المؤتمرات الدولية وقد احتضنت فرنسا أولها عام 1873م،وصارت بذلك باريس عاصمة الاستشراق، وأخضع الاستشراق للإمبريالية والعرقية والماركسية وغيرها، غير أنه أصبح يملك منطلقات للبحث وجمعيات علمية ومؤسسات خاصة نمت عدد كراسي الأستاذية في الدراسات الشرقية عبر عدد من دول الغربمما أتاح مجالا واسعا لنشر الدراسات الأكادمية . [3]

8 – 3 - نهب المخطوطات العربية ونشرها:

استغل المستشرقون فترة ضعف الدولة الإسلامية ،فغاروا على المكتبات والتراث

العربي الموجود في البلاد العربية والإسلامية ،وقاموا بنهب تلك المخطوطات العربية ،وتحقيقها وترجمتها ونشرها والاستفادة منها ،وذلك عن طريق استغلال جهل بعض المسلمين بقيمة ما لديهم من ثروة علمية ، أو بسرقتها من تلك المكتبات التي كانت في غاية الفوضى، ونقلها إلى بلادهم ،فإذا بأعداد هائلة من نوادر تلك المخطوطات تنتقل إلى مكتبات أوروبا، حتى بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلدا ، و مازال هذا العدد يتزايد حتى اليوم ،فأصبح للأسف كثيرا من تراثنا الإسلامي تحت أيديهم وفي حوزتهم . [4]

8 – 4 - إصدار المجلات :

فالمستشرقون يصدرون المجلات العلمية التي تحتوي على آثير من البحوث والدراسات حول الإسلام وحول الشرق عموما، ومن أشهر تلك المجلات :مجلة "الجمعية الآسيوية الملكية بلندن"، و "مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية "، و"مجلة جمعية الدراسات الشرقية." ومن أخطر المجلات ذات الطابع الاستشراقى والإلحادي مجلة " العالم الإسلامي" التي أنشأها عميد التبشير العالمي **"صمويل زويمر "**عام 1911 م، وللمستشرقين الفرنسيين مجلة تحمل نفس الاسم وتصدر بنفس الروح.

[3] بوزقاو مريم : **الاستشراق بين الرفض والقبول في الثقافة العربية** ، رسالة دكتوراه في الأدب العربي ، جامعة سيدي بلعباس ، 2019 /2020 ، ص 21

[4] مصطفى السباعي **:الاستشراق والمستشرقون" ما لهم وما عليهم** ، ص 9

8 – 5 - إمداد الإرساليات التنصيرية :

فالمستشرقون يقومون بإمداد الإرساليات التنصيرية بما تحتاج إليه من الخبراء، الذين يساهمون بخبراتهم وتجاربهم في هذا المجال .فالاستشراق عبارة عن هيئة استشارية عليا، تعمل على رسم الخطط وإعداد الدراسات والبحوث، التي يجدها المنصرون وسيلة جاهزة للعمل بقوة ضد الإسلام، محاولين بذلك وقف نشره وتوسعه .ولعله من العسير جدا الفصل بين الاستشراق والتنصير، لأن زعماء حرآة الاستشراق هم أيضا أعضاء مرموقون في حرآة التنصير .أما أن الاثنين فكلاهما يسيران بتوجيه واحد وخط سير واحد مستمدين من الدوائر الاستعمارية والكنسية، ويتلقيان مواردهما المالية من مصدر واحد. [5]

كان الهدف الديني التبشيري واضحا في كتب المستشرقين قديما و حديثا ، حيث يعتبر من أقوى الدوافع وراء نشأة الاستشراق واستمرار بقائه إلى عصرنا الحاضر. والإرسالية هم جماعة من المنصرين تقوم بدور كبير في ترويج الفكر المعادي للإسلام و نشر المسيحية ، [6]و عادة ما كانت إرساليات التبشير إلى العالم الإسلامي تتخفى في ثوب مزاولة أعمال إنسانية في الظاهر كالمستشفيات والجمعيات والمدارس والملاجئ والمياتم ودور الضيافة كجمعيات الشبان المسيحية وأشباهها لتحقيق أهدافها في العالم الإسلامي. [7]

8 – 6 - إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية :

فهم يلقون المحاضرات والدروس في الجامعات العربية والإسلامية، محاولين بذلك توثيق علاقاتهم بها مما جعلهم يستدعون لإلقاء المحاضرات في الجامعات العربية والإسلامية ليتحدثوا عن الإسلام في ديار الإسلام بروح بعيدة عن الإسلام .

8 – 7 - نشر المقالات في الصحف المحلية للبلاد العربية والإسلامية:

قد استطاع المستشرقون أن يستأجروا عددا من هذه الصحف التي تصدر في آثير من البلاد العربية والإسلامية لنشر مقالاتهم والترويج لأفكارهم .

---

[5] شاكر عالم شوق : **الاستشراق : أخطر تحد للإسلام** ، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ ، المجلد 03 ، ديسمبر 2006 ،ص 71 72

[6] عبير أحمد فاضل الثقفي : **لمحة عن الحركة الاستشراقية و وسائلها و أهدافها** ، حولية كلية الدراسات الاسلامية و العربية للبنات الاسكندرية ، المجلد الأول ، العدد الخامس ص 1076

[7] أماني محمود عبد الصمد إبراهيم : **أثر المستشرقين في تكوين الرأي العام الغربي عن الفقه الإسلامي ووسائل تصحيحه** ، مؤتمر " الاستشراق ما له و ما عليه " ، ، كلية العلوم و الآداب بالرس، المملكة العربية السعودية ، من 14 إلى 16 مارس 2016 ، ص 1447

8 – 8 - عضوية المجامع والمؤسسات العلمية :

يحاول المستشرقون الوصول إلى المجامع والمؤسسات العلمية الهامة في البلاد العربية والإسلامية وذلك لتسلل بعض منهم ووصولهم إلى المجامع اللغوية، كالمجمع اللغوي في مصر الذي من أعضائه المستشرق**" جب"** .

8 – 9 - كتابة الموسوعة الإسلامية :

من الغريب أن المستشرقين قاموا بكتابة الموسوعة الإسلامية بلغات مختلفة، لكن هذا العمل جاء نتيجة تخلي القادرين من المسلمين عن تأليف مثل هذا العمل المهم والضروري لكل أمة .فوجد المستشرقون ميدانا شاغرا واسعا لا يزاحم فيه أحد .فأنشأوا دائرة المعارف الإسلامية وأصدروها بعدة لغات، واستطاعوا أن يبثوا فيها ما شاءوا من سمومهم و أفكارهم .ورغم ذلك مع الأسف فإن هذه الموسوعة تعتبر مرجعا هاما لكثير من مثقفي الأمة العربية والإسلامية حتى هذه الساعة[8].

و قد صدرت الموسوعة " دائرة المعارف الإسلامية" بعدة لغات ليدس فيها المستشرقون سمومهم المتعلقة بنشر الأباطيل عن الإسلام . [9]

8 – 10 - إعداد المعاجم العربية والقواميس اللغوية :

وللمستشرقين باع طويل في مجال إعداد وتأليف المعاجم والقواميس اللغوية .ومن أشهرها" المعجم المفهرس لألفاظ القرآن" للمستشرق الألماني **"فلوجل"** الذي طبع عام 1842 م، و "المعجم المفهرس لألفاظ الحديث" الذي ألفه جماعة من المستشرقين منهم**" ونسنك"** .

8 – 11 - الاستيلاء على المناصب الهامة و كراسي الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات :

إن المستشرقين يتقلدون بعض المناصب الهامة، ويستولون على كراسي الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الغربية حتى في بعض الجامعات العربية والإسلامية، ومن المعلوم أنه يوجد بالجامعات الغربية أقسام للدراسات الشرقية، ويتزعم هذه الأقسام المستشرقون عادة ويتولون فيها مهام التدريس والإشراف. [10] و مثال ذلك إنشاء كراسي اللغات الشرقية في الجامعات الأوربية في جميع أنحاء أوربا،كما أنشأ له معاهد في البلدان محل دراسته، إذ قامت فرنسا مثلا بإنشاء المعهد الفرنسي للآثار

---

[8] شاكر عالم شوق : **الاستشراق : أخطر تحد للإسلام** ، مرجع سبق ذكره ، ص 72

[9] **د.محمد سيد أحمد شحاته :** موقف المستشرقين من النصوص النبوية ، مؤتمر " الاستشراق ما له و ما عليه " ، ، كلية العلوم و الآداب بالرس المملكة العربية السعودية ، من 14 إلى 16 مارس 2016 ، ص 1448

[10] شاكر عالم شوق : **الاستشراق : أخطر تحد للإسلام** ،مرجع سبق ذكره ، ص 71 ، 72

الشرقية بالقاهرة ودمشق وطهران وتونس، إلى جانب كراسي اللغات الشرقية في جامعات إنجلترا مثل جامعة أكسفورد وكامبريدج . [11]

8 – 12 - المؤتمرات والندوات والجمعيات العلمية:

أدرك المستشرقون ما للندوات والجمعيات العلمية من أهمية في الوصول إلى أهدافهم وطرح أفكارهم وبث آرائهم ،وتقوية أواصر التعاون ،وزيادة فرص التنسيق فيما بينهم. فعقدوا العديد من المؤتمرات الدولية والإقليمية التي شارك فيها معظم المستشرقين من دول وجامعات شتى ،وناقشت مئات القضايا والبحوث المتعلقة بالشرق في جميع جوانبه ،وركزت على ما يتصل بالدراسات الإسلامية.

وكان أول مؤتمر دولي عقد للمستشرقين في باريس عام 1873 م.ثم توالت المؤتمرات بعد ذلك حتى بلغت أكثر من ثلاثين مؤتمر دولي ، كما أقيمت الكثير من الندوات واللقاءات الإقليمية التي تنعقد بكل دولة من الدول كالمؤتمر الذي عقد في مدينة "درسدن "بألمانيا عام 1849 م، ومازالت تلك المؤتمرات تنعقد باستمرار حتى الآن،والتي يحضرها المئات من العلماء المستشرقين، حيث حضر مؤتمر أكسفورد تسعمائة عالم من خمس وعشرين دولة وثمانين جامعة وتسع وستين جمعية علمية.

-وهناك العديد من الجمعيات العلمية التي ظهرت كالجمعية الآسيوية في باريس

و التي تأسست عام 1822 م، والجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا وأيرلندا عام1823 م،والجمعية الشرقية الأمريكية عام 1842 م، إلى غيرها من الجمعيات في كل من ألمانيا وروسيا والنمسا و إيطاليا.[12].

9 - نشاطات المستشرقين و أعمالهم :

يجب أن نعترف أنه مهما تكن أهداف المستشرقين وغاياتهم، فإنهم قدموا خدمات جليلة وأسهموا مساهمة جبارة في مجالات الدراسات الإسلامية واللغة العربية، والتي تتمثل في إحياء آثير من التراث العربي والإسلامي، والمحافظة عليها في المكتبات الأوربية، وتتمثل في جهودهم القيمة المستمرة لإحياء التراث العربي والإسلامي ومدنيته وحضارته عن طريق طبع ونشر الكتب الهامة والمخطوطات النادرة وغيرها، [13] و يمكن أن نلخص أهم أعمال المستشرقين و نشاطاتهم في النقاط التالية :

---

[11] عفاف صبره: المستشرقون ومشكلات الحضارة، دار النهضة العربية، مصر 1985، ص 3

[12] عبير أحمد فاضل الثقفي : **لمحة عن الحركة الاستشراقية و وسائلها و أهدافها** ، مرجع سبق ذكره ، ص 1084 ، 1085

[13] علي محمد آرد: **الاسلام والحضارة الغربية**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، بدون تاريخ ، ص65

9 – 1 - التدريس الجامعي :

يوجد هناك في الجامعة الأوربية أو الأمريكية معهد خاص بالدراسات الإسلامية والعربية، بل يوجد في بعض الجامعات أكثر من معهد للاستشراق والدراسات الشرقية مثل جامعة" ميونيخ" حيث يوجد بها معهد للغات السامية والدراسات الإسلامية ومعهد لتاريخ الشرق الأدنى وحضارته، ويرأس المعهد أستاذ ويساعده بعض المحاضرين والمساعدين .وتقوم هذه المعاهد بمهمة التدريس الجامعي وتعليم اللغة العربية وتخريج الدارسين في أقسام الماجستير و الدكتوراه، ممن سيواصلون أعمالهم في المجال الاستشراقي الأكاديمي أو الدبلوماسي أو السياسي أو في مراكز البحوث وغيرها، ولكل معهد مكتبة عامرة بالكتب والمراجع العربية الإسلامية القديمة والحديثة، و كل ما ينشر عن الدراسات العربية والإسلامية في البلاد الأوربية والبلاد الإسلامية و يتميز هؤلاء الباحثين بالتفاني في العمل و الصبر العجيب النادر في البحث و الإحاطة التامة بالعديد من اللغات القديمة والحديثة .

9 – 2 - جمع المخطوطات العربية :

اهتم المستشرقون منذ زمن طويل بجمع المخطوطات العربية والإسلامية من كل مكان في بلاد الشرق الإسلامي .و كان هذا العمل مبنيا على وعي تام و إدراك عميق بقيمة هذه المخطوطات التي تحمل تراثا غنيا في شتى مجالات العلوم والفنون .وبعد حملة نابليون على مصر عام 1798 م تزايد نفوذ أوربا في الشرق، ساعد ذلك على جلب الكثير من الخطوطات العربية والإسلامية إلى أوربا، أما أن الجهات المعنية فيها ترسل مبعوثيها لشراء المخطوطات من الشرق، وإنه تم جمع المخطوطات من الشرق بطرق مشروعة أوغير مشروعة إما بالشراء أو السرقة أو الاستيلاء عليها جبرا ، وقد حظيت هذه المخطوطات في أوربا باهتمام عظيم، وتم العمل على حفظها وصيانتها من التلف والضياع، والعناية بها عناية فائقة، وفهرستها فهرسة علمية نافعة تصف المخطوطات وصفا دقيقا من حيث الموضوع والمؤلف وتاريخ التأليف وعدد النسخ وغيرها .وضعت هذه المخطوطات تحت تصرف الباحثين الراغبين في الاطلاع عليها في مقر وجودها أو طلب تصويرها بوضع فهرس للمخطوطات العربية الموجودة في مكتبة برلين. كما قام المستشرقون في الجامعات والمكتبات الأوربية كافة بفهرسة المخطوطات العربية فهرسة دقيقة تقدر بعشرات الآلاف بل قد يصل عددها إلى مئات الآلاف .والحق يقال :إن هذه المخطوطات العربية والإسلامية قد اهتم بها المستشرقون اهتماما بالغا وأولوا رعاية فائقة من الحفظ والعناية والفهرسة بأحدث وسائل مالا يوجد في البلاد العربية والإسلامية .ونشعر بالأسى والحسرة عندما ننظر إلى حال المخطوطات النادرة التي توجد في بعض البلدان العربية والإسلامية .

9 – 3 - التحقيق والنشر:

لم يقتصر عمل المستشرقين على جمع المخطوطات العربية والإسلامية وفهرستها فحسب، بل تجاوز ذلك إلى التحقيق والنشر، فقد قاموا بتحقيق الكثير من كتب التراث العربي والإسلامي، وقابلوا بين النسخ المختلفة، ولاحظوا الفروق وأثبتوها، ورجحوا منها ما حسبوه أصحها وأعدلها ، وأضافوا إلى ذلك فهارس أبجدية للموضوعات والأعلام والآيات والأحاديث، وأثبتوها في أواخر الكتب التي نشروها وقاموا في بعض الأحيان بشرح بعض الكتب شرحا وافيا مفيدا .وهكذا استطاع المستشرقون أن ينشروا عددا كبيرا من المؤلفات العربية والإسلامية، التي أصبحت عونا للباحثين الأوربيين من المستشرقين وغيرهم من بلاد الشرق، وقد عرفنا كثيرا من كتب التراث محققة ومطبوعة على أيديهم . ومن هذه الكتب على سبيل المثال نذكر ما يأتي: سيرة ابن هشام، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، و المغازي للواقدي، والكشاف للزمخشري، وتاريخ الطبري، و كتاب سيبويه، والاشتقاق لابن دريد، والأنساب للسمعاني، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي، والملل والنحل للشهرستاني، وعمدة عقيدة أهل السنة والجماعة للحافظ النسفي، وفتوح الشام للأزدي، وفتوح الشام للواقدي، والكامل للمبرد، والجمهرة لابن دريد، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، وفضائح الباطنية للغزالي، وتاريخ اليعقوبي والفهرسة لابن النديم، و كاشف الظنون لحاجي خليفة، والتعريفات للجرجاني، وطبقات الحفاظ للذهبي ووفيات الأعيان لابن خلكان، وتهذيب الأسماء للنووي، وصحيح البخاري، والمقتضب لابن جني ومقالات الإسلاميين للأشعري، والوافي للوفيات للصفدي، والتيسير في القراءات السبع للداني، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، والأغاني للإصفهاني، والأوائل للسيوطي، والطبقات لابن سعد، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والفقه الأكبر لأبي حنيفة وعدد هائل من دواوين الشعر العربي في عصوره المختلفة .

9 – 4 - الترجمة :

لم يقتصر الأمر على نشر النصوص العربية ، بل قاموا أيضا بترجمة مئات الكتب العربية والإسلامية إلى اللغات الأوربية كافة .فقد نقلوا إلى لغاتهم كثيرا من دواوين الشعر، والمعلقات الشعرية، وتاريخ أبي الفداء، وتاريخ الطبري، ومروج الذهب للمسعودي، وتاريخ المماليك للمقريزي، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، وإحياء علوم الدين والمنقذ من الضلال للغزالي، وغير ذلك من مئات الكتب في واللغة و الأدب والتاريخ والعلوم الإسلامية المتنوعة ، فضلا عن ما ترجم في القرون الوسطى من مؤلفات العرب والمسلمين في الفلسفة والطب والفلك وغير ذلك من الفنون والعلوم المختلفة.

كما تمت ترجمة معاني القرآن الكريم لأول مرة في القرن الثاني عشر، وقد قام المستشرقون منذ ذلك الوقت وحتى الآن بإعداد العديد من ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأوربية كلها، ووصلت ترجمة معاني القرآن الكريم إلى مائة وإحدى وعشرين لغة تقريبا في أنحاء العالم.

وأما اللغات التي تمت ترجمة الكتب العربية والإسلامية إليها هي :اللغة الإنجليزية والألمانية والإيطالية والروسية والفرنسية واللاتينية والهولندية وغيرها من لغات العالم[14].

9 – 5 - التأليف :

تعددت مجالات التأليف في الدراسات العربية والإسلامية لدى المستشرقين ، وبلغ عدد ما ألفوه عن الشرق في قرن ونصف أي منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين ستين ألف كتاب . لقد ألفوا في التاريخ العربي والإسلامي، وعلم الكلام، والشريعة ، والفلسفة الإسلامية، والتصوف الإسلامي، وتاريخ اللغة العربية وآدابها، والدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، والنحو العربي، وفقه اللغة العربية وغيرها .فلم يتركوا مجالا من مجالات العلوم العربية والإسلامية إلا وقد ألفوا فيه.ولهم بعض مؤلفات قيمة ذات فائدة علمية للباحثين الغربيين والمسلمين على السواء، كما لهم مؤلفات أخرى تزخر بالطعن في الإسلام، وتمتلئ بالأكاذيب والافتراءات التي ليس لها في سوق العلم والمعرفة رواج ولا نصيب .ونشير هنا إلى بعض المؤلفات ذات القيمة العلمية كنماذج، وهي كالتالي :

أ -تاريخ الأدب العربي :هذا الكتاب ألفه المستشرق **"كارل بروكلمان"** ، ولا يستغني عنه باحث في الدراسات العربية والإسلامية .وقد قام بهذا العمل الضخم بمفرده، ولا يقتصر هذا الكتاب على الأدب العربي وفقه اللغة فقط، بل يشمل كل ما كتب باللغة العربية من المؤلفات والمدونات الإسلامية، فهو سجل للمصنفات العربية – المخطوطة منها والمطبوعة - ، ويكتمل بمعلومات عن حياة المؤلفين .وقد صدر هذا الكتاب أولا في مجلدين عام 1897 و 1902 م، ثم أتبعهما المؤلف بمجلدات ثلاثة تكميلية فأصبح الكتاب في خمسة مجلدات .وقد اهتمت الجامعة العربية بترجمة هذا الكتاب تحت إشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إدراكا منها أهميته لكل باحث عربي.

ب -دائرة المعارف الإسلامية : على الرغم مما لنا -نحن المسلمين -على هذه الدائرة من مآخذ كثيرة فإنها تعد ثمرة من ثمار التعاون العلمي الدولي بين المستشرقين .وقد تم إصدارها في طبعتها الأولى بالإنجليزية والفرنسية والألمانية في الفترة ما بين عام 1913 م و 1938م، وقد تولت لجنة دائرة المعارف الإسلامية من خريجي الجامعات المصرية نقلها إلى اللغة العربية منذ عام 1933 م، وقد عمد

[14] شاكر عالم شوق : **الاستشراق : أخطر تحد للإسلام** ،مرجع سبق ذكره ، ص 73 - 76

المترجمون إلى نشر تعليقات هامة في أعقاب الكثير من المقالات المدرجة فيها، لتصحيح الأخطاء التي وقع فيها المستشرقون الذين كتبوا تلك المقالات.

ج -المعاجم اللغوية والموضوعية : إن للمستشرقين باعا طويلا في مجال المعاجم الموضوعية والقواميس اللغوية، و كان أول قاموس لاتيني -عربي ألف في القرن الثاني عشر الميلادي، كما ألف**" جورج فيلهلم فرايتاج"** القاموس العربي -اللاتيني الذي يستعمل حتى الآن. وبالإضافة إلى عدة قواميس صغيرة من اللغة العربية إلى لغات أوربية، مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والأسبانية وغيرها من اللغات الأوربية .ويوجد هناك مستشرقون ينفقون حياتهم وعمرهم في إعداد مثل هذه المعاجم، مثل :**"أوجست فيشر"** الذي قضى أربعين عاما في تأليف معجم اللغة العربية القديمة، وتعاون معه عدد من المستشرقين الآخرين .ونخص بالذكر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف الذي يشمل كتب الأحاديث الستة المشهورة بالإضافة إلى مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند الإمام أحمد بن حنبل وقد تم نشره في سبعة مجلدات ضخمة في الفترة من عام 1936 م إلى عام 1969م، وتستفيد من هذا المعجم الجامعات والمعاهد الإسلامية والدارسون والباحثون جميعا. [15]

10 - أصناف المستشرقين:

عندما نريد تصنيف المستشرقين، فإننا نجد كما هائلا من البحوث تحشرهم جميعا في خانة المغضوب عليهم، بما معناه أن كلهم يأخذون من حضارات الشرق الأفكار والعلوم، ويكيلون الكيل للإسلام والمسلمين مشككين وطاعنين... ومن الباحثين من يجعلهم قسمين، أو صنفين :الأول كما قلنا سابقا مشكك متعصب، والثاني منصف ومقر بشكل موضوعي، و إذا تمعنا في المستشرقين ، نجدهم يصنفون إلى ثلاث :

-الصنف الأول محايد موضوعي، علمي، مقر.

-الصنف الثاني آخذ غير مقر.

-الصنف الثالث مشكك بشكل غير علمي وغير موضوعي.

10 – 1 - الصنف الأول :

محايد موضوعي، علمي، ومقر، يتعامل بشكل محايد أي غير متعصب، يتبع منهجا علميا موضوعيا، وفي الأخير يقر بالأفضلية لحضارات الشرق ونورها الساطع، ويقر بالفضل وسماحة الإسلام وفضل

[15] نفس المرجع السابق ، ص 73 - 76

الشرق على الغرب، وما زخر به من علوم، ويرد ما اكتشف من معارف وأفكار إن وجدها في حضارات الشرق إلى أهلها ويعزو إليها، بل إن منهم من دخل في الإسلام وحسن إسلامه، هنا ليس العبرة ببدايات المستشرق، فقد يبدأ متعصبا وينتهي مقرا ومحايدا وبشكل موضوعي.

ومن هذا الصنف نذكر**" كارل فلهلم سترستين"** 1866 م – 1953 م و هو مستشرق سويدي ولد في " أورسة " بالسويد ، وتخرّج " دكتوراً " في الفلسفة بجامعة أوپسالة منذ سنة 1895 وعين فيها أستاذاً للغات السامية، وتولى تحرير مجلة " العالم الشرقي " وحضر عدة مؤتمرات للمستشرقين وقام برحلات متعددة، وزار مصر والشام وتونس أكثر من مرة، وترجم " القرآن " إلى اللغة السويدية سنة 1917، وصنّف بلغته كتاب " اللغات الشرقية " و " تاريخ حياة محمد " و " سياحة في شرق بلاد الفرس " ومن أهم ما حققه ونشره بالعربية " تهذيب اللغة " للأزهري"، والجزآن الخامس والسادس من " طبقات ابن سعد " و " طرفة الأصحاب " للأشرف الرسولي، و " شمس العلوم " لنشوان الحميري، نشر منه جزأين وعهد إلى الأستاذ " س .ديدرينغ" بإتمامه، و حقق " تاريخ سلاطين مصر والشام " مؤلفه غير معروف، و " معارج الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية" ، و "ألفية ابن مُعط الزواوي " في النحو، وكتب فصولا في " دائرة المعارف الإسلامية " وغير ذلك، و كان يمضي مقالاته أحياناً باسم " عبد الرحمن " وأحيانا أخرى بحروف اسمه الثلاثة K.V.Z ، و كان عضوا في المجمع العلمي العربي.

منهم كذلك**" واشنطن إيرفنغ"** وهو مستشرق أميركي أولى اهتماما كبيرا لتاريخ المسلمين في الأندلس قال بعد دراسات طويلة: " كانت التوراة في يوم ما هي مرشد الإنسان وأساس سلوكه، حتى إذا ظهر المسيح عليه السلام اتبع المسيحيون تعاليم الإنجيل، ثم حل القرآن مكانهما ، فقد كان القرآن أكثر شمولا وتفصيلا من الكتابين السابقين، كما صحح القرآن ما قد أدخل على هذين الكتابين من تغيير وتبديل، حوى القرآن كل شيء، وحوى جميع القوانين، إذ أنه خاتم الكتب السماوية ."

أيضا**" كاري مولر "** مستشرق درس القرآن من عدة جوانب فألف كتابا باللغة الإنجليزية وسمه ب "الظاهرة القرانية "ترجمه **"أورخان علي "** إلى العربية، وملخص ما ورد فيه أن القرآن معجزة خالدة وهو كلام الله، ولا يمكن أن يؤلفه البشر، وحفل بحقائق علمية، وتشريع لا مثيل له في كل الديانات والحضارات. أما الباحثة البولونية**" بوجينا غيانة ستيجفسكا"**، درست الإسلام في الأزهر وكانت قد أنهت دراساتها العليا في كلية الحقوق، وفي معهد اللغات الشرقية في بولونيا، وقالت عن القرآن" :إن القرآن الكريم مع أنه أنزل على رجل أمي نشأ في أمة أمية فقد جاء بقوانين لا يمكن أن يتعلمها الإنسان إلا في أرقى الجامعات، كما نجد في القرآن حقائق علمية لم يعرفها العالم إلا بعد قرون طويلة.

الفيلسوف الفرنسي **"جوستاف لوبون "** الذي يرى بأن القرآن قانون ديني وسياسي واجتماعي، وأحكامه نافذة منذ قرون كثيرة، والمسلمون إخوة يعبدون إلها واحدا، وشريعتهم واحدة .

المستشرق **"بارتلمي سانت هلر"** قال أن دعوة التوحيد التي حمل لواءها الإسلام خلصت البشرية من وثنية القرون الأولى.

العالم الفرنسي **"موريس بوكاي"** قال: "لقد قمت بدراسة القرآن الكريم وذلك دون أي فكر مسبق وبموضوعية تامة، باحثا عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث، فأدركت أنه لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث."

10 – 2 الصنف الثاني:

آخذ غير مقر، فهم يأخذون من أفكار وعلوم الحضارات الشرقية ما ينفعهم عاجلا أم آجلا كما أشرنا سابقا، في كل العلوم ولكل الأهداف، بشكل علمي لكنهم بأخذهم لهذه المعلومات لا يشككون ولا يقرون بأنهم أخذوا من الحضارات الشرقية أو لا يردون الفضل إليها، فهم يشبهون كمن يحتاج إلى أمر يفتش عنه، فيجده فيأخذه وكفى، لا يستأذن صاحبه ولا يقول بأنه أخذه من فلان...، وإن كان لا بد من إيراد أمثله هنا فالأسماء كثيرة، ومنها الجامعات ومراكز البحث المتنوعة، كالطب مثلا كما أشرنا آنفا، وخير مثال هنا، ما قلناه على**" تشومسكي"** وكيف أخذ نظرية العامل من النحو العربي وصرفها إلى نفسه، ووظفها في اللسانيات، ولم يقر بأنه أخذها من النحو العربي حتى أقر على يد الدكتور**" مازن الواعر"** رحمه الله بعد سنوات عدة، وهم هنا كثر فلا يعلم أمرهم لأنهم لا يقرون بذلك ولا يشيرون إلى مصادر معارفهم بأنها مجلوبة من حضارات الشرق، والأمر هنا لا بد لنا من تمحيص وتدقيق ومقارنة لكشف ما أخذوا من حضارات الشرق وصرفوه لأنفسهم و حضاراتهم .[16]

10 – 3 - الصنف الثالث :

الصنف الثالث مشكك في العقيدة والدين بشكل غير علمي وغير موضوعي، ومتعصب، لضرب الديانات وزعزعة الإيمان...، وهم لا يشككون في الدين فقط بل حتى في النسب و المجتمعات وأفكارها ...فهم طائفة من العلماء ركزوا هدفهم على النيل من الديانات الأخرى خاصة الإسلام، فدرسوا القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وكرسوا حياتهم للنيل من هذا وذاك وما كان لهم ولن يكون لهم، وكيدهم في نحرهم، هدفهم كما قلنا زعزعة الإيمان وصرف الناس عن دينهم،لأنهم يعلمون أن الإسلام وتعاليمه هو

[16] عبد الحليم ريوقي : **ماهية الاستشراق)النشأة -المناهج والأهداف -الأصناف والوسائل** ، مجلة الإنسان و المجتمع ، العدد 02 ، ديسمبر 2011 ، ص 84 ، 85

قوة المسلمين فلا حياة لهم من غير هذا الدين، قال **"عمر بن الخطاب"** : نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب بغير الله بديلا " ، ما معناه إن تخلينا عن الإسلام أذلنا الله بعد عزة لنا صرفها لنا في الإسلام فالمستشرقون في الصنف الثالث يعملون على إذلالنا في صرفنا عن ديننا بشكوكهم وخزعبلات وطعن، وعبثا يحاولون، قال الله تعالى: **"يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون "** فهؤلاء المستشرقين كالخفافيش الفرق بينهم أن الخفافيش من عادتها أن تظهر في الظلام، ولكن خفافيش الصنف الثالث من المستشرقين تظهر في النور، وتوهم نفسها أنها في الظلام كما تحاول أن توهم الآخرين بذلك، ولكن هيهات، وعبثا يحاولون. ومن هذا الصنف نورد ذكر بعضهم منهم :

المستشرق اليهودي **"برنارد لويس"** عمل مدرسا في معهد الدراسات الشرقية في لندن سنة 1946 م من بين ما قال أن الدين الإسلامي دين استعباد. المستشرق الأمريكي **"مكسيم رودنسون "**ألف كتاب "حياة محمد "ذكر فيه أمورا مشبوهة عن الرسول وألقاه على شكل محاضرات على طلبته في الجامعة الأمريكية سنة 1998م و قال فيه أن القصص القرآني مستنبط من الديانات السابقة ".

المستشرق **"جولد تزيهر"** في كتابه "دراسات إسلامية " قال ما قال فيه طعنا في الدين والعقيدة، وخاض حتى في علم الحديث وسنده ومتنه وعلله.

" مرجليوت" غني عن التعريف ألف سنة 1925 م كتابا زعم فيه أن القران صدى من الشعر الجاهلي وأن الرسول عاش على النهب والسلب والحرب.

المستشرق**" وليام موير "** في كتابه " حياة محمد "زعم فيه أن الرسول أخذ تعاليم الدين الإسلامي من التوراة والإنجيل، وغيرهم كثر. [17]

11 - منهج الاستشراق:

اتخذ المستشرقون منهج دراسة علم اللغة الاجتماعي و علم اللغة النفسي ، كما اتخذوا تاريخ العرب و المسلمين في دول غير عربية إلى ذلك سبيلا ، و قد استعانوا بهذه العلوم لتمهد لهم السبيل إلى معرفة حقائق و دقائق الشخصية و هوية المسلمين في حركاتهم الدينية و الإسلامية . [18]

يمكننا أن نتلمس سمات هذا المنهج من خلال عقيدة وفلسفة تحمل الكره والحقد والتحيز ضد الإسلام وتقوم على منهج لاهوتي مادي حانق على الإسلام، يمكن تلخيص أهم سمات ذلك المنهج في الآتي:

---

[17] نفس المرجع السابق ، ص 86 - 87

[18] آدم أديبايو سراج الدين : **مناهج المستشرقين في الدراسات العربية للإسلامية : الرؤى و الآفاق** ، دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية ، المجلد 03 ، العدد 07 ، جويلية 2018 ، ص 162

تحليل الإسلام ودراسته بعقلية أوروبية، فهم حكموا على الإسلام بمقاييس غربية قاصرة بعيدة عن الحقيقة .

تبييت فكرة مسبقة ثم اللجوء إلى النصوص واصطيادها لإثبات تلك الفكرة واستبعاد ما يخالفها، وذلك منهج معكوس خاضع للأهواء وعدم التجرد لشروط البحث العلمي.

اعتمادهم على الضعيف، والشاذ من الأخبار، وغض الطرف عما هو صحيح وثابت منها .

تحريف النصوص ونقلها نقلاً مشوهاً وعرضها عرضاً مبتوراً وإساءة فهمما لا يجدون سبيلاً لتحريفه .

جهلهم بالعربية وبالإسلام منحتهم عدم الدقة والفكر المستوعب في البحث الموضوعي حتى ولو اختص أحدهم بأمر واحد من أمور الإسلام طيلة حياته .[19]

المصادر التي يعتمدون عليها غير موثوقة، ودون مستوى البحث العلمي يحكمون بها في تاريخ الحديث، كتب الأدب، و كتب التاريخ يحكمون بها في تاريخ الفقه ويصححون ما ينقله" الدميري " في كتاب "الحيوان"، ويكذبون ما يرويه" مالك" في" الموطأ"، اعتمدوا في دراسة الحديث على رواية تاريخية أو أدبية كضيع المستشرق المجري **"جولد تسيهر "**حين عرف الحديث معتمداً على كتاب" الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني، و" معجم البلدان "لياقوت الحموي، كل ذلك انسياقاً مع الهوى، وانحرافاً عن الحق.

إبراز الجوانب الضعيفة والمعقدة والمتضاربة كالخلاف بين الفرق وإحياء الشبه وكل ما يفرق، وإخفاء الجوانب الإيجابية والصحيحة وتجاهلها .

الاستنتاجات الخاطئة والوهمية المتعصبة وجعلها أحكاماً ثابتة يؤكدها أحدهم المرة تلو المرة ويجتمعون عليها حتى تكاد تكون يقيناً عندهم .

النظرة العقلية المادية البحتة التي تعجز عن التعامل مع الحقائق الروحية .

تفسير سلوك المسلمين أفراداً وجماعات بأنه مدفوع بأغراض شخصية ونوازع نفسية دنيوية وليس أثراً لدافع ابتغاء مرضاة الله والدار الآخرة .[20]

ومناهج الاستشراق كثيرة ومتعددة منها ما يلي:

---

[19] محمد الأمين بله الأمين الحاج : **مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية وتطبيقا في السنة النبوية** ، مؤتمر " الاستشراق ما له و ما عليه " ، ، كلية العلوم و الآداب بالرس، المملكة العربية السعودية ، من 14 إلى 16 مارس 2016 ، ص 1239 - 1241

[20] نفس المرجع السابق .

11 – 1 - منهج المطابقة والمقابلة:

وهو دراسة النصوص والتحقق منها ، وقد برعوا في ذلك حيث كانوا يجمعون النصوص ويجمعونها ويقابلون بينها ويطابقونها ويرجعون إلى المخطوطات الأصلية إلا أنها مع ذلك لم تسلم من الأخطاء ،فإنهم كانت لديهم فرضيات وأحكام مسبقة، وكانوا يحاولون إثباتها بتطويع النصوص للبرهنة على صحتها.

11 – 2 - منهج الأثر والتأثير:

ويعنون بذلك أن الإسلام ما هو إلا دين ملفق من اليهودية والنصرانية، وقد حرص أكثر المستشرقون أمثال **"جولد تسيهر"** و**"شاخت** على أن الإسلام مستمد من اليهودية وتأثيرها فيها .

11 – 3 - المنهج التاريخي:

وهو عبارة عن ترتيب وقائع تاريخية واجتماعية وترتيبها وتبويبها ثم الإخبار عنها، والتعريف بها باعتبارها الظاهرة الفكرية ذاتها .

11 – 4 - المنهج الإسقاطي:

يتمثل هذا المنهج في خضوع الباحث إلى هواه وعدم استطاعته التخلص من الانطباعات التي تركتها عليه بيئته الثقافية وعدم تجرده من الأحكام المسبقة المتعلقة بموضوع بحثه، وهو يعني تفسير التاريخ بإسقاط الواقع المعاصر المعاش على الوقائع التاريخية الضاربة في أعماق التاريخ فيفسرونها في ضوء خبراتهم ومشاعرهم الخاصة، وما يعرفونه من واقع حياتهم ومجتمعاتهم، وهم بذلك يحاولون إثبات الصور المرسومة والمفاهيم العالقة في أذهانهم حتى وإن استحال وقوعها وينفون الحقائق الواقعة التي لا تتصورها أذهانهم .[21]

11 – 5 - المنهج الانتقائي :

عرف عن كثير من المستشرقين في كتاباتهم حول السيرة النبوية الشريفة وحول التاريخ الإسلامي أنهم ينتقون بعض الأحداث والقضايا ويكتبون عنها و يهملون غيرها كما أنهم يشككون في أمور من المسلمات في التأريخ الإسلامي وذلك لإثارة الشكوك في معطيات السنة والتأريخ ، ومن صور الانتقائية عندهم الانتقائية في المصادر والروايات والأخذ والرد منها بما يتناسب مع النتائج المقررة لديهم، ومن ذلك ما يوردونه عن أسباب حادثة الهجرة للحبشة، وعن قصة الغرانيق المختلقة، وعن زواج النبي -

[21] صالح حمد حسن الأشرف : **الاستشراق مفهومه و آثاره** ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، 1437-1438ه ، ص 11

صلى الله عليه وسلم - من زينب بنت جحش ، ومناقشة هذه الأحداث بأسلوب جازم بصحتها معتمدين على مصادر تورد الضعيف والموضوع مع الصحيح مفسرين لها حسب أهوائهم دون الالتفات لكتب السنة التي بينت وهن هذه الروايات سنداً ومتناً .البحث على الضعيف والشاذ من الروايات ويركزون على الأخذ من الكتب التي تجمع الروايات المختلفة أو الضعيفة دون بيان لصحتها، فينتقون منها ما يوافق أهواءهم ومن ذلك رواية الغرانيق الموضوعة والتي أوردها عدد من المستشرقين باعتبارها أكيدة وغيرها من الأحاديث الموضوعة التي تعج بها كتب المستشرقين. اعتماد المصادر غير الموثوقة لدى المسلمين أو الرجوع إلى مصادر غير متخصصة، وهو من العيوب المنهجية الظاهرة في الدراسات الاستشراقية حيث أنهم يعمدون دائماً إلى المصادر غير الموثقة عند المسلمين، فيجعلونها هي المصدر الأساس لدراساتهم وبحوثهم، ومن ذلك أنهم يرجعون إلى كتاب مثل كتاب الأغاني للأصفهاني، فيجعلونه مرجعاً أساسياً في دراساتهم للتاريخ الإسلامي وللمجتمع الإسلامي، كما يعمدون إلى المراجع التي ضعفها العلماء المسلمون أو طعنوا في أمانة أصحابها فيجعلونها أساساً لبحوثهم، أو المراجع التي كان أصحابها منحازين إلى فئة معينة أو متعصبين . كما يرجعون كثيراً إلى مصادر غير متخصصة لبحث المسائل الشرعية كرجوعهم للفهرستةلابن النديم لبحث مسألة السحر وحكمها الشرعي. النفي والافتراض والمبالغة في التشكيك غير المنهجي، فنجدهم يكثرون في كتبهم استخدام" يصعب تصديق ذلك "و"إذا أمكن قبول هذه الرواية "و" مما يدعو إلى الشك "و "لا شيء يثبت أمام النقد والتخمين الذي مررنا به" وغيرها من عبارات التشكيك والنفي واتهام المصادر الإسلامية بأنها وضعت لتمجيد أشخاص بعينهم.[22]

ومما يلاحظ عندهم التشكيك فيما هو ثابت معلوم، وإثبات ما هو مشكوك فيه، ومن ذلك تشكيكهم الشديد في إمكانية تطبيق الفقه الإسلامي وادعائهم أن ما أورده ابن سعد من الأنساب في الطبقات هو محض ادعاء واختلاق وغير ذلك، ولا يوجد أساس علمي أو منطقي لكل هذا الرد أو التشكيك . الاهتمام بالفرق والأقليات وأخبار الصراعات والبحث عن الوثنيات والتاريخ السابق لبعثة الرسول - صلى الله عليه وسلم -بهدف تشويه الحضارة الإسلامية و تمجيد أهل الضلال والبدع وذلك بالدفاع عنهم ونصرة مواقفهم وآرائهم ومدحهم وبتحقيق كتبهم وإظهارها ومن ذلك تحقيقهم ونشرهم لأخبار الحلاج والبلغة في الحكمة لابن عربي، وطبقات الصوفية، وكتب ابن سينا، والحارث المحاسبي، وغيرهم من أهل المذاهب الضالة ومن ذلك مدحهم لكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وألف ليلة وليلة، واعتبارهم هذه الكتب أهم المراجع الشرعية والتأريخية والأدبية والحضارية في عصرها، والأخذ بما فيها على أنه من المسلمات

[22] محمد أمين المناسية : **مناهج المستشرقين العلوم الشرعية أنموذجا"** ، مؤتمر " الاستشراق ما له و ما عليه " ، ، كلية العلوم و الآداب بالرس، المملكة العربية السعودية ، من 14 إلى 16 مارس 2016 ، ص 1103

معرضين عن حكم أئمة علماء المسلمين عليها. ويظهر ذلك عند النظر فيما كتب في دائرة المعارف عن هؤلاء المبتدعة وما كتب عن أئمة أهل السنة المحققين. [23]

11 – 6 - مخالفة المنهج العلمي والخضوع للهوى :

كثيراً ما يبدأ المستشرق بحثه وأمامه غاية حددها، ونتيجة وصل إليها مقدماً، ثم يحاول أن يثبتها بعد ذلك، ومن هناك يكون دأبه واستقصاؤه الذي يأخذ بأبصار بعضهم، فإن المستشرقين لم يكونوا ملتزمين دائماً بما يحددونه من منهجية علمية للسير عليها، وفي ذلك يقول **"منقمري ووات"** : "وإذا حدث أن كانت بعض أراء العلماء الغربيين غير معقولة عند المسلمين، فذلك لأن العلماء الغربيين لم يكونوا دائماً مخلصين لمبادئهم العلمية، وأن آراءهم يجب إعادة النظر فيها من وجهة النظر التأريخية الدقيقة".

ومن صور مخالفة المنهج العلمي في البحث والتحري قيام بعض المستشرقين بتحريف كثير من الحقائق التي تخص الإسلام ورسالته وتاريخه دون نظر في ما ثبت بالنصوص والنقول المتواترة فيها، فمن ذلك مثلاً أن بعضهم أنكر عالمية الإسلام وبخاصة فيما يتعلق برسائل الرسول - صلى الله عليه وسلم– إلى الملوك والأمراء خارج جزيرة العرب، كرسائله إلى هرقل والمقوقس وكسرى، دون دلائل أو براهين على ذلك، وهذا ظاهر فيما كتبه **"جوستاف لوبون "** في كتابه" تاريخ العرب "حيث زعم أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - رأى أنه كان لليهود أنبياء، وكذلك للنصارى، فأراد أن يكون للعرب كتاب ونبيوكأن الرسالة والنبوة أمر يقرره الإنسان بنفسه ، ومن صور التزييف ما أورد **"ديورانت"** في رواية عن أموال الزبير بن العوام رضي الله عنه فقال: " وكان للزبير بيوت في عدة مدن، وكان يمتلك ألف جواد وعشرة آلاف عبد "...والخبر كما أوردته المصادر الإسلامية الموثقة هو كالآتي: " كان للزبير ألف مملوك يؤدون إليه خراجهم كل يوم، فما يدخل إلى بيته منها درهماً واحداً، يتصدق بذلك جميعه "وهو هنا أضاف ألف جواد أقحمها في الخبر وليس لها أساس، ثم إن في الخبر أن الزبير - رضي الله عنه - يتصدق بكل دخلهم لا يدخل بيته منها شيء، فلم يورده، وهذا خرق بين واضح للأمانة العلمية . [24]

[23] نفس المرجع السابق

[24] نفس المرجع السابق

خلاصة :

إن الاستشراق لمجال واسع للبحث و الاستطلاع بالنسبة للطلبة و الباحثين في مختلف المجالات المعرفية ، فهو لا يشمل تخصصا بعينه ، فقد لاحظنا أن دراسات المستشرقين طالت تقريبا كل العلوم المرتبطة بالعالم الشرقي من دين و أدب و تاريخ و فن و حضارة ... الخ ، و لا يمكننا بأي حال من الأحوال أن نلم بكل ما يتعلق بموضوع الدراسات الشرقية في محاضرة أو محاضرتين ، و لكن عمدنا إلى عرض أهم المعلومات عنه ، ليكون ذلك بمثابة مدخل لفهم محتوى المادة التي سنفصلها أكثر في المحطات القادمة .

المحاضرة الرابعة : ميادين الدراسات الاستشراقية

المحاضرة الرابعة : ميادين الدراسات الاستشراقية

مقدمة :

أن كلمة "استشراق" لا ترتبط فقط بالمشرق الجغرافي وإنما تعني أن الشرق هو مشرق الشمس ولهذا دلالة معنوية بمعنى الشروق والضياء والنور و الهداية بعكس الغروب بمعنى الأفول والانتهاء. [1]و قد عرفه المستشرق "**رودي بارت**" حيث يقول: الاستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة، وأقرب شي إليه إذن أن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه، كلمة استشراق مشتقة من كلمة "شرق" وكلمة شرق تعني مشرق الشمس ، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي . [2] و هو دراسة يقوم بها الغربيون لقضايا الشَّرق، وبخاصة كل ما يتعلق بتاريخه، ولغاته، وآدابه، وفنونه، وعلومه وتقاليده، وعاداته". أي هو ممارسة معرفية لحضارة الشرق، طبقاً للمنظور الغربي. [3]

و ليس من المبالغة القولُ أن المستشرقين لم يَدَعُوا جانبًا معرفيًّا لدى المسلمين لم يقوموا بدراستِه والكتابة فيه، ويؤكِّد هذا الإنتاجُ الضخم للمستشرقين منذ بداية اهتمامِهم المنظَّم بالإسلام، ولو راجعنا إنتاجَ المستشرقين لتبيَّن لنا ضخامةُ الجهود التي يبذلونَها في دراسة الإسلام والمسلمين، ولا يقتصر إنتاجُ المستشرقين على الكتب، فلديهم المئات من الدوريات، والندوات، والمؤتمرات. ويجب التنويهُ إلى أن كلَّ تلك الجهود لم تكنْ علمية خالصة، ولم تكن لوجهِ المعرفة الموضوعية فحسب؛ فبعض المستشرقين قد توالفتْ فيهم العوامل المعرفية، مع العوامل السياسية والنفسانية، فجاءت دراساتهم للشرق وللشرقيين مخالفةً للمعرفة التاريخية العادية - على حد قول **"إدوارد سعيد"** - مما جعل الاستشراق يغدو مشكلة ذهنية، ومشكلة فلسفية ونفسانية، وانطلق المستشرقون من مبدأ: "المعرفة تمنح القوة"، ومزيد من القوة يتطلب مزيدًا من المعرفة، وهكذا شملت دراساتهم مختلف جوانب الحياة الشرقية. [4] و في المحاضرة التالية سنشير إلى أهم ميادين الدراسات الاستشراقية .

---

[1] محمد أبو زهرة : **ابن حزم حياته وعصره- آراءه وفقهه**، ج1، دار الفكر العربي، القاهرة ، بدون طبعة ، 1978 .

[2] محمد أبو زهرة : **تاريخ المذاهب الإسلامية** ج2، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون طبعة ، 1946.

[3] موسى خابط عبود : **الاستشراق لغة و اصطلاحا** (محاضرات في الاستشراق) ، كلية التربية و العلوم الإنسانية ، جامعة بابل ، 2018 ، ص 01

[4] نور محمود زناتي : **مجالات الدراسات الاستشراقية** ، شبكة الألوكة ، 2013 ، https://www.alukah.net/literature_language/12068-2021 - 11 - 18 /

1 - مجالات الدراسات الاستشراقية :

تخصص المستشرقون في مجالات الأنشطة المعرفية و التوجيهية العليا منها التعليم الجامعي و المؤسسات العالمية لتوجيه التعليم و التثقيف ، و الوظائف الإستشارية العليا للدول الغربية ، و تأليف و إصدار الموسوعات العلمية ، و إصدار المجلات الثقافية ، و عقد المؤتمرات ، و إلقاء المحاضرات العلمية و عقد الندوات ، و لقاءات و حوارات حول موضوعات يهم المستشرقين دس أفكارهم فيها[5] .

و قد قسم **"المبروك المنصوري"** في كتابه "الدّراسات الدّينيّة المعاصرة من المركزيّة الغربيّة إلى النّسبيّة الثّقافيّة مواضيع الاستشراق إلى القرآن، الهويّة والقيم الديّنيّة" الاستشراق إلى ثلاث مراحل أساسيّة هي: الاستشراق الاستعماري (Colonial Orientalism) ويشمل كلّ ما أُنتج من بداية تشكّل هذا التوجّه مع الحركة الرّومانسيّة الغربيّة إلى حوالي 1960م . الاستشراق ما بعد الاستعماري (Post Colonial Orientalism)وهو التوجّه الّذي تشكّل في المرحلة ما بعد الاستعماريّة. ويرتكز أساسا على الجانب الثّقافيّ واللّغويّ وقد تلبّس لبوسا جديدا. الاستشراق الجديد (New Orientalism) وهو التيّار الّذي تشكّل في بداية هذا القرن. وقد دشّنه **"كريستوف لكسنبرغ"** بكتابه "القراءة السّريانيّة الآراميّة للقرآن" [6]و أيا كانت هذه التقسيمات ، فالاستشراق طال كل من :

1 – 1 - الدراسات الإسلامية : المتمثلة في أصول العقائد (القرآن والسنة) والتاريخ (السير والسيرة) والثقافة والقيم والتشريعات، واللغة العربية، والتراث الفكري والفرقي، والنبوة (الرسول والرسالة). كذلك عمل الاستشراق – أيضًا- على العبث بالمفاهيم الإسلامية وأركان الإسلام مثل الحج والزكاة وتعدد الزوجات وما إلى ذلك ، فمن حملات الحركة الاستشراقية على القرآن الزعم بأنه من خيال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وأن لا علاقة له بالوحي، وأن السنة تتصادم مع العقل أو العلم والتشكيك في علومها ومصادرها، ومن الحملات على التاريخ الإسلامي تزييف الحقائق والأشخاص، ومن الحملات الاستشراقية – أيضًا – طعنهم باللغة العربية ووصفها بالعجز عن التعبير، وبالدعوة إلى إحلال العامية بدل الفصحى ليقطعوا الأجيال مع الزمن عن التراث. [7]

---

[5] محمد عيساوي : قراءة في الظاهرة الاستشراقية – تحديد الماهية و الأهداف و الوسائل ، مجلة أنسنة للبحوث و الدراسات، المجلد 07 ، العدد 01 ، جوان 2016 ، ص 223

[6] المبروك المنصوري: **الدّراسات الدّينيّة المعاصرة من المركزيّة الغربيّة إلى النّسبيّة الثّقافيّة: الاستشراق، القرآن، الهويّة والقيم الدّينيّة** الدّار المتوسّطيّة للنّشر، تونس ، 2010 .

[7] فتحي يكن: **العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري** ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1983 ، ص57

1 – 2 - الاستشراق العلمي : الذي تمحورت مواضيعه حول العلم واللغة والفن. فبالنسبة للاستشراق العلمي فهو الذي اهتم بتحقيق النصوص العلمية العربية الإسلامية وترجمة المخطوطات العلمية ونشرها. وقد اشتمل هذا الاستشراق على علوم العرب والمسلمين في الكيمياء والفيزياء والميكانيكا والرياضيات والفلك والطب والبصريات وعلم النفس والسحر ومن أشهر المستشرقين في هذا المجال المستشرق الإيطالي **"مارسيلو برتيلو"** والألماني **"يوليوس رسكا"** والمستشرق **"ونتر"**.

1 – 3 - الاستشراق الأدبي واللغوي : وهو الذي اهتم بالأدب العربي وأعلامه ونشر بعض الآثار الشعرية ووضع القواميس العربية وحقق الكثير من الآثار الأدبية واللغوية ، ومن أشهر المستشرقين في هذا المجال المستشرق الهولندي **"يعقوب حوليوس"** الذي وضع المعجم العربي الذي استقى منه العلماء الأوروبيون معرفتهم بالثروة اللفظية العربية الفصحى زهاء قرنين من الزمن، والمستشرق **"دي ساسي"** الذي أصبح أول مستشرق في عصر **"نابليون"** الذي أنعم عليه بلقب بارون وهو الذي نشر مقامات الحريري.

1 – 4 - الاستشراق الفني : عني بالدرجة الأولى بالعمارة الإسلامية وبتمثل الموضوعات الشرقية في الفن التشكيلي الغربي وخاصة فن الرسم الذي كان بمثابة سجل تاريخي فني لأحداث الشرق ذات العلاقة بالغرب كحملة **"نابليون"** وغيرها. وكان الاستشراق الفني من بدايات حركة الاستشراق الأولى في القرن السادس والسابع عشر. وكان الاستشراق الفرنسي في هذا المجال من أبرز النشاطات الاستشراقية الأوروبية حيث ظهر **"الكسندر بابادوبولو"** الذي كان أول من وضع كتاب الإسلام والفن الإسلامي ونادى بضرورة الاعتماد على القيم الروحية والفلسفية لفهم جماليات الفنون الإسلامية وتفسير ظهور بعض العناصر أو التصميمات المعمارية. وفي مجال العمارة الإسلامية التي التفت إليها المستشرقون أكثر مما التفت إليها العلماء المسلمون قام المستشرق **"ليفي ستروس"** من خلال كتابه " مدارات حزينة " بدراسة الفن الإسلامي وخاصة فن العمارة. كما قام الرسامون الفرنسيون في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر بتمثل كبير للموضوعات الشرقية في رسوماتهم ومنهم من رحل إلى الشرق بصحبة حملة **"نابليون"** على مصر والشام عام 1798م.

1 – 5 - الاستشراق التاريخي : وهو الذي اهتم بالتاريخ العربي الإسلامي وأعلامه في عصوره الأموية والعباسية والأندلسية وما تبع ذلك.

1 – 6 - الاستشراق الجغرافي : الذي اهتم بالأدب الجغرافي والجغرافيا العربية والإسلامية وأعلامها ، وقد هال المستشرقون اتساع هذا الأدب الجغرافي العربي مما دفع المستشرق الألماني **"نولدكه"** للقول أن الجغرافيا في أكثر من ناحية هي الجانب الأكثر إشراقا في الأدب العربي . [8]

1 – 7 - الترجمة :

تعد الترجمة عاملا أساسيا في الانفتاح على ثقافة الأمم والشعوب، وإحداث التفاعل الثقافي الإيجابي بين الأنا والآخر [9] و يعرف**" بسام بركة "**الترجمة بأنها نقل العلوم والمعارف والثقافات من لغتها الأم إلى لغة أخرى، وهذا العمل لوحده لا يحقق التطور والرقي، بل لابد من أفراد اللغة المترجم إليها أن يأخذوا الأفكار ويقوموا بعملية البناء والتشييد[10]. إن المعرفة – أيا كان نوعها – هي في حاجة إلى الترجمة لتنمو و تتطور من الداخل بلغتها القومية و لتوصل إلى الآخرين ما وصلت إليه بلغاتهم المختلفة بخاصة ذات الصيت منها . [11]

فالمستشرقون قاموا بترجمة مئات الكتب العربية و الإسلامية إلى اللغات الأوربية كافة ، فقد نقلوا إلى لغاتهم كثيرا من دواوين الشعر و المعلقات الشعرية ، و تاريخ أبي الفداء و تاريخ الطبري ، و مروج الذهب للمسعودي ، و تاريخ المماليك للمقريزي ، و تاريخ الخلفاء للسيوطي ، و إحياء علوم الدين ، و المنقذ من الظلال للغزالي ، و غير ذلك من مئات الكتب في اللغة و الأدب و التاريخ و العلوم الإسلامية المتنوعة .[12] فضلا عن ما ترجم في القرون الوسطى من مؤلفات العرب و المسلمين في الفلسفة و الطب و الفلك ، و غير ذلك من الفنون و العلوم المختلفة ، و كان أهمها القرآن الكريم . [13]

ظهرت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم عقب الحروب الصليبية؛ فقد اقتنع النصارى أن مواجهة الإسلام لا تتم إلا بالانتقال من حقول الدم إلى الحقل العلمي والفكري؛ فكانت فكرة صناعة آلة للحرب الصليبية السلمية، وكان **"ريموند لول"** رئيس الأساقفة بطليطلة في الأندلس أول من نادى بهذا الأسلوب فأسس مدرسة الترجمة بطليطلة، والتي سعت لترجمة الكتب العربية من مختلف العلوم ، و كذلك رئيس

[8] https://www.alukah.net/culture/0/51901/#ixzz7CaujMhD9 , 18/11/2021 .

[9] بسام بركة وآخرون : **هوية في الوطن العربي**، إشكاليات التعريب و المصطلح ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان،الطبعة الأولى ، ص 45

[10] جمال سايحي و الطيب بودربالة : **أثر الدراسات الثقافية الغربية في النقد العربي المعاصر- دراسة تحليلية تأصيلية** ، مجلة الإحياء ،المجلد 19 ، العدد 23 ، ديسمبر 2019 ، ص 536

[11] بومدين جلالي : **إرهاصات المقارنة في التراث العربي القديم** ، مجلة متون ، جامعة سعيدة – الجزائر ، العدد 01 ، 2008 ، ص 62

[12] علي محمد كرد : **الإسلام و الحضارة الغربية** ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ، ص 65 .

[13] شاكر عالم شوق : **الاستشراق : أخطر تحد للإسلام** ، مرجع سبق ذكره ، ص 75

"دير كولوني" ، و**" بطرس المبجل"** بجنوب فرنسا، الذي ترأس مشروعا لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية، بغرض الرد على المسلمين، وقد قام بهذه الترجمة راهب انجليزي يدعى **"روبرت الرتيني"** وراهب ألماني**" هرمان "** سنة 1143 م؛ ولم تظهر هذه الترجمة إلى حيز الوجود نظرا لخوفه الكنيسة من تأثيرها في الرأي العام المسيحي إلا بعد أربعة قرون في سنة 1543 م، وقد ترجمت نسخة**" دير كولوني"** بدورها إلى العديد من اللغات الإيطالية والألمانية والهولندية والفرنسية والروسية والإنجليزية . [14]

2 - الميادين الأكثر جذبا لاهتمام الدارسين المستشرقين :

أولا : السنة النبوية :

يعلم المستشرقون يقينا مدى أهمية السنة النبوية في دين الله عز وجل، بل وأهميتها البالغة في نفوس أمة الإسلام، فهي المصدر الثاني للتشريع، وهي المفسرة لكتاب الله عز وجل، كما أنهم يعلمون أن النيل منها والتشكيك في مصداقيتها هو تشكيك في القرآن الكريم ، ولذلك عمدوا إلى دراستها بهدف النقض فيها والتشكيك في مصدرها، والقدح في رواياتها بل وفي رواتها وأسانيدها، يقول المبشر الأمريكي **"جب"**: "إن الإسلام مبنى على الأحاديث أكثر مما هو مبنى على القرآن الكريم، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الإسلام شيء، وصار شبه صبيرة **"طومسون"**، و **"طومسون"** هذا رجل أمريكي، جاء إلى لبنان فقدمت له صبيرة فحاول أن ينقيها من البذر، فلما نقى منها كل بذرها لم يبق في يده منها شيء"

والمستشرقون يسيرون في محاربة السنة، والتشكيك في صحتها على درب المستشرق **"جولد تسيهر"** في موقفه من السنة ويرددون شبهاته واعتبروا أنفسهم مدينين له فيما كتبه من شبهات حول السنة الشريفة .يقول عنه كاتب مادة (الحديث) في دائرة المعارف الإسلامية : " إن العلم مدين دينا كبيرا لما كتبه **"جولد تسيهر"** في موضوع الحديث، وقد كان تأثير **"جولد تسيهر"** على مسار الدراسات الإسلامية الاستشراقية أعظم مما كان لأي من معاصريه من المستشرقين فقد حدد تحديداً حاسماً اتجاه وتطور البحث في هذه الدراسات. لما عجز أعداء الإسلام من المستشرقين والمبشرين في الماضي والحاضرفي التحريف والعبث بالقرآن الكريم، غيروا مسارهم إلى السنة النبوية واتخذوا للوصول إلى

[14] ساسي سالم الحاج :**نقد الخطاب الاستشراقي - الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية** ، دار المدار الإسلامي، بنغازي – ليبيا ، الطبعة الأولى ، 2002 ، ص 258

غايتهم أساليب متعددة، فأخذوا بالطعون والتجريح ونفخوا فيها وزادوا ما شاء لهم هواهم أن يزيدوا، وقد وجهوا شبهاتهم حول مفهوم السنة وتدوينها، وجهالاتهم حول السند والمتن، ولذلك كان لزاما على الغيورين على شريعة اللهن وخصوصا فيما يتصل بالكتاب والسنة، مواجهة هذا المد الاستشراقي المملوء بالسموم والآفات الفكرية مواجهة جادة، وِفق أصول التحديث رواية ودراية، لرد هذه الشبهات وبيان تهافت تلك المفتريات ومواجهة هذه الأباطيل بعوامل البناء، لدحض عوامل الهدم والفناء.

إن هؤلاء المستشرقين الذين يبثون الشكوك حول السنة الشريفة ورواياتها وأسانيدها، يتذرعون- أحياناً- بما دخل على الحديث من وضع ودس، متجاهلين تلك الجهود التي بذلها علماؤنا لتنقية الحديث الصحيح من غيره، مستندين إلى قواعد بالغة الدقة في التثبت والتحري، مما لم يعهد عشر معشاره في التأكد من صحة الكتب المقدسة عندهم، وهذا ملاحظ ومشاهد في مؤلفات وصحاح السنة المطهرة، والذي حملهم على البغي والتجني على تراث رسول الله هو ما رأوه في الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا من ثروة فكرية وتشريعية مدهشة، وهم لا يعتقدون بنبوَّة خاتم النبيّين عليه الصلاة والسلام، فادعوا أن هذا لا يعقل أن يصدر كله عن النبي الأمي، بل هو عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى، فالعقدة النفسية عندهم هي عدم تصديقهم بنبوة محمد ومنها تنبعث كل تخبطاتهم ومفترياتهم وجهالاتهم.

ثانيا :الفقه الإسلامي:

الفقه الإسلامي كغيره من المجالات الاستشراقية التي نفث المستشرقون سمومهم في كل ما يتصل بدين الإسلام وتراثه الخالد، فأعملوا دراساتهم في الفقه الإسلامي من ناحية أحكام الشريعة الإسلامية ومصادرها، وتطور الدراسات الفقهية عند المسلمين، لعلمهم أن دراسة الفقه الإسلامي تعطيهم الفرصة لفهم أعمق للمجتمعات الإسلامية قديما وحديثا، وفي دراستهم للفقه الإسلامي، يسلطون الضوء على فهم الأحكام الإسلامية في العبادات والمعاملات في التشريعات الاجتماعية، وفي الفكر السياسي وغيرها من جوانب الدين، وقد حاولوا جهدهم من خلال هذه الدراسات التأثير في حياة الأمة الإسلامية بالزعم بعدم أصالة الفقه الإسلامي، وأنه مأخوذ من التشريعات الرومانية، والفارسية، والهندية، وغيرها ثم زعموا باطلا تطور التشريعات الإسلامية، ليصلوا من ذلك إلى أن يستمر المسلمون في تطوير وتحديث وتجديد هذه التشريعات تمهيدا للأخذ من التشريعات والأنظمة والقوانين الأوروبية الحديثة.

ولعل من أبرز من كتب في هذا المجال من الفقه الإسلامي من المستشرقين المستشرق، **"جوزيف شاخت"** 1902 – 1970م ، ومن المعروف أنه حاول أن يأتِي بنظرية جديدة حول أسس الفقه الإسلامي، ونشر لبيانِها عدة كتب ومقالات بالإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، ووضع كتاب (المدخل

إلى الفقه الإسلامي) لهذا الغرض، وإن كان كتابُه (أصول الشريعة المحمدية) يعد من أشهر مؤلفاته على الإطلاق، كما عبَّر عنه المستشرق **"جب"** بأنه (سيصبح أساسا في المستقبل لكل دراسة عن حضارة الإسلام وشريعته، على الأقل في العالم الغربي)، وقد أثرت نظريات **"شاخت"** تأثيرا بالغًا على جميع المستشرقين تقريبًا، مثل **"أندرسون** ، و**روبسون**، و**فيتزجرالد**، و**كولسون**، و**بوزورث"** ، كما أن لهذه النظريات تأثيرا عميقا على من تثقفوا بالثقافات الغربية من المسلمين.[15]

يقول د. **"محمد مصطفى الأعظمي "** : إن كتاب **"شاخت"** يحاول أن يقلع جذور الشريعة الإسلامية، ويقضي على تاريخ التشريع الإسلامي قضاء تاما، فهو يزعم أنه في الجزء الأكبر من القرن الأول لم يكن للفقه الإسلامي – في معناه الاصطلاحي – وجود كما كان في عهد النبي، والقانون – أي الشريعة – من حيث هي هكذا كانت تقع خارج عن نطاق الدين، وما لم يكن هناك اعتراض ديني أو معنوي روحي على تعامل خاص في السلوك، فقد كانت مسألة القانون تمثل عملية لامبالاة بالنسبة للمسلمين حيث صرَّح **"شاخت "**بأنه (من الصعوبة اعتبار حديث ما من الأحاديث الفقهية صحيحا بالنسبة إلى النبي) . ولقد حظيت مقولة **"شاخت"** تلك بصدى واسع لدى الكثير من المتغربين في بلاد المسلمين وأسست أفكار ومقولات يرددونها عبر ما يجدون من وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية فتعرضت السنة الشريفة والفقه الإسلامي إلى اتهامات ظالمة، وهجوم سافر ، وكأن الفقه لا علاقة له بالكتاب والسنة. وقد قام **"عماد الدين خليل"** من خلال بحثه المقارن "المستشرقون والسيرة النبوية، بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر **مونتجمري وات"** ، حيث بدأ بعدة ملاحظات أساسية اعتبرها بمثابة المدخل المنهجي لمناقشة المستشرق **"وات"** ، وهي تمثل منطلقات موضوعية لتقويم الدراسات في حقل السيرة الشريفة، إذ يؤكد أن الدين والغيب، والروح، لهي عصب السيرة وسداها ولحمتها، وليس بمقدور الحس أو العقل أن يُدلِي بكلمته فيها إلا بمقدار، وتبقى المساحات الأكثر عمقا وامتدادا بعيدة عن حدود عمل الحواس، وتحليلات العقل والمنطق، إننا – ونحن نناقش هذا المستشرق أو ذاك في حقل السيرة النبوية – يجب أن ننتبه إلى هاتين النقطتين، مهما كان المستشرق ملتزما بقواعد البحث التاريخي وأصوله، إنه من خلال رؤيته الخارجية وتغربه يمارس نوعا من التكسير والتجريح في كيان السيرة ونسيجها، فيصدم الحس الديني، ويرتطم بالبداهات الثابتة، وهو من خلال منظوره العقلي الوضعي يسعى إلى فصل الروح عن جسد السيرة، ويعاملها كما لو كانت حقلا ماديا للتجارب والاستنتاجات، وإثبات القدرة على الجدل، وكانت النتيجة أبحاثا تحمل اسم السيرة، وتتحدث عن حياة

[15] ناجي بن وقدان : **مجالات الاستشراق** ، نور الإيمان ، ديسمبر 2016 (https://alimanlight.com/ar/?p=842)

الرسول وتحلل حقائق الرسالة، ولكنها – يقينا – تحمل وجها وملامح وقسمات مستمدة من عجينة أخرى غير مادة السيرة، وروح أخرى غير روح النبوة، ومواصفات أخرى غير مواصفات الرسالة، إنها تسعى لأن تخضع حقائق السيرة لمقاييس عصر تنسخ كل ما هو جميل، وتزيف كل ما هو أصيل، وتَمِيل بالقيم المشعَّة إلى أن تفقد إشعاعها، وترتَمي في الظلمة، أو تؤول إلى البشاعة، إن الغربيين لم يستطيعوا أن يقدموا أعمالاً علمية بمعنى الكلمة لواقعة السيرة، ولا قدروا حتى على الاقتراب من حافة الفهم؛ بسبب أنهم كان يعوزهم التعامل الأكثر علمية مع احترام المصدر الغيبي، واعتماد الموقف الموضوعي بغير حكم مسبق الذي يتجاوز كل الإسقاطات، التي من شأنها أن تعرقل عملية الفهم، والجذور العميقة هي المنهج الخاطئ الذي تقوم عليه أبحاث هؤلاء المستشرقين؛ فالمستشرق بين أن يكون علمانيا ماديا لا يؤمن بالغيب، وبين أن يكون يهوديا أو نصرانيا لا يؤمن بصدق الرسالة التي أعقبت النصرانية، لذا فإنه – من الناحية المبدئية – يجب على المثقف المسلم رفض القبول النهائي لنتائج بحوث المستشرقين في حقل السيرة لأنها مهما تكن على درجة من الحيادية والنزاهة، فإنها لا بد أن تسقط في الخطأين: القصور عن الفهم وتدمير الثقة بأسس هذا الدين.

ثالثا : القرآن الكريم :

نظرا للمكانة المتميزة للقرآن في الثقافة العربية الإسلامية و دوره في تشييد الحضارة الإسلامية و ما خلفته من معارف و علوم و منجزات ، أولى المستشرقون اهتماما خاصا بالقرآن الكريم و اللغة العربية باعتبارها اللغة التي بني بها نصه و أداة فهمه ، فكانت أول جهودهم المعرفية موجهة نحو القرآن الكريم و محاولة فهم أسراره و معانيه و الإطلاع على بنية نصه ، لذلك تدشن المنجز الاستشراقي بعد تعلم اللغة العربية بأول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية ، و كانت تلك الترجمة منحصرة التداول بين رجال الكنيسة يحظر تداولها بين العامة خوفا من جاذبية القرآن و تأثيره في عقولهم و مشاعرهم ، ثم توالت مواقف المستشرقين من القرآن الكريم في دراساتهم المتعاقبة إلى غاية اليوم ، و تتمحور هذه الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم حول لغته ، من حيث أصلها و أصالتها و خصوصياتها و مصدره و روحانيته و إعجازه و رسمه و ترجمته و تفسيره و تاريخه .[16]

لقد أثار المستشرقون العديد من الشبهات حول القرآن الكريم ولا سيّما ما يتعلّق بكون القرآن الكريم لم يكن مدوّنًا على عهد النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد تأخّر جمعه في ديوان جامع بين الدفّتين، ومصحف تامّ كامل إلى زمن متأخّر بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنّ مفهوم النصّ

[16] جمعي بوقفة : **الاستشراق و الدراسات القرآنية** ، مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة لغة و دراسات قرآنية ، جامعة باتنة ، 2020 – 2021 ، ص 02

المكتوب كان حاضرًا في أذهان المكّيين الأوائل الذين لم يتجاوز عددهم المائة، ولقد أمدّهم بذلك المفهوم ما كانوا يعرفون من التّوراة التي كانت بين أيدي المسيحيّين واليهود في المدينة، أو أناجيل نصارى نجران والحبشة الذين كانوا على علاقات تجاريّة بهم. ومع ذلك فإنّ أنصار محمّد -كما يقول المستشرقون- لم يشعروا مباشرة بضرورة تدوين الرسالة الجديدة وأنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه لم يعط أهميّة لكتابة النصّ القرآني في حياته، ولهذا بقي القرآن المكّي محفوظًا في ذاكرة المسلمين المكّيين، وفكرة التدوين ربّما كانت تنشأ عن تحمّس شخصي لبعض نصوص تشتمل على أدعية أو أحكام شرعيّة كانوا يرونها مهمّة، ولقد شجّع النبي حماسة التّدوين هذه، ولكنّه لم يجعلها واجبة. مع أنّ علماء المسلمين يجمعون أنّ القرآن الكريم نقل إلينا بطريق التواتر؛ كتابة في المصاحف وحفظًا في الصدور، فقد نقله عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) جموع غفيرة يستحيل تواطؤهم على الكذب أو الوهم أو الخطأ، أبرزهم الإمام عليّ ومجموعة من الصحابة الأخيار، بالإضافة إلى مجموعة من العلماء والفقهاء وصولًا إلى عصرنا حيث وصل إلينا مكتوبًا في المصاحف. وقد تضافرت واتّفقت كلمات كبار علماء المسلمين على مرّ التاريخ على هذه الحقيقة، ما يدحض الشبهات التي أثارها المستشرقون حول القرآن الكريم. [17]

و قد اهتم المستشرقون بإصدار ترجمات لمعاني القرآن الكريم، وقد ظلَّ هذا المشروع محل اهتمامهم ونشاطهم منذ أول ترجمة تمَّت في 1143 م تحت رعاية **"بطرس المبجل"** " Peter the Venerable" وتوالَى ظهور الترجمات إلى اللغات الأوروبية المختلفة؛ كالإنجليزية والفرنسيةوالألمانية، والإيطالية، وغيرها، [18] ولم يكتفِ المترجِمون بترجمة النص القرآني، بل أضافوا أيضًا مقدِّمات - أو فصولاً - تحدَّثوا فيها عن القرآن الكريم، ومن المقدمات المشهورة مقدِّمة المستشرق الإنجليزي **"سال** SALE" ، وقد أساء فيها للقرآن الكريم أيما إساءة، وكتب المستشرق **"فلوجل"** كتاب "دليل القرآن"، و **"ماليرـ"** الذي جمع مفرداته وأفعاله حتى حروف الجر والعطف فيه، ورقم آياته وسوره، ومن هؤلاء أيضًا **"نولدكه"** الذي صنَّف تاريخ النص القرآني وغيرهم. [19]

رابعا : اللغة العربية وآدابها:

[17] سعيد عبيدي : **جمع القرآن و تدوينه بعيون استشراقية . عرض و نقد** ، مجلة دراسات استشراقية ، المركز الإسلامي للدراسات الاستشراقية ، العدد 26 ، 2021 ، ص 01 .

[18] محمد صالح البنداق: **نحو ترجمات للقرآن الكريم**- دار الآفاق الجديدة ، أغسطس 2011 ، ص 25

[19] عبد الجبار الرفاعي : **ماهية الاستشراق وميلاده**

يرى أغلب الدارسين و الباحثين العرب أن اللغة العربية هي لغة انتقائية مشتركة تشكلت أصولها و توضحت مقاييسها لدى قبيلة قريش ، و يرى الدكتور **"رمضان عبد التواب"** أن اللغة العربية المشتركة ليست لهجة قريش وحدها بدليل وجود الهمز فيها ، و قريش لا تهمز . كما يرى الدكتور **"تمام حسان"** أن الفصحى لغة العرب جميعا ، نمت في المجتمع العربي في عمومه لا في قبيلة بعينها و تقبلت في نموها عناصر لغوية من جميع اللهجات العربية حتى بدت قريبة إلى كل لهجة .[20]

أما المستشرقون فقد اهتموا بالكتب تأليفا و تحقيقا و أنشئوا مجلات علمية متخصصة في الاستشراق باللغة العربية أو بلغات أخرى لشرح ما توصل إليه غير الناطقين باللغة العربية ، أي توصيل الأفكار إلى بني جلدتهم و إلى المستشرقين الآخرين غير المتحكمين في اللغة العربية و ما أكثرهم . [21]

كما اهتموا باللغة العربية وبخاصة فقه اللغة الذي كان المدخل لكثير من المستشرقين للكتابة في مجالات كثيرة. و من الأمثلة على ذلك المستشرق **"هاملتون جب"** ، وكذلك المستشرق **"ماسينيون"** والمستشرق **سلفستر دي ساسي"** الذي أسَّس "مدرسة اللغات الشرقية الحية" في باريس، وكانت "قِبلة" المستشرقين في ذلك الزمن، ومن خلال اهتمام المستشرقين باللغة العربية وآدابها نادى بعضهم بالاهتمام باللهجات المحلية، وما يسمى بالفلكلور حتى إنهم أقنعوا كثيرًا من الطلاب العرب والمسلمين بإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه حول اللهجات المحلية والفلكلور، ودعا بعض المستشرقين أيضًا إلى العامية ووضع قواعد خاصة بها؛ بحجة صعوبة اللغة الفصحى، أو أنها قديمة، أو كلاسيكية غير صالحة في الوقت الحاضر، بل إن بعض المستشرقين نادوا بكتابة اللغة العربية بالأحرف اللاتينية.

إن الاهتمام بالأدب العربي الحديث قد ازداد على مرّ السنين؛ فهناك أكثر من دورية تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية وفي أوروبا، تتخصص في الأدب العربي أو الدراسات العربية؛ فهناك مثلاً: (المجلة الدورية للدراسات العربية Arab Studies Quarterly) ، ومجلة المختار في دراسات الشرق الأوسط (Digest of Middle East Studies) ، ومجلة آداب الشرق الأوسط (أدبيات) (Middle East Literature(Literary Articles)، التي تتعاون في إصدارها جامعة "أكسفورد" البريطانية، وجامعة "داكوتا" الشمالية بالولايات المتحدة الأمريكية، والتي بدأت في الصدور منذ عام 1996م.

---

[20] خالد نعيم الشناوي **فقه اللغات العروبية و خصائص العربية** ، دار و كمتبة البصائر للطباعة و النشر ، بيروت ، الطبعة الأولى 2013 ، ص 82 .

[21] عبد الحليم ريوقي : **(ماهية الاستشراق : النشأة المناهج و الأهداف ، الأصناف و الوسائل)** ، مجلة الإنسان و المجتمع ، جامعة تلمسان العدد 02 ، ديسمبر 2011 ، ص 78 .

ومن القضايا التي اهتم بها الاستشراق استخدامُ اللغة الفصحى في الإبداع الأدبي، سواء كانت قصة، أم رواية، أم مسرحية، وقد جعلوا هذه القضية من القضايا التي أولوها اهتمامًا كبيرًا، وقد ناقش **"أحمد سمايلوفيتش"** هذه القضية في كتابه: (فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي الحديث)، وأكَّد أنها من أخطرِ الهجمات التي تعرَّضت لها اللغة العربية، ونقل عن **"عثمان أمين"** قوله: "إن حملات التغريب شنَّها النفوذ الغربي وأعوانه في آسيا وإفريقيا، مصوبًا هجماته إلى التراث العربي الإسلامي بوجه عام، وإلى اللغة العربية بوجه خاص . [22]

إن الحضارة العربية نجحت في جميع شعوب قارات العالم ، و ذلك في ظل كيان ثقافي واحد و تراث علمي و فكري مترابط ، فالحضارة العربية هي أسمى ما عرفت الإنسانية في تاريخها الطويل ، فهي التي حفظت ما وصل إلينا من حضارات العالم القديم ، و أضافت إليه ما أسفرت من جهود أبنائها ، ثم بعد ذلك قدمته إلى العالم ، فكان ما قدمته إلى العالم أساسا لقيام حضارة قديمة ، فأدركت الشعوب الأوربية أن الثقافة العربية لها أهمية كبيرة ، و الثقافة العربية في نظر الغرب تراث و فلسفة الإنسان و المجتمع . [23]

إذن فالحضارة العربية هي المحور الأساسي و المحرك العقلي لتاريخ العالم ، و لذلك وجهت أوربا أنظارها و صوبت أفكارها و عززت وسائلها لدراسة العالم العربية الإسلامي فركزا في بداية الأمر على الثقافة و اللغة العربية . [24]

خامسا :العرب(تاريخهم و هويتهم) :

درس الاستشراق قبائل العرب قبل ظهور الإسلام وبعده، ودوره التاريخي والتشريعي، الأسر الحاكمة ودور العرب في الحضارة، المسلمون وحضارتهم من حيث التأثير والتأثر، سياساتهم ونظمهم العلمية والاقتصادية والاجتماعية، مناهج تعليمهم... الخ . وتم التركيز كثيرا على اللغة العربية، فقد حرص على دراسة كل ما يتصل بها من قريب أو بعيد، فبحث في فقهها وأصواتها ولهجاتها ونحوها وصرفها وأصولها ومعاجمها، وأطوارها وغزارتها، ومادتها، وفلسفتها، علاقتها باللغات الأخرى، وخاصة اللغات السامية، ومميزاتها وعناصرها، وتاريخها، ونقوشها...الخ [25]

---

[22] أحمد سمايلوفيتش : **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**؛ مرجع سبق ذكره ، ص668.

[23] مالك بن نبي – ترجمة عمر كامل سقاوي و عبد الصبور شاهين : **مشكلات الحضارة** ، دار الفكر ، سوريا ، 2009 ، ص 88

[24] بوزقاو مريم : **الاستشراق بين الرفض و القبول في الثقافة العربية** ، رسالة دكتوراه في الأدب العربي ، جامعة سيدي بلعباس – الجزائر 2020/2019 ، . ص 41

[25] وافية بن مسعود : **محاضرات في مادة الأدب العربي و الاستشراق** مقدمة لطلبة السنة الثالثة تخصص دراسات أدبية ، ص 16

سادسا :الحضارة العربية الإسلامية :

اهتم المستشرقون بتاريخها وتطورها ومعابرها إلى أوروبا، وفضلها على تطور الغرب في كل الميادين: العلم، الفلسفة، الأدب، البحث العلمي، الرياضيات، الفلك، الرحلات، التجارة، الطب، الصيدلة، الفنون التعليم، الجامعات، الأخلاق، الصناعات... الخ .[26]

سابعا : الفلسفة :

اهتم الاستشراق بالفلسفة الإسلامية، بأقسامها الثلاثة :الكلام، التصوف، والأخلاق، فاهتم بدراسة مصادرها وتاريخها وعناصرها وخصائصها وعلاقتها بالفلسفات العالمية الكبرى قديما وحديثا ومذاهبها وعلاقتها بالدين[27].

خلاصة :

لقد عكف المستشرقون على جمع كل المعطيات المتعلقة بالشرق ، و التي تضمنت الفهم و الدراسة و التحليل لكافة الميادين أهمها الإسلام و ركائزه (القرآن الكريم و السنة النبوية) ، و كذلك اللغة العربية و قواعدها ، أضف إلى ذلك كافة العلوم التي راد فيها العلماء الشرقيون و إن اختلفت دوافعهم و أغراضهم و تفاوتت بين العلم الموضوعي و الذاتية الإيديولوجية.

[26] نفس المرجع السابق

[27] نفس المرجع السابق

المحاضرة الخامسة : الدراسات الاستشراقية في حقل الأدب العربي القديم(دراسات تاريخية نصوصية – الشعر العربي و صحة الشعر الجاهلي) الجزء 01

المحاضرة الخامسة : الدراسات الاستشراقية في حقل الأدب العربي القديم
(دراسات تاريخية نصوصية – الشعر العربي و صحة الشعر الجاهلي) الجزء 01

مقدمة :

"لا يمكن القيام بأي دراسة للشرق قبل القيام بدراسة سابقة للنصوص الأصلية التي تحتاج بدورها إلى معرفة عميقة باللغات الأصلية ". [1]و بناء على هذا القول نشير إلى أن المستشرقين عكفوا على تدارس الأدب العربي في جميع محطاته التاريخية مع الإلمام بكل مواضيعه بما في ذلك من نحو و صرف و بلاغة و شعر و نثر ... الخ ، و قد حظي الأدب العربي القديم بقسط مهم من الدراسات الاستشراقية بكل مدارسها و روادها الذين أولوا عناية فائقة بهذا التراث التي تزخر به جامعات و مكتبات و معاهد الشرق و الغرب على حد السواء ، و من خلال هذه المحاضرة سنتحدث عن إسهام الدراسات الاستشراقية في حقل الأدب العربي القديم مع التركيز على مواضيع : الشعر الجاهلي ، الدراسات الاجتماعية و الأنثروبولوجية و الدراسات الفنية الجمالية ، و كذا الدراسات السيرية البيوغرافية .

1 - الاستشراق و الأدب العربي القديم (مع التركيز على الاستشراق الفرنسي) :

إن اهتمام المستشرقين بالأدب العربي لم يكن وليد اللحظة الحديثة أو المعاصرة ، بل كانت ضاربة جذورها في الأعماق منذ أزل قديم بداية مع نزول الوحي و فحول الشعراء العرب ، لأن التاريخ سجل لنا مآثرهم و أعمالهم في معاهدهم العلمية و إنتاجاتهم الفكرية ، و هو ما تثبته المطبوعات المنشورة عندهم و المخطوطات العربية المتواجدة في مكتباتهم . [2]

و قد اهتم الاستشراق خاصة الفرنسي(تعد المدرسة الفرنسية من أهم وأقدم مدارس الاستشراق في العالم فقد أفادت من القرب الجغرافي،ومن الظروف التاريخية التي فرضت الاهتمام بالمنطقة العربية[3] استجابة لتطور الذوق الأدبي في بلادهم في أواخر القرن السابع عشر ومطالع القرن الثامن عشر).[4] بالأدب العربي اهتماما متميزا، لعل ذلك يعود إلى أسباب عدة منها ريادة الفرنسيين الأدبية في أوروبا فترة طويلة، واحتكاكهم المتواصل بالبلدان العربية، بل ومكوث بعضهم في هذه الدول ردحا من الزمن، ومولد

---

[1] :شاخت وبوزورث- ترجمةد .محمد زهير مهوري : **(تراث الإسلام ج** ، سلسلة عالم المعرفة، الطبعة الثانية ، 1988.

[2] عاصم حمدان : **دراسة مقارنة بين الأدبين العربي و الغربي** ، نادي المدينة المنورة الأدبي ، المدينة المنورة ، بدون طبعة ، 1997 ، ص 39

[3] حبيب بوزوادة: **القراءة الاستشراقية للموروث الأدبي بين الموضوعية والإجحاف**،مجلة جدور، العدد37، جدة ،2014

[4] محمود المقداد: **تاريخ الدراسات العربية في فرنسا** ، سلسلة عالم المعرفة، 1992، ص126-127

آخرين بها. لكن السبب الأهم هو حصولهم على عدد كبير من المخطوطات العربية التي ما تزال المكتبات الفرنسية تزخر بها إلى الآن. ومهما يكن من أمر، فإن الدراسات الأدبية الفرنسية حول الأدب العربي تكاد تكون المرجع الأساس لكثير من المؤلفات العربية التي تناولت تاريخ الأدب وقضاياه في الفترة الكلاسيكية . [5]

يدخل اهتمام الاستشراق بالأدب العربي عبر عصوره المختلفة في إطار اهتمامه بالثقافات الشرقية على كثرتها و اختلافها ، و هي عناية أقل ما يقال عنها أنها و بغض النظر عن الخلفيات الإيديولوجية و العقدية ، خدمت فعلا الأدب العربي و حفظت الكثير من النماذج و النصوص الأدبية من الزوال و الضياع ، و ذلك بتطبيق مناهج و أساليب علمية مكنت من الإحاطة بطبيعة الحياة الأدبية و الفنية عموما ، التي سادت العالم العربي في القرون الماضية. [6] باعتمادها على منهجية متقدمة وتعمق و إلمام كما تدل كذلك على نوع من أنواع التخصص في الدراسات العربية.[7]

لقد مهد المستشرقون بأبحاثهم و دراساتهم عن الأدب العربي الطريق أمام ميلاد دراسات و أبحاث أخرى في الشرق الإسلامي عموما و العالم العربي على وجه الخصوص ، و آثارهم في هذا المجال لازالت ممتدة إلى يومنا هذا ، و اتخذها الجيل الجديد منطلقا له في إرساء دعائم جديدة للبحث العلمي ، و إن اعترت أعمالهم بعض النقائص أو لقيت انتقادات ، فإن ذلك لا يحوم دون الاعتراف بصنيعهم و اجتهادهم الأكيد في التنقيب و البحث و إصدار الأحكام ، و هذه الرؤى الاستشراقية التي و إن خلت أحيانا من الموضوعية و انساقت وراء أهواء و أغراض ذاتية ، كانت هي الأخرى منطلقا لإعادة النظر في تراثنا القديم ، و الكشف عن مواطن الزيف التي حاول بعض المستشرقين إرساءها ، و ذلك بتقديم الحجة و البرهان لبيان عكس ما ذهبوا إليه (أي المستشرقون) . إن الدراسات الأدبية و تاريخ الأدب التي نعرفها اليوم هي أثر من آثار المستشرقين و حسنة من حسناتهم [8] .

و للمستشرقين أيضا فضل كبير في تحقيق النصوص و المقارنة بينها و التمييز بين صحيحها و زائفها في حضور معطيات و قرائن شكلت عندهم أدوات للبحث و وسيلة للوصول إلى الحقيقة العلمية ، و هي خطوات لابد منها سواء كان البحث متعلقا بأدبهم المحلي أو أدب غيرهم من الشعوب . و قد اهتم بعض

---

[5] رمضان حينوني : **الأدب العربي القديم في كتابات المستشرقين الفرنسيين: (أندري ميكيل) و(شارل بيلا) نموذجين**

[6] Gaston Wiet **: Introduction à la littérature arabe** , édition GP maisonneuvre et larose , Paris , p 10

[7] مسالتي محمد عبد البشير : **الأدب العربي و إشكالات التأويل عند المستشرقين بحث في مسارات تلقي الخطاب العربي في النقد الاستشراقي الفرنسي** ، مجلة دراسات استشراقية ، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، العدد 09 ، 2017/2016

[8] عمر الدسوقي : **في الأدب الحديث (ج 01)** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، الطبعة الثامنة ، 1966 ، ص 385

منهم بإحياء التراث الأدبي و اللغوي و التاريخي ، و حققوا كتبا ضخمة تشبه المجامع العلمية تهتم بالبحث و الدرس ، و التحقيق و التعليق . [9]

2 - أسباب اهتمام الاستشراق بالأدب العربي :

إن علاقة الاستشراق بآداب العرب قديمة تعود إلى بداياته الأولى ، و لكنها رغم هذا القدم ظلت تقوم على افتعال نظرة إلى الشرقي تشكلت عبر ممارسات أدبية طالتها أيادي المستشرقين بالدراسة و صارت تعيد طبعها في سياقات أدبية جديدة ، تحاول النهم من غرائبية الشرق و سحره في أحكام يغلب عليها الطابع الإيروسي في التحليل و النظر ، و ألف ليلة و ليلة كانت مدخلا رئيسا لتبرير هذا الشرق الغرائبي المفتون الفاتن بسحره لعيون المستشرقين رسامين و أدباء . [10]

فالإنجاز في الأدب العربي القديم جاء واحدا من إنجازات استشراقية اجتاحت حقولا كثيرة . [11] وإذا تساءلنا عن الأسباب و الدوافع الكامنة وراء اهتمام المستشرقين المبالغ فيه بالأدب العربي ، و إفراد الجهد و الوقت و المادة في سبيل دراسته و تحقيقه و الحكم عليه نجد أن هذا التساؤل كثيرا ما راود المفكرين في الشرق و الغرب على حد السواء . و فيم يلي يمكن أن نلخص أهم الدوافع الكامنة وراء عناية المستشرقين بالأدب العربي :

2 – 1 - استجلاء صورة الشرق من خلال الأدب :

فالأديب لا يعبر عن تجربة خاصة و فردية بقدر ما يحاول أن يعبر في مصنفاته عن واقع اجتماعي في مختلف أبعاده ، و الذي تختلف مسائله من حقبة إلى أخرى ، فمتى ظهرت هذه المسائل جميعها في المصنفات الأدبية الشرقية ، فإنها تكشف عن الواقع الشرقي في مختلف أطواره ، و تفاعلاته مع الأطراف التي أسهمت في حدوث التغييرات ، و كذا تقدير ردود أفعاله إزائها . و المصنف الأدبي هو التعبير عن نظرة للعالم ، و عن وجهة نظر إلى مجموع الحقيقة التي ليست واقعا فرديا ، بل واقعا

---

[9] إبراهيم أبو الخشب : **تاريخ الأدب العربي في العصر الحاضر** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1987 ، ص 91

[10] محمد مكاكي : **صور من عناية الاستشراق المعاصر بالأدب العربي : الأدب النسوي أنموذجا** ، مجلة إشكالات ، المركز الجامعي تامنغست – الجزائر ، العدد الثاني ، ماي 2013 ، ص 49

[11] شريف حتيتة الصافي : **الظاهرة الاستشراقية و الأدب العربي الحديث " من نقد الإنجاز إلى نقد الخطاب "** ، مركز نماء للبحوث و الدراسات ، ص 08

اجتماعيا ، و الكاتب يدرك هذه النظرة ، و يشعر بها ، و يعبر عنها ، و لكل حقبة من الزمن وسائلها العامة الملائمة للتركيب الاجتماعي . [12]

2- 2 - دعوة المذهب الرومانتيكي إلى الاهتمام بآداب الأمم الأخرى :

إن الرومانتيكية ، و إن لم تكن من الدوافع الأساسية و الجوهرية في ميلاد الاستشراق كما هو الحال بالنسبة إلى الدافع العلمي و الدافع الديني ، إلا أنها كانت من العناصر التي دفعت بالمستعربين إلى الالتفاف حول آداب الأمم الأخرى و الشعوب الشرقية على وجه التحديد .

لقد أثرت الروماتيكية في تحديد سير الاستشراق الأدبي مجالا معرفيا يهتم بآداب الأمم الشرقية و يسعى إلى البحث في طبيعتها و كذا في الروابط التي تربطها بغيرها من الآداب ، و على اعتبار الاستشراق حركة متقدمة ، فإنها أسهمت في التفاف الغرب نحو الشرق و لاسيما الرومانتيكيين منهم انطلاقا مما قدمه للغرب من صور و انطباعات عن العالم الشرقي ، فظهر لهم أنه عالم السكينة و عالم الهدوء و الروحانيات الذي بحث عنه الفرد الغربي في موطنه و لم يجده ، فاتجه بأنظاره صوب الشرق عله يعثر على ضالته . من هنا نجد فرار الرومانتيكي بروحه و خياله من بيئته و حاضره إلى بيئات يحلم بها . [13]

2 – 3 - تأثير الأدب العربي في آداب الأمم الأخرى : تعد ظاهرة التأثير و التأثر بين الآداب المختلفة من بين العوامل الأساسية التي وجهت أنظار المستشرقين إلى الاهتمام بالأدب العربي نظرا لما وجدوا من ملامح عربية كثيرة في الآداب الغربية ، يظهر من خلاله مدى تأثر الأدب الغربي بالثقافة الشرقية و الإسلامية عموما ، التي أصبحت تشكل بالنسبة إلى الأديب الغربي مورده الخصب الذي يستقي منه صورا و مضامين تخرج أدبه على نحو لم يعهد في البيئة الأدبية الغربية . [14] و هذا يدلنا على مدى إيمان الغرب و اقتناعه بأن أساس تطوره الفكري و الأدبي لابد و أن تكون ظاهرة التأثير و التأثر إحدى دعائمه الأساسية ، وأن الاستفادة من تجارب الغير المختلفة قد تسهم في تحقيق بناء حضاري ، و كذا لقاء فكري بين الأمم . [15]

---

[12] كارلوني و فيللو - ترجمة جورج سعد يونس: **تطور النقد الأدبي في العصر الحديث** ، دار مكتبة الحياة للطباعة و النشر ، لبنان ، بدون تاريخ ، ص 13

[13] غنيمي هلال : **الرومانيكية** ، دار العودة ، بيروت ، 1973 ، ص 127

[14] Gustave Lanson : **Essais de méthode de critique de l'histoire littéraire** , 93

[15] فتيحة سريدي : **المستشرقون و دراسة الأدب العربي** ، مجلة التواصل الأدبي ، جامعة عنابة – الجزائر ، العدد 01 ، جوان 2007 ، ص 251

3 - نماذج عن إسهامات المستشرقين في دراسة الأدب العربي :

3 -1 - التأليف : تعدّدت مجالات التّأليف في الدراسات العربيّة والإسلاميّة لدى المستشرقين، وبلغ عدد ما ألّفوه عن الشّرق في قرن ونصف ستّين كتاب، ومن هنا عكفوا على تأليف الكتب و إصدار الموسوعات و إخراج المعاجم، حتّى صار لهم إنتاج ضخم وسَيْل متدفّق من الكتب التّي تحمل أفكارهم وخلاصة آرائهم بشتى اللّغات الأجنبيّة، وكثير من هذه الكتب ترجمت إلى اللّغة العربيّة.

ولقد أنتج المستشرقون الأُلوف من الكتب والبحوث في التّاريخ العربي الإسلامي، وفي علم الكلام وفي الشّريعة والإسلاميّة والفلسفة، والتصوّف الإسلامي وفي تاريخ أدب اللّغة العربيّة وفي الدراسات المتعلّقة بالقرآن وبالسنّة، وفي النّحو العربي وفقه اللّغة العربيّة، ولم يتركوا مجالا من مجالات العلوم العربيّة والإسلاميّة إلاّ وألّفوا فيه، ولهم بعض مؤلّفات قيّمة ذات فائدة علميّة للباحثين[16] ، و لعل أهمها كتاب **" تاريخ الأدب العربي "** ل **" كارل بروكلمان "** و تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي - " ل **ريجيس بلاشير "** و غيرهم كثير .

3 – 2 - جمع المخطوطات العربية : إن العناية بالتراث العربي كان و لا زال ضرورة تضطلع بها النفوس الغيورة على تاريخ أمتها و علومها ، فكان علم تحقيق المخطط من العلوم التي قيضت للعلماء و الدارسين الإطلاع على مختلف النفائس و الدخائر العلمية التي ورثها السلف عن الخلف ، فالتحقيق علم من جهة ، و صناعة و إصلاح من جهة أخرى . [17]و في ظل نقص جهود العرب في جمع المخطوطات و تحقيقها ، برزت جهود المستشرقين التي ارتكزت على المعرفة المعمقة باللغات كالعربية ، والفارسية ، والتركية والصينية ، كما ارتكزت على فك رموز المصادر الأولية وبالتالي فقد لزم كل شيء لتصنيف هذه المخطوطات ، وطبع النصوص وترجمتها والتعليق عليها ، قد لزم اختراع أدوات العمل بناء على قاعدة هذه المصادر أي الأدوات ، الفهارس البيبليوغرافية، من أجل مواصلة الدراسات على مدى أبعد .وقد لزم على مستشرقي تلك الفترة أيضا أن يرسموا الأطر التاريخية المتينة ، وإن يؤسسوا من أجل ذلك علم التاريخ الوقائعي أو الحدثيوالسلالي والجولياتي ولو على مستوى بدائي واعتمدوا على ذلك مناهج التاريخ النقدي التي كانوا بالكاد ابتدأوا يطبقونها على الغرب فمدوها على الشرق" . [18]

---

[16] محمود حمدي زقزوق: الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، مرجع سبق ذكره ، ص68

[17] جوتهلف برجستراسر – ترجمة محمد حمدي البكري : **أصول نقد النصوص و نشر الكتب** ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، بدون طبعة ، 1995 ، ص 11

[18] مكسيم رودنسون و آخرون : **الاستشراق بين دعاته ومعارضيه** ،دار الساقي ، الطبعة الأولى ، 1994 ، ص 89

يعد المستشرق الألماني **"برجستراسر"** من الرواد الذين ألفوا و خاضوا في فن المخطوط ، و ذلك من خلال المحاضرات التي ألقاها على طلبة الماجستير بقسم اللغة العربية و آدابها بكلية الآداب بجامعة القاهرة سنة 1931م ، حيث لقنهم أسس و طرق هذا العلم و التي جمعت في كتابه " أصول نقد النصوص و نشر الكتب" . و من بين المستشرقين الذين لمع نجمهم في مجال المخطوطات العربي نذكر **"بلاشير"** و **"سوفاجيه"** و ذلك بإخراجهما كتيبا بالفرنسية تحت رعاية جمعية " جيوم بوده " في فن نقد النصوص و نشر الكتب تحت عنوان " قواعد نشر النصوص و ترجمتها . [19]

فكان المخطوط العربي مُتوفّر ا في المكتبات الأوروبيّة ولربّما أكثر منه في المكتبات العربيّة، وما يُعزّز هذه الفرضيّة ما ذكره **" إدوارد فان دايك "**في مطلع كتابه قائلا " :نُلاحظ أنّ 57 ٪ من المخطوطات تكاد تنحصر في المكتبات الأوروبيّة في كلّ من برلين و فلورناز وجوتهن، وكوبنهاجن ولايبيزج ولايدن ولندن ولوندا وأكسفورد ، وباريس وبطرسبرج وفينا ، "و 25 ٪ منها في العواصم العربيّة والإسلاميّة لاسيما القسطنطينيّة وبغداد ودمشق والقاهرة وكان**" يعقوب كريستمان"** 1554م 1613م أوّل من وضع فهرس للمخطوطات العربيّة، لقد كان لهذا المستشرق جهد محمود في التّمهيد للدراسات العربيّة في ألمانيا، قام بتأليف العديد من البحوث في مجال العربيّة، من أهمّها الإله الفريد في العالم الإسلامي والفردوس اليهودي الإسلامي. كما جمع المستشرق الفرنسي غيوم بوستل آلاف من المخطوطات العربيّة والإسلاميّة حصل عليها إبّان جولته في الشّرق ثم باعها لمكتبة هايدلبرج. كما وضع**" بروكلمان"** 1956 م فهرس المخطوطات الموجودة في مكتبة الدّولة في برسلو وبريتاخ، وفهرس المخطوطات في مكتبة جامعة هايدلبرج. كما قام **"وليم آلوارد"** 1909م بوضع فهرس للمخطوطات العربيّة في مكتبة برلين الوطنيّة في عشر مجلّدات جسيمة وضُخام، بلغ فيه الغاية فنا ودقّة وشمولا وقد صدر هذا الفهرس في نهاية القرن الماضي، واشتمل على فهرس لنحو عشرة آلاف مخطوط، وقد قام المستشرقون في الجامعات والمكتبات الأوروبيّة كافة بفهرسة المخطوطات فهرسة دقيقة ولعلّه أعظم مستشرقي هذا الميدان ويُعتبر فخرا للاستشراق الألماني.

وهناك دراسات للمستشرقين عن هذه المخطوطات في مجالات عديدة وعلى سبيل المثال قامت باحثة من المستشرقين بإعداد بحث عن نوادر مخطوطات القُرآن الكريم في القرن السّادس عشر قال عنه "أمين الخولي" بعد أن سمعه أثناء حضوره مؤتمر المستشرقين الدّولي الخامس والعشرين: " لقد أعدت السّيدة **"رتشكوفسكي"** بحثا عن نوادر مخطوطات القرآن في القرن السّادس عشر الميلادي وإنّي أشكّ في أنّ

[19] عبد اللطيف حني : **منهج المستشرقين في حفظ و تحقيق المخطوطات العربية – المستشرق جوتهلف برجستراسر أنموذجا -** ص 158

الكثير من أئمّة المسلمين يعرفون شيئًا عن هذه المخطوطات، وأظنّ أنّ هذه المسألة لا يمكن التّساهل في تقديرها" .[20]

3 – 4 - المعاجم المعجمي : كان للمستشرقين منذ بداية اهتمامهم بالمعجمية العربية تصورات واضحة للتأليف المعجمي العربي .[21]

، و في هذا الصدد يقول إبراهيم النّملة: " وللمستشرقين أثر ودورواضح في خدمة التراث اللّغوي العربي والإسلامي منذ أن استقام عود الاستشراق وتكوّنت لديه العرافة وتحوّل من مجرد أداة هدم إلى ظاهرة لها . [22]

إن الباحث في ميدان الدراسات اللغوية العربية ليعجب كل العجب حين يقف أمام الجهود الجبارة التي بذلها المستشرقون خدمة للمعاجم العربية ، فقد صرفوا الوقت و الجهد في تصنيف معاجم لغوية محكمة يشهد لها أبناء العربية قبل غيرهم بالعظمة و الجودة ، و ربما لا نخطئ حين نقول : إن بعض تلك المعاجم ضارعت أمهات المعاجم العربية في ثرائها و إحكام وضعها ، و عناية المستشرقين بالمعجم العربي ليست وليدة عصر النهضة ، بل تعود جهودها إلى القرن الثاني عشر الميلادي ،[23] و يمكن أن نذكر أهم المعاجم التي خلفها هؤلاء المستشرقين و هي :

المعجم العربيٌ بالحرف القشتالي للإسباني" **بدرو دي ألكالا "**

معجم اللغة العربيٌة للإيطالي " **أنطونيوس جيجايوس"**

المعجم العربيٌ اللاتيني للهولندي **"يعقوب جوليوس"**

المعجم العربيٌ اللاتيني ل **"جورج فلهلم فريتاج ."** [24]

المعجم اللّغوي التاريخي ل **"فيشر"** [25] .اعتمد" **فيشر"** على مائتين و اثنين و تسعين مصدرا .[26] وكان أول من نادى بحاجة اللغة العربية إلى معجم تاريخي متكامل رغم اعترافه بالمعاجم العربية القديمة التي

---

[20] مدني زنوش و صفية حماني : **جهود المستشرقين في مجال التأليف المعجمي – رينهارت آن دوزي نموذجا –** جامعة مولود معمري – تيزي وزو – الجزائر ، 2019 / 2020 ، ص 23 ، 24

[21] صالح بلعيد : **في الأمن اللغوي** ، دار هومة للنشر و الطباعة و التوزيع ، الجزائر ، بدون طبعة ، 2010 ، ص 192

[22] .علي إبراهيم النملة : إسهامات التراث العربي الإسلامي، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، الطّبعة الأولى ، 1996 ، ص20

[23] يوهان فوك – ترجمة عمر لطفي العالم : **تاريخ حركة الاستشراق – الدراسات العربية الإسلامية في أوربا حتى بداية القرن العشرين** ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، الطبعة الثانية ، 2001 ، 21

[24] جميلة روقاب : **جهود المستشرقين في صناعة المعاجم** العربية، مجلة التواصلية ، العدد 11 ص 67

ألفت وانتفع بعضها ببعض كما انتفع بها هو أيضا ، مع بيان أسس هذا المعجم ، فلم تكن دعوة عابرة بل دعوة تحمل معها نظرية واضحة المعالم ، دعا إليها صاحبها و أوضح أسسها و مبررات تلك الحاجة .[27] و تميز معجمه بتذييل المادة المشروحة باللغة العربية بترجمة مختصرة باللغتين الفرنسية أو الانجليزية بغية فهمها ممن لم يتمكن من اللغة العربية. [28]

تكملة المعاجم العربية ل **"رينهارت بيتر آندوزي"** الذي أخذ مادته اللغوية من كتب الرحالة خاصة ابن بطوطة. [29]

3 – 5 - الترجمة : أدى التفوق العسكري والحضاري للمسلمين إلى دخول أعداد كبيرة من المسيحيين إلى الإسلام ، كما أنّ كثيرا ممن بقوا على نصرانيتهم أعجبوا في قرارة أنفسهم بالإسلام والمسلمين مما جعل الرهبان على قيادة حركة لدراسة اللغة العربية وترجمت التراث الإسلامي بقصد تشويهه وحجب محاسنه عن الجماهير المسيحية الخاضعة لنفوذهم." [30] و قد شكلت حركة الترجمة إحدى الظواهر ا لثقافية المهمة إبان القرنين السابع عشر و الثامن عشر الميلاديين .و على هذا النسق استمرت رحلة البحث عن نفائس المخطوطات العربية بكل الطرق المتاحة، فمن جهة بعثات الطلبة الذين كان من نصيبهم حظ وافر من مكنونات هذه الكتب و من علمها الزاخر، و من جهة بعثات الرحالة و الحجاج والسفراء و المبعوثين الذين لم يألوا جهدا في اقتناء ما أتيح من الكتب و المخطوطات خاصة عن طريق شرائها من مختلف المناطق مثل العاصمة العثمانية إسطنبول التي كانت مكتبتها العامة و الخاصة تعج بالمخطوطات العربية المجلوبة إليها من الولايات العربية المختلفة، كما كانت تجمع من بعض المدن العربية الكبيرة على غرار دمشق و بغداد وفاس و غيرها من كبريات الحواضر الإسلامية. [31]

و لقد كثرت المخططات العربية في المكتبات العامة و الخاصة في فرنسا، خاصة

---

[25] نرجس بخوش : **صناعة المعجم العربي عند الألماني فيشر** ، مجلة دراسات استشراقية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، العدد 26 ، 2021 ، ص 02

[26] فيشر : **المعجم اللغوي التاريخي**، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، بدون طبعة 1967 ، ص 02

[27] جميلة روقاب : **جهود المستشرقين في صناعة المعاجم** العربية، مجلة التواصلية ، العدد 11 ، ص 08

[28] سليم عواريب : **المعجم اللغوي التاريخي من منظور أوجست فيشر وعلم اللغة الحديث** ، مجلة القارئ للدراسات الأدبية و النقدية و اللغوية جامعة الوادي – الجزائر ، ، العدد 04 ، جوان 2020 ، ص 499

[29] أحمد كاس : **إسهامات المستشرقين في التأليف المعجمي** ، مجلة تاريخ العلوم ، العدد الرابع ، ص 71 ، 72

[30] محمد عبد الفتاح عليان : **أضواء على الاستشراق** ، دار البحوث العلمية ، الكويت، بدون طبعة ، 1980

[31] أندلوسي محمد : **الترجمة الأدبية من العربية عند المستشرقين – المدرسة الفرنسية نموذجا** ، كلية الآداب و اللغات الأجنبية ، قسم اللغة و الأدب العربي ، جامعة تلمسان ، 2009 / 2010 ، ص 73

أنها كانت ميزة للتباهي زيادة على أهميتها العلمية و التاريخية، و وصل عدد هذه المخطوطات حسب بعض الدراسات 1683 مخطوطة سنة 1838 م ."و بالتالي تزايد الإحساس بأهميتها مما دفع لويس السادس عشر فيما بعد إلى مشروع طموح يهدف إلى ترجمة كل هذه المخطوطات العربية إلى الفرنسية لكنه مات قبل تحقيق مراده، و ما فتئت الأمور تتحسن بالنسبة للفرنسيين و تسوء بالنسبة للدولة أو الخلافة الإسلامية. فبعد الاتصال المباشر بين فرنسا و العالم العربي و الذي حدث في القرن التاسع عشر، انطلاقا من حملة نابليون على مصر، واحتلال فرنسا للجزائر سنة 1830 م، و لتونس سنة 1881م، ثم تواجدها بالمغرب و الشام بعد ذلك، زادت روافد المخطوطات العربية التي بدأت تتدفق من المستعمرات الجديدة و البلدان المنتدبة إلى المكتبات الفرنسية، و على سبيل المثال الدال على قوة هذه الروافد الجديدة، نجد أنه في الربع الأخير من القرن التاسع عشر حيث بلغ عدد المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية بباريس وحدها ثلاثة آلاف و خمس مئة مخطوط .وقد تضاعف هذا العدد فتجاوز سبعة آلاف صنفت تصنيفا جيدا و حفظت بأحدث الوسائل العلمية. إن هذه الأعداد الهائلة من المخطوطات العربية و المنجزات الحضارية العربية المختلفة التي عرفتها فرنسا منذ أزيد من ألف عام و التي لم تتوقف عن النمو و التراكم، قد أوجدت حولها طبقة من الدراسيين و الباحثين المهتمين باللغة العربية و آدابها و الذين شكلوا في معظمهم رجالات الاستعراب أو الإستشراق بوجه عام .و قد واكب عمليات الجمع هذه دراسات علمية للمستشرقين الفرنسيين عن علوم المخطوطات العربية و من أشهرها كتاب بلاشير و سوفاجيه " قواعد تحقيق المخطوطات .[32]"

3 – 6 - عناية المستشرقين بدراسة اللغة العربية :

منذ بداية الاستشراق البعيدة والغرب يهتم بكل ما صدر عن المسلمين ، فهم الذين أنشؤوا مئات الأقسام العلمية، كما تحتفظ مكتباتهم بألوف المخطوطات في شتى المعارف. وقد ثبت أن بعض الأدباء في الغرب تأثروا بالأدب العربي في عصور ازدهار الأمة الإسلامية. والاهتمام بالأدب العربي في الغرب لا ينبع من ترف فكري ذلك أن دراسة الأدب مهمة لدراسة الشخصية التي أنتجت هذا الأدب وذلك كما قال "سمايلوفيتش" :" فالأدب بالنسبة للعرب يعد ديوانها ويتأمل تاريخها، ويبرز عقليتها، ويمثل انفتاحها ويدفع بقدمها إلى الأمام... " ، وظل الأدب العربي بشعره ونثره من الأمور التي شغف بها الاستشراق محاولاً إلى معرفة العرب واتجاههم." [33]

اعتنى المستشرقون باللغة العربية الفصحى عناية بالغة ، و هذه العناية موغلة في القدم ، فلقد أثبت التاريخ أن الغرب نهل من معين اللغة العربية الفصحى و تزود من تراثها ، و أن إتقان العربية كان

[32] نفس المرجع السابق ، ص 75

[33] أبو زيد، أحمد: **الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية** ، سلسلة كتاب دعوة الحق ، العدد 145، محرم 1415هـ.

شرطا حاسما لمن أراد أن يدرس الحضارة و يتثقف بالعلم و المعرفة ، و لقد لمعت أسماء عدة لعلماء غربيين برعوا في اللغة العربية من أمثال **" روجر بيكون "** ، و من الطرفة بمكان أن طلابه في الجامعات الأوربية لا يقلون إتقانا للعربية منه حتى قيل عنه أن تلاميذه كانوا يتهكمونه أحيانا إذا أخطأ في ترجمة بعض النصوص العربية إلى اللاتينية . [34]

و ذكر أن **" ألفارو "** و هو أحد أساقفة قرطبة كتب رسالة إلى صديق له عام 854م جاء فيها قوله : " من الذي يعكف اليوم بين أتباعنا ... على دراسة الكتاب المقدس أو يرجع إلى كتاب أي عالم من علمائنا ممن كتبوا باللاتينية ؟ من منهم يدرس الإنجيل أو الأنبياء أو الرسل ؟ إننا لا نرى غير شبان مسيحيين هاموا حبا باللغة العربية يبحثون عن كتبها و يقتنونها و يدرسونها في شغف ، و يعلقون عليها و يتحدثون بها في طلاقة ، و يكتبون بها في جمال و بلاغة ، و يقولون فيها الشعر في رقة و أناقة ، يا للحزن ! مسيحيون يجهلون كتابهم و قانونهم و لاتينيتهم ، و ينسون لغتهم نفسها . و إذا كان النصارى قد نجحوا في إخراج المسلمين الأندلس و من غيرها ، و أفلت شمس الحضارة الإسلامية في الغرب ، فقد استمر " الموركسيون " يستخدمون الحروف العربية و يكتبون بها أدبهم ، و هو ما عرف في أوساط المستشرقين باسم" AL -Jamiado" حتى التزمت بعد ذلك الحروف اللاتينية . أما بلاد البلقان فبقيت الحضارة الإسلامية و الأبجدية العربية حتى منتصف القرن العشرين تقاوم صنوفا من ألوان المصادرة و الحرب على كل ما له صلة بالعربية و الإسلام .

و لقد كانت للمستشرقين إنجازات كثيرة و متنوعة في اللغة العربية ، و نراها في بعض المجالات أكثر دقة و نوعية مما أنجزه العرب أنفسهم ، و صارت هذه الأعمال كمصادر و مراجع أصلية للغة العربية و هذا في كل ما يتصل بها من قريب أو بعيد ، فبحثوا في فقهها ، و أصواتها ، و لهجاتها ، و نحوها و صرفها ، و أصولها ، و معاجمها ، و أطوارها ، و غزارتها ، و مادتها ، و فلسفتها ، و علاقاتها باللغات الأخرى ، و خاصة اللغات السامية ، و مميزاتها ، و عناصرها ، و تاريخها ، و نقوشها ، و كل ما أنتجته هذه اللغة . و من هذه الأعمال نشير إلى :

" يوهان فاك Y.Fuck ": (دراسات في اللغة و اللهجات و الأساليب العربية ...) اهتم المؤلف في هذا الكتاب بدراسة العلاقة بين الإسلام و اللغة العربية ، و درس خصائصها و ارتباطها بالقران الكريم و تطورها بعد وفاة الرسول عليه الصلاة و السلام ، و حياتها في العهد الأموي ، و أطوارها في العهد العباسي ... و سيطرتها على العالم الأدبي و العلمي و الفكري ، و لهجاتها و فصاحتها ، و ظهور اللغات

[34] محمد مصطفى بن الحاج : **عالمية اللغة العربية** ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ تونس ، المجلد 10 ، العدد 19 ، 1990 ، ص 259

الدارجة ، و العلاقات اللغوية في المحيط الإسلامي ... و بداية مرحلتها الحديثة بحملة " نابليون " و مشكلة اللحن و أطوارها ، و غيرها من المسائل) .

" إسرائيل ولفنسون Y.Welfensohn " :(تاريخ اللغات السامية) : بحث في اللغة العربية و منزلتها بين اللغات السامية الأخرى ، ثم في اللهجات العربية البائدة و اللهجات العربية الباقية ، مشيرا إلى المنهج العلمي لعلماء الاستشراق في دراستهم للغة العربية و ما يتعلق بها .

" هنري فليش P.H . Fleiseh " : (العربية الفصحى) : درس اللغة العربية بإسهاب ... من جوانبها الصوتية و الصرفية و الاشتقاقية .

و من المستشرقين من توافر على المعجم العربي كشفا و تحقيقا و نشرا و دراسة ، و منهم الأسماء الآتية:

" إدوارد وليام لين Edward William Line " له مد القاموس ، و هو معجم عربي إنجليزي ... و قد ضمن مقدمته وصفا لعدد غير قليل من المعاجم العربية القديمة جاء في الإيجاز و الإفادة .

" وليام رايت William Wright " له جرزة الحاطب و تحفة الطالب " ، و هو اسم مجموعة تحتوي على : صفة السرج و اللجام ، و صفة السحاب و الغيث ل " ابن دريد " ،و تلقيب القوافي ل " ابن كيسان " .

" آرثر .ج .أربري Arthur John Arberry " نشر تمام الفصيح ل " ابن فارس .

و كل هؤلاء المستشرقين من الإنجليز ، و غيرهم كثير من مختلف الجنسيات الأوربية و الأمريكية و الروسية بذلوا جهودا كبيرة في خدمة المعجم العربي في مجال التحقيق و الترجمة و النشر ، و من المستشرقين من شارك في المجمعات اللغوية العربية في كل من مصر و دمشق و بغداد و غيرها و أسهم بجهوده في خدمة تلك المجامع ، و كذلك أسهم المستشرقون الألمان بجهود جمة في التأثير على كثير من الدراسات العربية الإسلامية بصفة عامة و الدراسات اللغوية بصفة خاصة ، فالنظرة الفاحصة في إحدى الببليوغرافيات تظهر أن تأليفهم هو خمس تأليف نظرائهم الأوربيين مجتمعين ، و تحقيقاتهم تبلغ الثلث . [35]

[35] محمد عيساوي : **التأثيرات الاستشراقية في مسيرة اللغة العربية الفصحى بين الإنصاف و الإجحاف** ، مجلة تاريخ العلوم ، العدد 07 ، مارس 2017 ، ص 303

أندري ميكال: أحاط "أندري ميكال" علما بالأدب العربي قديمه وحديثه، وسار على نهج أستاذه "بلاشي"ر في كثير من الأحكام التي أصبحت بمثابة القواعد الثابتة لكل دارس غربي للتراث الأدبي العربي، على الرغم من تحرره من القيود التي يشعر الدارس العربي أنه ملتزم بها، أهمها قدسية القرآن وسلطة الدراسات التي بُنيتْ عليه. لهذا وجب التعامل مع آرائهم بعلمية لا بعاطفة الميل إلى ما ذهب إليه نقادنا ومفكرونا الأوائل، فهم يخاطبون القارئ الغربي بالأساس؛ دون أن يعني ذلك طبعا أن المستشرقين على حق ابتداء في ما توصلوا.

" شارل بيلا ": تناول شارل بيلا في مؤلفه (اللغة والأدب العربي) تاريخ الأدب العربي في مراحله المختلفة، وبشكل غاية في الاقتضاب، من خلال الكشف عن خصائص اللغة العربية في شكلها الأدبي والشعبي، في أربع عصور هي : العصر الجاهلي إلى حدود سنة 750م، فالعصر الإسلامي الممتد من بعثة النبي إلى الغزو المغولي وسقوط بغداد عام 1258م، فمرحلة عصر الظلمات الذي ينتهي سنة 1800م، ثم عصر النهضة بدءا من هذا التاريخ.[36]

" يوهان بورخارت " :عضو جمعية بازل العلمية الذي زار بعض البلاد العربية، ويعد عودته إلى انجلترا درّس في جامعتي لندن وكمبردج اللغات الشرقية والعلوم الإسلامية ، وتخصص بالأدب العربي ثم عاد إلى سوريا، فواصل دراسة اللغة والأدب العربيين في حلب لفترة من الوقت حتى أتقن اللغة العربية اتقانا تاما وكذلك اللهجات الدارجة ، وانصب اهتمامه بعد ذلك على تاريخ العرب والمسلمين وتاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها، وقد انتحل اسما مستعارا في رحلاته هذه هو" إبراهيم بن عبد الله" وأحيانا شخصيات أخرى عندما عبر الصحراء العربية في بعض البلاد العربية ، وعاش في الحجار و قضى فترة مع البدو في الصحراء ، وعاش تقاليدهم وعاداتهم ، وامتدح حياتهم وأخلاقهم وحسن تعاملهم.

ومن المستشرقين الذين أسهموا إسهاما زائدا في مجال الدراسات الأدبية واللغوية والمعجمية العربية ولهم بصماتهم الكبيرة والمرجعية في هذا الجانب، المستشرق الألماني **"كارل بروكلمان"** صاحب كتاب "تاريخ الأدب العربي "بأجزائه الخمسة، والمرجع الذي لا غنى عنه للباحثين في هذا التخصص الهام في فكرنا وأدبنا العربي. وقد اشتهر **"بروكلمان"** بجم نشاطه الغزير الذي اتصف بالموضوعية – في

[36] رمضان حينوني : **الأدب العربي القديم في كتابات المستشرقين الفرنسيين) : أندري ميكيل) و(شارل بيلا) نموذجين أستاذ محاضر بالمركز الجامعي لتامنغست / الجزائر**

أغلبها -والعمق والشمول والجدة، مما جعله مرجعا في التاريخ الإسلامي والأدب العربي ، وله الكثير من المؤلفات والتراجم، وتحقيق المخطوطات في المجال الأدبي.

ومن المستشرقين المبرزين في ميادين الأدب العربي واللغات السامية ، المستشرق الفرنسي**" غيوم بوستل "**الذي أجاد العربية ، وعدد من اللغات الشرقية، وله دور بارز في ميدان الدراسات العربية في عصر النهضة .

ومن المستشرقين البارزين في الدراسات العربية وأدبها وغيرها من المجالات

الأخرى المستشرق الانجليزي**" هاملتون جب "**الذي نال شهرة واسعة في عصره

و التي يختلف البعض في تقييمها، لكن **" جب "**يعتبر من المتخصصين في اللغات السامية ومنها العربية ، وأصبح بعد ذلك أستاذا للغة العربية في جامعة لندن.وفي عام 1926 م عين بلقب" Reader " في تاريخ العرب والأدب العربي في جامعة لندن، ولما توفي "سير توماس ارنولد" في 1930 "م خلفه على كرسي اللغة العربية في جامعة لندن(ومقره في مدرسة اللغات الشرقية)، كما خلف سير " توماس أرنولد" كمحرر بريطاني " لدائرة المعارف الإسلامية " وفي عام 1945 م كان أحد المرفين الأوائل واستمر في كرسيه بجامعة لندن حتى 1973 م حيث صار أستاذا للغة العربية في جامعة اكسفورد خلفا ل "مرجوليث" ، ثم زميلا في كلية سانت جون بأكسفورد. وقد تميّز**" جب "**بتعدد الموضوعات التي كانت حولها ، وله العدد من الأبحاث والمؤلفات منها في اللغة العربية، والأدب العربي، ودراسات في الأدب العربي المعاصر، له كتاب" شاعر ونحوي عربيان "، وله الكثير من الدراسات العربية الأخرى في التاريخ والقانون والفلسفة والتراجم وغيرها وقد عين عضوا في المجمع العلمي بدمشق والمجمع اللغوي في القاهرة .

ويجب ألا ننسى مستشرقين كبارا كانت لهم أدوار بارزة في اللغة العربية وآدابها ، وأسهموا إسهاما كبيرا من أمثال المستشرق الفرنسي **" دي ساس ي"** والبريطاني **" دافيد مرجليوث "**والهولندي **" توماس فان اربن "**والألماني **" أدولف فردريش"** [37]

3 – 7 - اهتمام المستشرقين بالدر س النحوي العربي:

لقد كان للمستشرقين جهود ضخمة في مجال الدراسات التاريخية تمثل ذلك جليا وواضحا في سعيهم إلى تأليف المعاجم التاريخية للغة العربية، كما كثرت بحوثهم وتآليفهم في فقه اللغة، ودراسة لباقي العلوم

[37] ميم نسرين لطيفة : **أهمية اللغة العربية في الدراسات الاستشراقية** ، ص 05 - 09

ومنها النحو العربي دراسة تاريخية تطورية[38] .كما ألفوا في المجال النحوي كتبا كثيرة .وقد أصحبت الدراسات الاستشراقية للغة العربية وآدابها وعلومها مهمة حتى أننا لن نبالغ لو قلنا :إن ما يكتب عن العربية وعلومها بلغات الغرب حاليا في الكتب والدوريات الغربية على أيدي المستشرقين وتلاميذهم من العرب لكثير إلى الحد الذي يستدعي عند بعضنا الغرابة . [39]

[38] عبد المنعم السيد أحمد جدامي : **المستشرقون والتراث النحوي العربي**، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، بدون بلد النشر ، الطبعة الأولى 2016 ، ص 09

[39] حمداد بن عبد الله : موقف الحركة الاستشراقية من تاريخ النحو العربي و نقدها ، ص 29

المحاضرة السادسة : الدراسات الاستشراقية في حقل الأدب العربي القديم (دراسات تاريخية نصوصية – الشعر العربي و صحة الشعر الجاهلي) الجزء 02

المحاضرة السادسة : الدراسات الاستشراقية في حقل الأدب العربي القديم
(دراسات تاريخية نصوصية – الشعر العربي و صحة الشعر الجاهلي) الجزء 02

4 - المستشرقون ودراسة الشعر الجاهلي :

يذكر المستشرق الايطالي " اماري "الذي كتب تاريخ المسلمين في صقلية، أنه لو زادت معرفتنا الكافية بالشعر العربي في صقلية لصار من المحتمل أن نكشف عن صلات وثيقة وقوية بينه وبين الشعر الايطالي القديم الذي نشأ في أواخر العصور الوسطى ، وإن الباحث على ممارسة الشعر في صقلية هو علم أهلها بأخبار العرب وشعرائهم ، ويؤيد ذلك أن الشعر الشعبي المبكر في ايطاليا يتفق في أوزانه مع الشعر الشعبي في اسبانيا مما يدل على أن المؤثر واحد في الحالتين. [1]

لقد أخذت الشعرية معان مختلفة من خلال فوضى المفاهيم التي عرفتها، ممَّا يجعل كلّ مفهوم يختلف عن الآخر، وهذا راجع إلى تباين الرُّؤى حول هذا المصطلح المعروف بالزئبقية، فحاول كثير من النقاد تتبع ديناميَّة هذا المصطلح، وإبراز معانيه في حقل الدراسات النقدية. [2]

والمعروف أن الشعر العربي بلغ درجة فائقة من السمو والدقة و الإحكام وسعة الانتشار جعلت بعض الكتاب يقررون أن العرب وحدهم قرضوا الشعر ما لم تقرضه أمم العالم المتجمعة ، حتى بلغ من حبهم للشعر في بعض الأحيان أنهم ألقوا بعض كتب في التوحيد والفلسفة والجبر نظما. وسرعان ما ظهر أثر الشعر العربي في الأشعار الأوربية ، حتى إن **"دانتي"** أكد أن الشعر الايطالي ولد في صقلية حيث كان للعرب حضارة زاهرة." [3]

لقد تطرق المستشرقون إلى العديد من القضايا التي تخص الأدب العربي القديم وخاصة فيما يتعلق بالشعر الجاهلي و القضايا التي أثارت جدلا حتى بين الكتاب العرب نظرا لحساسية التطرق إليها ، ومع ذلك تناولها المستشرقون مع اختلاف في الآراء؛ فمن القضايا التي كتب فيها المستشرقون حول الشعر الجاهلي ،نجد كتابتهم حول الرواية الشفوية ، وكذلك حول الرواة ، وكذلك فيما يتعلق بالتدوين ، و ما يتعلق بالشعر الجاهلي نفسه ، و من هذه القضايا نجد :

4 – 1 - المستشرقون و الرواية الشفوية :

---

[1] سعيد عبد الفتاح عاشور : **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية** ، معهد الدراسات الإسلامية ، القاهرة ، بدون طبعة ، ص18

[2] عبد القادر شبوني : **الشعرية في منظور النقد العربي القديم** ، مجلة مقابسات في اللغة و الأدب ، المجلد 02 ، العدد 02 ، ديسمبر 2020 ص 101

[3] سعيد عبد الفتاح عاشور : **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية** ، مرجع سبق ذكره ، ص 01

لقد قسم **"ريجيس بلاشير"** الرواية الشفوية للشعر الجاهلي إلى مرحلتين أساسيتين مر بهما:

المرحلة الأولى في رواية الشعر الجاهلي والتي دامت أمدا طويلا فقد عوضت هذه الطريقة الكتابة و في ذلك يقول **"رجيس بلاشير "** : لقد اكتسب الشعر الجاهلي و معطيات التاريخ و الأخبار المتصلة به صفة الكتابة بعد تنقل شفوي طويل الأمد، و تلمس متعدد الأساليب ، فقد شاعت حوالي سنة 30 ه 650 / م اتخذنا هذا التاريخ تسهيلا للبحث بين البدو و الحضر في المجال العربي كميات هائلة من الأخبار و الشعر[4]."

يذهب **"بلاشير "**إلى أن الشعر الجاهلي قبل تدوينه كان لأمد بعيد يتناقل بين الناس ويحفظوه عن طريق الرواية الشفوية ، التي لعبت دور الكتابة في الحفاظ على الشعر الجاهلي، بل كان من الضروري على كل راوية الاتصال بأحد الشعراء الكبار من أجل حفظ أشعارهم ، وهذه المرحلة لابد على كل راوية المرور عليها قبل أن يصبح هو أيضا شاعرا ،ً وفي ذلك يقول**" بروكلمان "** : " فقد كان لكل شاعر جاهلي كبير على وجه التقريب راوية يصحبها ، يروي عنها أشعاره، وينشرها بين الناس" . [5]

فلجعل القصيدة منتشرة في مختلف الأرجاء" كان إنشاد الشاعر لقصيدته،أو إنشاد أحد أتباعه أو تلاميذه لها ،وهذا الأخير يسمى الراوي؛ أما الشاعر نفسه فهو الموهوب بالمعرفة". [6]

فمن خلال هذين القولين نلاحظ في العصر الجاهلي أن الرواية الشفوية كانت تحل

محل الكتابة، بل نجد مصاحبة راوية لشاعر كبير حتى يحفظ أشعاره و ينقلها بين الناس، كما نجد بعض الشعراء هم من ساهموا في انتشار أشعارهم ،ومن ثم نجد الشعر الجاهلي ينهض على الرواية الشفوية التي حافظت عليه إلى جانب التدوين لاحقا.

ثم جاءت مرحلة ثانية انتقلت فيها الرواية من الشفوية إلى التدوين حيث يجدر بنا

ذكر حادثين ذوي أهمية كبرى بالنسبة لموضوعنا ظهرا - على وجه التخمين -في السنين الأخيرة من القرن الأول للهجرة أوائل القرن الثامن للميلاد وهما انتشار تدوين الشعر وظهور نوع جديد من الرواة " .

ومع ذلك لم تقض الكتابة تماما على الرواية الشفوية، وهذا يرجع إلى صعوبة الكتابة في تلك الفترة فقد كان لكل شاعر جاهلي كبير على وجه التقريب رواية يصحبه يروي عنه أشعاره ،وينشرها بين الناس وربما احتذى آثاره الفنية من بعده ، وزاد عليها من عنده وكان هؤلاء الرواة يعتمدون في الغالب على الرواية الشفوية ولا يستخدمون الكتابة إلا نادرا .

---

[4] رجيس بلاشير: **تاريخ الأدب العربي ، ج 01** ، دار الفكر ، دمشق ، بدون طبعة ، بدون تاريخ ، ص 109

[5] كارل بروكلمان: **تاريخ الادب العربي،** 1 دار المعارف ، 1977 ، ص 64 ، 65

[6] عبد الرحمان بدوي : **،دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي** ، ،دار العلم للملايين ، ،بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ،1979 ،ص294

و نجد أن **"بروكلمان"** يربط بين الرواية الشفوية والكتابة،مع أن هذا العصر عرف بالرواية الشفوية إلا أن هذا لم يمنع بعض الرواة من الاعتماد على الكتابة، وهذا من أجل تثبيت هذه الأشعار إلى جانب روايتها." وخلاصة القول فان الرواية الشفوية وحدها تؤلف منذ اللحظة التي قذف فيها الشاعر وراويته تلك لنشر الآثار الشعرية الطريقة الأساسية الآثار في خضم الجماهير ".

و في هذه المرحلة يظهر التدوين إلى جانب الرواية الشفوية بعدما كانت هذه الأخيرة هي الطاغية على المجتمع الجاهلي .[7]

4 – 2 - المستشرقون و الرواة :

ذكر**" بلاشير"** بان دور الراوي خطير إذ هو الذي يقوم بجمع الأشعار و ترتيبها كما له دورٌ كبير في المحافظة على الأشعار وذيوعها وانتشارها بعد وفاة الشاعر "إن دور الراوي لخطير، فهو الذي ينقلنا من حالة انتشار فوضوية إلى حالة جمع مرتب للآثار الشعرية " .

و لم يتوقف دور الرواة عند جمع الأشعار و ترتيبها بل تعدى ذلك إلى المساهمة في ذيوعها "و مهمة الراوي الأساسية هي المؤازرة في ذيوع القصائد التي نظمت حديثا ، حتى إذا عجز الشاعر لسبب ما عن إنشاد قصيدته تولى الراوي العمل مكانه ، و إذا مات الشاعر عظم بطبيعة الحال دور الراوي أكثر من قبل و عندها يتعدى دوره من نشر القصائد بين الناس إلى عملية جمعها و إظهار الظروف و المناسبات التي أوحت بها فيصبح الراوي بحكم الواقع أميانً على أثر هو ثمرة حياة بأجمعها ، و مناط اهتمام القبيلة أو العشيرة التي ينتسب إليها الشاعر " .

فالرواة يهتمون بشعر الشاعر أثناء حياته بالرواية و الذيوع و عندما يموت الشاعر تتعدى مهمتهم إلى الجمع و الترتيب و كل ما يتعلق بالشاعر من وقائع و مناسبات وهذا يعني أن دور الراوية يتعدى كونها ناقلا لشعر الشعراء إلى كونها سببا في شهرة الشاعر ومعرفة أشعاره ، وهذا لا يتأتى إلا لكون راوية الشعرهو الذي يجمع شعر الشعراء ويرتبها ويسهم في انتشارها ومن هنا نجد بان دور الراوي للشعر مهم وخطير مثله مثل دور الشاعر نفسه. ولذلك فالشاعر قبل أن يصبح شاعرا كان راوية للشعر، كما يجب عدم الاستهانة بدور الراوي إذ لولا هذا الأخير لما تمكنا من معرفة أشعار يعود عمرها لمئات أو آلاف السنين ولأشخاص قد ماتوا ولحضارات قد اندثرت ؛ كان أصحابها يعيشون في البوادي وفي الأماكن البعيدة التي لا يمكن الوصول إليها إلا بشق الأنفس. وعن الرواة كانت تنتشر الدراية بالشعر في أوساط أوسع وأشمل ، بعد أن يذيع في قبيلة الشاعر نفسه.ولهذا لم يمكن التحرز عن السقط والتحريف

[7] شنوفي بارودي : **الاستشراق الفرنسي و الأدب العربي القديم** ، رسالة دكتوراه في الأدب العربي ، جامعة سيدي بلعباس – الجزائر 2017 2018

وان لاحظنا أن ذاكرة العرب الغضة في الزمن القديم كانت أقدر قدرة لاتحد على الحفظ والاستيعاب من ذاكرة العالم الحديث". [8]

يتطرق **" بروكلمان"** إلى الدور الكبير الذي لعبه الرواة في نشر الشعر الجاهلي وهذا من خلال نقله من القبيلة التي قيل فيها إلى القبائل الأخرى ،فلولا الرواة لما سمعنا بأهم القصائد التي قيلت في العصر الجاهلي ؛ كما يمكن أن تموت هذه الأشعار في القبائل التي قال فيها الشاعر قصائده ،ومع ذلك انتقال القصائد بين الناس ساهم في إسقاط بعض الأبيات أو إضافة أخرى عن قصد أو عن غير قصد، وهذا لا يبخس للعرب قدرتهم الفائقة على حفظ القصائد الطويلة لما وهبهم الله من قوة الذاكرة. [9]

4 – 3 - المستشرقون و التدوين :

عرف العرب التدوين منذ عصور قديمة جدا منذ عصر **" النعمان بن المنذر"** الذي نسخت له أشعار العرب و أشعاره هو أي ما مدح به في كراريس فإذا اعتمدنا على أحد المعطيات العائدة جزئيا إلى القرن الثالث للهجرة و التاسع للميلاد ظهر لنا أن فكرة تدوين الشعر قديمة عند العرب و يقول" حمادة" الراوية :أن ملك الحيرة **النعمان بن المنذر** المتوفى سنة 602 م أمر فنسخت له أشعار العرب في الطنوج و هي الكراريس ثم دفنها في قصره الأبيض فلما كان المختار بن أبي عبيد الثقفي قيل له إن تحت القصر كنزا فأحتفره فاخرج تلك الأشعار، فمن ثم أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة " . [10]

وهذا دليل على أن بعض الأشعار دونت منذ زمن النعمان ملك الحيرة ولكن صعوبة الكتابة ساهمت في اعتماد العرب على الرواية الشفوية ،ولكن نظرا لموت بعض العلماء في الحروب ،شجع العرب على تبني طريقة التدوين بعدما ضاعت الكثير من الكنوز إذ يقول يونس بن حبيب قال أبو عمر بن العلاء" ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله و لو جاءكم وافرا لجاءكم علم و شعر كثير" [11] و لم يعتمد العرب إلى التدوين إلا بعد فترة من الزمن و هذا راجع إلى صعوبة الكتابة في ذلك الحين، ولجأ العرب إلى التدوين بعد أن رأى العرب بأن كنوزا كثيرة قد تضيع إن لم تدون نظرا لوفاة الكثير من العلماء أثناء مشاركتهم في الحروب ،ولهذا وكان من الواجب تدوين علم هؤلاء العلماء قبل وفاتهم ، حتى تخلد علومهم للأجيال اللاحقة ولكن المعلوم من جهة أخرى مقدار الصعوبات التي صادفها مفهوم التدوين الكتابي في شبه جزيرة العرب في القرن السابع الميلادي و لدينا مثال نموذجي هو القرآن و لم يتم نسخ المصاحف إلى بعد وفاة الرسول " صلى الله عليه و سلم " ، و بعد تردد هذا يعود لكتاب مقدس كالقرآن بعد وفاة الرسول " صلى الله عليه و سلم فما بالك بآثار شعرية و أخبار ملأ بالتبجحات الوثنية .

---

[8] كارل بروكلمان: **تاريخ الادب العربي** ، مرجع سبق ذكره ، ص 65

[9] [9] شنوفي بارودي : **الاستشراق الفرنسي و الأدب العربي القديم** ، مرجع سبق ذكره .

[10] ريجيس بلاشير - ، ترجمة ابراهيم الكيلاني : **تاريخ الأدب العربي** ،مرجع سبق ذكره ، 1986، ص 113

[11] ابن سلام الجمحي: **طبقات الشعراء** ، دار المدني ،جدة ،1974 بدون طبعة ، ، ص2

ثم جاءت بعد ذلك فترة أصبح التدوين فيها أمرأ عاديا لشعر الشعراء المعاصرين أو الأوائل، و في ذلك يقول**" بلاشير**: " " وصلنا إلى الشاعر عمر بن أبي ربيعة المتوفي سنة 101 هـ 719م حصلنا من محتوى آثاره على البرهان الواضح على استعمال الكتابة في رواية النصوص الشعرية، و لم يعد هذا الاستعمال منذ ذلك الحين عملا منعزلا ، و صار الناس بحكم المحاكاة يثبتون بالقلم بطريقة لا شعورية جميع الآثار السابقة التي وصلت عن طريق الرواية الشفوية . [12]"

5 - الاستشراق و أغراض الشعر الجاهلي :

الأغراض الشعرية مثل الفخر والحماسة والغزل والرثاء والوصف والمدح والهجاء تطرق لها الشعراء العرب في أشعارهم لدرجة إبداعهم فيها ، يظهر لنا في غاية الإتقان وزنا و تقفية وفي نهاية التفنن من الافتخار و التحضيض والزجر والإغراء والوعد والتأديب و المدح والغزل والهجاء والوصف و الرثاء حيث كان الشاعر يصنف إلى طبقات هذه الأغراض حسب إبداعه فيها كما فعل ابن سلام في طبقاته ولقد تعددت الأغراض الشعرية في العصر الجاهلي وتنوعت فمن هذه الأغراض الشعرية نجد:

5 – 1 - الاستشراق و الغزل : الغزل من أكثر الأغراض ذكرا في الشعر الجاهلي نظرا لعناية الشاعر الجاهلي بهذا الغرض و الإكثار منه، و الغزل يعد ضرورة حتمية في بناء القصيدة الجاهلية ، فكل القصائد الجاهلية نجد بها استهلالية يتغزل فيها بإحدى النساء ، ففي شعر الغزل ينطلق **بلاشير "** من فرضية تقوم علة أنه كان في متناول الشاعر منذ القرن السادس في متناول الفنان ، و ليس النظام العرض إطارا مخصصا للتعبير عن مشاعره ... و نداءات الحبيبة البعيدة ، و ذكريات الأيام السعيدة و ألم الفراق و العقبات التي تضعها الطبيعة و الناس في سبيل لقاء المحبين .

ظهر الغول كضرورة حتمية لما كان يعيشه الشاعر الجاهلي من حرمان عاطفي ، و كذلك لأن النساء في تلك الفترة كن غير متسترات مما جعل الشاعر الجاهلي يجد في مجتمعه مادة غزيرة للغزل و الحب و الولع ، و هذا الغرض فرضته الظروف الاجتماعية ، و الغزل ذو نشوء طبيعي في الجاهلية ، و كانت النساء سافرات لا يتبرقعن و لا يتحجبن عن أنظار الجنس الآخر إلا ما كان هناك من بعض التلثم و النساء أنواع منهن الحرائر المصونات و منهن المبتذلات ، و الميل بين الجنسين أحدهما للآخر ميل طبيعي غايته و كماله الزواج . و كان تعدد الزوجات و إباحة ما في ملك الرجل من الإماء شائعا في الجاهلية ، و الميل يظهر بالحب و الولع بالجمال ، و الحب و الولع يقودان إلى التغني بمظهر ذلك الجمال ، و هذا التغني هذا الغزل و يدعى النسيب و التشبيب .

[12] رجيس بلاشير : **تاريخ الأدب العربي** ، مرجع سبق ذكره ، ص 113 ، 114

الغزل لم يأت من فراغ بل فرضته الحياة الاجتماعية التي كان يحياها الشاعر الجاهلي من وجود للإماء و النساء غير المحجبات و هذا ما دفع بالشعراء إلى ذكر بعض النساء في أشعارهم سواء أكانت تلك النساء المذكورات حقيقيات أو من نسج الخيال، و لهذا نجد الكثير من الشعراء الجاهليين يذكرون نساء في بداية قصائدهم مثل " سعاد ، خولة ، فاطمة " و غيرهن من النساء المذكورات في الشعر الجاهلي . [13]

5 – 2 - الاستشراق و الرثاء : الرثاء غرض من الأغراض الشعرية ، و الفرق بينه و بين الأغراض الأخرى أنه يقوله الشاعر في ساعات الحزن و الأسى على فراق الأحبة و الخلان ، و فيما يخص قصيدة الرثاء يرى **" بلاشير "** أن الرثاء نوع من أنواع القصيدة حيث استبدل فيها النسيب بالشكوى من قساوة القدر و التفجع على موت البطل . أما فيما يخص معنى الرثاء ، فهو البكاء على من فارقهم الشاعر من أحباب هو بكاء على الميت ، و كان تشييع الميت عند عرب البادي بمشي الأقارب خلف الجنازة حفاة ،و حل النساء شعورهن و تلطيخ رؤوسهن بالرماد ، و قد يحلقن رؤوسهن حزنا على الميت ، ثم تستأجر النائحرات ليظهرن شعار الحزن و الحسرة و ذكر للميت محاسن ما كان ... من هذه العادات و التقاليد و من لوعة النفس الصادقة استقى الجاهليون معانيهم الرثائية و مزجوها بالمدح و التهديد و طلب الثأر، و منه فإن الرثاء حالة نفسية من الحزن و الأسى يعيشها الشاعر نتيجة فراق أبدي ، و لهذا يقول الشاعر قصيدة فيها رثاء الأحبة ، و يأتي في القصيدة ذكر ميزات الميت من أخلاق و شجاعة . و هنا يورد الشاعر المدح و التهديد و طلب الثأر إن كان الميت قتل من قبل أحد الأشخاص . و إننا نجد في معظم شعر الشعراء المتقدم ذكرهم شيئا من المراثي و لكن هذا النوع نفسه إنما خصت به النساء ، فإنهن لم يأخذن يقلن الشعر في غير هذا الجنس .

5 – 3 - الاستشراق و الفخر :

يعد الفخر من بين أهم الأغراض الشعرية ، و ذلك نظرا لأهميته عند الشاعر الجاهلي ، و كذا قبيلته التي كانت تقيم الأفراح و الولائم إذا ظهر عندها شاعر يتغنى ببطولاتها و أمجادها و أنسابها . كان مرد الفخر عند الجاهلي إلى العصبية القبلية و الحياة الفطرية ، أضف إلى ذلك أن حياة الجاهلي الخشنة انعكست على نفسه قوة و صرامة و جلدا ، لاسيما و أنها كانت حافلة بالأخطار ، و قد خلعت الصحراء بقوانينها الصارمة على العربي مجموعة من الصفات و الفضائل النفسية ملأت صدره فانفجرت شعرا فخريا و حماسيا كان صدى طويلا لما يجيش في النفوس ، و هنا نجد أن الفخر دفعته ظروف اجتماعية صعبة انعكس تأثيرها على نفسية الشاعر الجاهلي الذي أصبح يرنو إلى الفخر بالنسب و القبيلة في ساعة الحرب كما في ساعة السلم ، و أول ما تغنى بها الشاعر الجاهلي في فخره الشجاعة لأنها كانت السبيل الوحيد للحياة في تلك البيئة الخانقة ، و الشجاعة صبر و جلد و إقدام ، و هي تقتضي أن يكون العربي

[13] نفس المرجع السابق .

ناحل الجسم قوي العضلات ، خفيف الحركات ذو عزيمة . و حزم، لا يتردد و لا يتقاعس و لا يشتكي . نجد أول ما تغنى به الشاعر الجاهلي كضرورة دفعتها الظروف الاجتماعية القاسية كالحروب التي كانت بين القبائل التي تقوم لأتفه الأسباب ، و كذلك الغارات التي كانت بين القبائل بهدف البحث عن الماء و مناطق العيش . [14]

5 – 4 - الاستشراق و الهجاء : نظرا للحياة التي كانت في الجاهلية من حروب و صراعات قصد السيطرة أو لمتطلبات الحياة مما استدعت هذه الصراعات اللجوء إلى الهجاء ، و ذلك قصد بث الرعب في نفوس الخصوم و السيطرة عليهم ، و هذا لا يأتي إلا بذكر القوة و الجبروت و الفتك و النسب و الشجاعة و الإقدام ، و في المقابل ذكر وضاعة الخصوم و عدم قدرتهم على المواجهة و المجابهة و لهذا فكان الهجاء سما ناقعا في نفوس الأعداء . كان للهجاء في الجاهلية وقع شديد لشدة سيرورة الشعر و كان يلجأ غلأيه الشعراء ليساندوا به شجعانهم في الحرب ، و يرفعوا من شأن قبيلتهم و يردوا التعبيرات . إنهم يهاجمون به العدو فيجردونهم من الصفات التي كانوا يفتخرون بها ، و يلحقون به الذل و العار، فهو حقير دنيء النفس جبان ، بخيل ، ذليل الجار، له في صفحة الدهر أيام سود و وقائع جر الويل على قومه و الصغارة على شرفه و حرماته ، و لقد كان **"بروكلمان"** يرى أن شعر الهجاء ارتبط في ولايته بالسحر هدفه السيطرة على الخصم و تعطيل حواسه حتى يتمكن من النيل منه ، و فيما بعد اتجه هذا النوع من الشعر إلى السخرية و الاستهزاء من الخصوم و النيل منهم ، فمن قبل أن ينحدر الهجاء إلى شعر السخرية و الاستهزاء ، كان في يد الشاعر سحرا يقصد به تعطيل قوى الخصم بتأثير سحري ، و من ثم كان الشاعر إذا تهيأ للانطلاق مثل ذلك اللعن يلبس زيا خاصا شبيها بزي الكاهن و من هنا أيضا تسميته بالشاعر أي العالم لا بمعنى أنه كان عالما بخصائص فن أو صناعة معينة بل بمعنى أنه كان شاعر بقوة شعره السحرية ، كما أن قصيدته كانت هي القالب المادي لذلك الشعر .

يشير **"بلاشير"** في مجال البحث عن السخرية و الهجاء أنه اتخذ بداية من القرن السادس معنى قدحيا و شتميا موجهين على الفرد و القبيلة التي ينتسب إليها ، فأصبح الشرف أو العرض عندئذ عرضة للمهانة مما يستدعي ردا من قبل المهان ، لذا لم يؤلف الهجاء منذ البداية نوعا أدبيا بسيطا بل تعبيرا شعريا عن عداوة قبيلة تؤول أحيانا إلى النزاع بين شخصين.

إن الهجاء في البداية لم يكن الغرض منه هو الإبداع الأدبي ، بل كان الغرض منها هو السخرية و الاستهزاء و الحط من قيمتهم سواء كانوا أفراد أو جماعات ، و لهذا لم يرق في بداياته على الأغراض الشعرية الأخرى ، لأن الغرض منه كان يمنع من أن يحقق تلك المتعة الشعرية التي حققها الغزل و الوصف و غيرهما . [15]

[14] نفس المرجع السابق .
[15] نفس المرجع السابق .

5 -5 - الاستشراق و المدح : المدح من أكثر الأغراض الشعرية انتشارا نظرا لتفضيل الشاعر لهذا النوع من الأغراض إما حبا للمدوح ، و إما من أجل التكسب ، أو من أجل غايات أخرى في نفس الشاعر . و المدح شمل كل طبقات المجتمع من العظماء و أرباب السلطان طائفة من الناس تميل على التغني بمناقبها ، و كان الجاهليون و الأقدمون عموما أشد ميلا من غيرهم إلى هذا النوع من التفخيم و نشر المناقب ، و قد كان العظماء يتنافسون في استقدام الشعراء و في تكريمهم و مدهم بالمال و النعم ، و كان الشعراء يطرونهم و يذيعون أعمالهم في العرب، و يساعدون في ذلك على مد سلطانهم ، و كانت معاني المدح تنحصر في الكرم و الجود ، و القوة و الحلم و ما إلى ذلك ، و من ثم نجد بأن الذي ساعد على انتشار هذا الغرض و ذيوعه هم السلاطين و الملوك ، و هذا ما أجل تثبت ملكهم و جلب الشهرة لهم من خلال ذكر أعمالهم ، فقد كان الممدوح يحصل على الشهرة و المادح يحصل على الأموال و النعم المختلفة إن التطور في الموضوعات المدحية من الوثنية حتى الإسلام ملحوظ و لو جزئيا على الأقل فإن الفضائل الأساسية كشرف المحتد و النبل الذاتي، و الشجاعة و الكرم و الحلم بالرغم من الاختلاف الكلي بين العصر الجاهليو العصر الإسلامي ، غير أن التطور لم يعرفه المدح نظرا لكون الغرض منه هو تحقيق أهداف واضحة كالتكسب أو الحصول على الحضوة أو الإعجاب بالممدوح و بخصاله الحميدة كالشجاعة و النبل و الكرم و الإيثار، و غير ذلك من الخصال التي نجدها في كل زمان .[16].

6 - خصائص الشعر الجاهلي من منظور استشراقي :

الشعر مرآة المجتمع لذلك وظف الشاعر الجاهلي في شعره ما كان يعيشه في أيامه من رحلات وحروب و قساوة البيئة الصحراوية ووصفه الطرائد وصفا دقيقا وهذه الأشياء وغيرها عبر عنها الشاعر الجاهلي أحسن تعبير ، وعلى هذا ينتظر أن نرى خصائص الشعر الجاهلي تدور حول البادية وما فيها إلا قليلا من ألوان الحضر التي عرضت في شعر شعراء ذهبوا إلى بلاطات فارس والعراق والشام كالأعشى والنابغة مثلا ،ومن هنا نجد بان خصائص الشعر الجاهلي لها علاقة بالبادية أكثر من علاقتها بالحضر الذي له علاقة أيضا بالشعراء الذين هاجروا من البادية بلاطات الحكام ولهذا نجد من الخصائص :الصدق والوجدان فالشاعر الجاهلي كان يعبر عن وجدانه أو ما يجول في خاطره بكل صدق وصراحة فهو حين يحب يحب بصدق وحين يكره يكره بصدق أيضا وهذا ما نجده ينعكس بصراحة في شعره. الشعر الجاهلي وجداني في الدرجة الأولى ، يصف نفس قائله وشعوره .حتى إن الشاعر القديم كان إذا عرض لبحث موضوعي واقعي كوصف الصيد والحرب أو كالحكمة والرثاء ،لونه بشعوره هو فنقلب الموضوع الواقعي في شعره موضوعا وجدانيا[17] .

---

[16] لحسن رضوان : **الأدب العربي و الاستشراق** ، مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس دراسات أدبية – تخصص أنثروبولوجيا ، كلية الأدب العربي و الفنون ، جامعة مستغانم ، 2022 ، ص 118 - 127

[17] عمر فروخ: **تاريخ الأدب العربي (ج 01)** ، دار العلم للملايين ،بيروت،لبنان ، الطبعة الرابعة ،1981 ، ص 77

ومنه نجد أن الشعر الجاهلي هو صورة ظاهرية تعبر عن خوالج الشاعر الداخلية من أحاسيس وعواطف ولهذا نجد الشعر الجاهلي أكثر أنواع الشعر تأثيرا في النفوس وهذا لا لشيء إلا لكونه شعر فيه أحاسيس صادقة في الفرح وفي الحزن.

ونجد كذلك البساطة فالشاعر الجاهلي لم يتكلف في شعره بل خرج شعره على طبعه وسجيته ولذلك جاء شعر جميل لا وجود للمبالغة فيه ولا تعقيد يستمد ألفاظه من بيئته التي يحياها.إن الحياة الفطرية والبدوية والقدم في الزمن عوامل تتضافر على جعل الشخصية الإنسانية ساذجة بسيطة ، كذلك كانت البيئة الجاهلية ، وكذلك كان أثرها في الشعر الجاهلي. جرى الشاعر على طبعه و سجيته فلم يتكلف القول في ما لم يشعر به ولا تكلف الإحاطة والشمول ولا التخريج والتعليل ولا التعقيد و المعصاة فيما شعر به.

نظرا للحياة الطبيعية التي كان يحياها الشاعر الجاهلي من صحراء وبادية ورأيته

للظواهر الطبيعية من بدايتها إلى نهايتها مثل البرق والمطر واختلاف الحياة بين الفصول وما يصحبها من تغيرات طبيعية توسع خيال هذا الأخير فأصبح يعبر عن الظواهر بدقة عالية وقدرة فائقة على التصوير الحسي والمعنوي إذا كان اتساع أفق الصحراء قد أدى إلى اتساع خيال الشاعر الجاهلي ، فان هذا الشاعر الجاهلي كان فطريا بسيطا كبيئته ولعلك لا تستغرب إذا علمت أن الشعراء الذين اتصلوا بالحضر كالأعشى وامرئ القيس والنابغة كانوا في خيالهم أوسع وأعمق وأدق كما ترى في معلقة امرئ القيس عند الكلام على البرق والمطر والسيل وعلى النبات الذي هاج بعد ذلك المطر .ولا ريب في أن الخيال في الجاهلية كان لا يزال يعتمد على التشابيه والاستعارات أكثر من اعتماده على انتزاع الصور من الطبيعة" . [18]

فالشاعر ابن بيئته يؤثر فيها ويتأثر بها ولهذا نجد الشاعر الجاهلي له قدرة فائقة على وصف الظواهر كيف لا وهو يعيشها ويعايشها يوميا ولهذا وسعت من خياله وقدرته على قول الشعر وخاصة الشعراء الذين كانت لهم علاقة بالبوادي فهم يشاهدون تلك الظواهر بوضوح ولهذا عندما يصفون تلك الظواهر مثل البرق والمطر وغيرهما يصفونها بدقة كبيرة[19].

7 - المستشرقون و قضية الانتحال في الشعر الجاهلي :

إن موضوع صحة الشعر الجاهلي قد شغل الباحثين الأوربيين منذ سنة 1861 م على أقل تقدير . [20] فقد عرض المستشرقون لقضية الانتحال، ويبدو أنَّ المستشرق الألماني **"تيودور نولدكه "**أول من لفت الأنظار إلى هذه القضية سنة 1864 م، فقد تحدث عن تضارب الروايات واختلافها في نصوصها، وعن

---

[18] حنا الفاخوري: **الجامع في الأدب في تاريخ الأدب العربي** ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، 1986 ، ص 77 ، 78

[19] [19] [19] شنوفي بارودي : **الاستشراق الفرنسي و الأدب العربي القديم** ، مرجع سبق ذكره .

[20] مجموعة من المستشرقين – ترجمة عبد الرحمان بدوي : **دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي** ، دار العلم للملايين ، بيروت الطبعة الأولى ، 1979 ، ص 13

رواة الشعر الجاهلي، وعن تداخل الشعر بعضه في بعض الأحيان، بحيث يدخل شعر شاعر في شعر غيره، أو ينسب شعر شاعر لغيره ثم عن تغيير وتحوير الأشعار المقالة بلهجات القبائل لجعلها موافقة للعربية الفصحى . وبعده بثماني سنوات نشر المستشرق "وليم إلوارد" دواوين الشعراء الستة الجاهليين : "امرئ القيس، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى، وطرفة بن العبد، وعلقمة بن عبدة، وعنترة بن شداد "، وتوصل إلى نتيجة مفادها أنَّ القصائد المروية غير موثوق بصحتها سواء من ناحية المؤلف، أو ظروف النظم، أو ترتيب الأبيات ، ويتقرر بالنتيجة أنَّ عدداً قليلاً من القصائد صحيح، ولكن الشك يخيم على ترتيب الأبيات وشكل كل واحد منها، أما بقية الآثار فإنَّ الشك فيها محتوم لا مناص منه.[21] وإذا كانت" جوليا كريستيفا " قد ثارت على اجتماعية الأدب واستنتجت أنّ الممارسة النصية تتخطى الممارسة الاجتماعية وتتعارض معها، معتبرة النص الأدبي خطابا يخترق حاليا وجه العلم والإيديولوجيا والسياسة ويتطلع لمواجهتها وفتحها وإعادة صهرها) ، وهو بهذا الفعل ينفلت من قبضة الموضوع الأدبي الذي تطالب به كل من النزعة السوسيولوجية الفجّة والنزعة الجمالية" . [22]

7 – 1 - " تيودور نولدكه" :

في سنة 1864 م تناول المستشرق" نولدكه" موضوع الانتحال في الشعر الجاهلي ، فأشار إلى الشكوك التي يثيرها مظهر الشعر الجاهلي .وبعد ثماني سنوات تناول المستشرق "أهلوارد" المسألة بدون أي تجديد فيها، فعرضها بدقة لم يتناولها سلفه، وقال :"إن الوثائق المروية غير موثوق بصحتها، إن من ناحية المؤلف، أو ظروف النظم، أو ترتيب الأبيات، فمن الواجب إذن إخضاع كل أثر من القرن السادس وأوائل السابع لفحص دقيق قبل قبوله."

7 – 2 - "كارل بروكلمان " :

رغم أنه وقع نقاش كبير حول طبيعة الشعر في الجاهلية و طبيعة الموضوعات التي شغلت ذهن العربي قديما ، إلا أنه يكاد يكون شبه اتفاق على بساطة و محدودية هذا الشعر من كونه اقتصر على التصوير الفني البسيط لحياة البداوة ، مركزا بذلك على وصف الطبيعة أو حيوان أو اثنين لا أكثر ، فكان أغلب هذا الشعر في نظر **" بروكلمان"** يدور على وصف الجمل باعتباره هو محور حياة العربي البدوي الكثير الترحال ، فملك كل حياته و كان محور أوصافه و تشبيهاته مما ألهب رغبة الشاعر العربي في

---

[21] سحر كاظم حمزة المنصوري : **الانتحال في العصر الجاهلي عند المستشرقين** ، دروس مقدمة لطلبة السنة الأولى ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة بابل ، 2018 ، ص 01

[22] محمد زيوش : **الأدب بين عالمية القيّم الإنسانية و خصوصية القيّم الجمالية قراءة لمفهوم الأدب في الوعي النقدي العربي القديم** ، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية ،العدد 10 - جوان 2013 ، ص 15

تصويره تصويرا فنيا فريدا يشبه في ذلك حالة الإلهاب التي وقعت لشعراء الهند في عصر الفيدا في وصف البقر و استلهام روح الثور .

و رغم أن **" بروكلمان "** بدأ كلامه في معرض الحديث عن طبيعة الشعر الجاهلي بهذه الحقيقة ، إلا أنه يرجع و يؤكد على صواب رأي **" نولدكه "** الذي اعتبر أن الشعر العربي القديم لم يرمز إلا على وصف المهاة و العير من حيوان الوحش ، أما غيرهما فلم يذكروه أصلا ، و هذا إقحام غريب لرأي " نولدكه " في هذه المسألة من قبل **" بروكلمان"** الذي يبدوا متناقضا فيه .

و لكن وصف الجمل لم يكن هو وحده محور القصيد العربي القديم ، فهذا لا يكفي ليكون الشاعر موضوعيا و واقعيا إلى هذا الحد ، و لهذا وظف هذا الشاعر فن الشعر ليتحدث عن نفسه و عن حضوره وسط كل تلك الحياة الجافة ، فكان شعر الفخر و الاعتزاز بالذات أيضا محورا أساسيا في شعر العرب الجاهلي .

و يرى "بروكلمان" أن الشعر الجاهلي عرف أيضا بعض الأنواع الأخرى من الشعر كالهجاء و الرثاء بالإضافة إلى كونه لم يقتصر على التوسع في استخدام الثروة اللفظية و المعاني الدقيقة الصائبة و لكن أحيانا كان يستعين باستعمال المؤثرات السطحية المعتمدة على الرنين و الموسيقى اللفظية ، إلى جانب الالتزام بوحدة القوافي .

و قد دافع **" بروكلمان "** قليلا عن أصالة هذا الشعر بكونه كان شعرا عربيا خالصا إلى حد كبير ، و لم تدخله مؤثرات أجنبية كما زعم بعض العلماء الغربيين بأن النسيب العربي يعود إلى شعر القصور اليونانية بالاسكندرية كما ذهب إلى ذلك " بورداخ " .

و قد نفى **" بروكلمان "** أيضا أن يكون الشعر الجاهلي قد تأسس بغرض الكسب أو بربط معنى القصيد في اللغة العربية بلفظ التسول كما اقترح " جورج ياكوب " الذي فسر كلمة القصيدة بمعنى " شعر التسول " ، فقد رفض **" بروكلمان"** هذا المعنى لكونه لا يصح إلا في عصر الانحلال و الاضمحلال و قد اعتبر **" بروكلمان"** أن اختيار هذا المعنى من طرف " لاندبرج " مغالاة و زعم غير صحيح ، لأنه مما لا ريب فيه أن هذا الغرض و القصد لم يكن في القديم أصلا ، و قد يكون هذا الغرض بحسب التعريف الأصلي للكلمة غرضا من أغراض السحر ، و الذي تحول مع الوقت إلى غرض سياسي ثم صار يستعمل بأوسع معاني الكلمة في جميع أغراض الحياة الاجتماعية . [23]

7 – 3 - مرجليوث:

في سنة 1916 م نشر المستشرق **"مرجليوث "** بحثا عن الشعر الجاهلي في المجلة الأسيوية الملكية وكان قد تحدث عن وضع الشعر الجاهلي قبل ذلك في مادة" محمد "من دائرة معارف الأديان والأخلاق

[23] مسعود مكيد : **حقيقة الميول الاستشراقية عند كار بروكلمان في دراسة الأدب العربي** ص 261

وفي كتابه عن" محمد وظهور الإسلام " ، وقد تصدى للرد عليه "سير تشارلز ليال " في مقدمة ترجمة المفضليات، ولكن "مرجيلوث" عاد ونشر في المجلة السابقة" عدد يوليو سنة " 1925 م بحثًا عنوانه : "أصول الشعر العربي " وقد أطال في هذا البحث، وذكر فيه الشبه التي دعته إلى الشك في الشعر الجاهلي ، وحملته على أن يقول" :إن الشعر الذي جمع ونسب إلى الجاهليين مصنوع ومنحول، صنع في العصور الإسلامية، ونسبه واضعوه إلى شعراء جاهليين زورا وبهتانًا.

ملخص مقالته باختصار : " أنه كان قبل الإسلام في الجزيرة العربية شعر و شعراء بدليل ورود الإشارة إلى ذلك في القرآن، ثم يتعرض لوصف القرآن للشعراء ، ويشير إلى العدد الكبير من الشعراء الجاهليين الذي وردت لهم أشعار في الأدب الجاهلي، ويشك في أن الشعر الجاهلي قد حفظ بالرواية الشفهية لأن الإسلام في نظره ما كان يحث على ذلك، ولكنه في الوقت ذاته يحاول أن ينفي أن الشعر الجاهلي كتب كذلك، إذ إنه لو حفظ بطريق الكتابة، لكان للعرب في نظره كتاب أو كتب، والقرآن ينفي أنه كان لهم كتاب، ويزعم أن الشعر الجاهلي الموجود مرحلة تالية للقرآن لا سابقة عليه، ويرى أن التطور من الأسلوب القرآني إلى الأسلوب الشعري المنتظم يبدو في نظره متمشيًا مع المألوف، وهو بهذا يعتقد أن الشعر الجاهلي وضع بعد الإسلام بعد أن سمع العرب القرآن، فتأثروا به، فقالوا شعرهم بلغته وساروا بفنهم من الصور الشاذة إلى المنتظمة" .

فكأنه يريد أن يقول أن العرب قبل الإسلام، كان لهم شعر وفيهم شعراء ولكن شعرهم لم يكن كامل النضج، ولا في درجة عالية من التهذيب والكمال كالتي نرى عليها الشعر الجاهلي المنسوب إلى الجاهليين، وبعد أن سمع العرب القرآن، تطوروا بفنهم الشعري إلى هذه الدرجة العليا من النضج والكمال .التي نرى عليها الشعر المنسوب إلى الجاهليين. ويجره الحديث إلى الرواية والرواة، فيتحدث عن سوء أخلاق الرواة أمثال "حماد وخلف"، ويذكر ما قاله كل من الرواة في الآخرين، ويدعي أنهم لم يكونوا يوثق بعضهم بعضًا، وينكر الرواية بحجة أن الشعراء الجاهليين كانوا لسان الوثنية الناطق، وقد أبطل الإسلام الوثنية وحاربها، فلم يكن هناك مجال في نظره لحفظ تلك الأشعار التي قيلت في نظام أبطله الإسلام.

وهو بهذا كله يرى أن الشعر الذي وصلنا منسوبًا إلى الجاهليين، ليس لهم، وإنما قيل بعد الإسلام ونسب إليهم، ويستمر في إيراد الأدلة التي يعتقد أنها تؤيد رأيه هذا، فيدعي أن الشعر الجاهلي المنسوب إلى الجاهليين يحمل في طياته دلائل بطلانه، ذلك أن فيه كثيرا من القصص الديني الذي ورد في القرآن ومن ينظر في كلام **"مرجليوث"** السابق يجد أنه تضمن أفكارا عجيبة، لا تعتمد على سند عقلي سليم. وإذا كان **" مرجليوث"** ينكر الرواية الشفهية والكتابة في المحافظة على الشعر الجاهلي، فبأي الوسائل

كان يحفظ أو يتناقل من مكان إلى آخر ومن جيل إلى جيل؟ إنه لمن البديهي أن نقول إن الأغاني والأناشيد التي يرتلها الأميون ومن هم على الفطرة، يتناقلونها من جيل إلى جيل عن طريق الرواية الشهفية، إن لم تجد من يدونها، والكتاب الذي ينفي القرآن وجوده بين العرب يقصد به الكتاب الديني المقدس، ثم إن الطعن في الرواة جميعهم ورفضهم كلهم بحجة سوء أخلاق بعضهم أو بسبب بعض كلمات تقال طعنًا فيهم بدافع الغيرة والتنافس أمر لا يستسيغه المنطق، ولا يقبله منصف، ولماذا لا نأخذ في الاعتبار شهادات الاعتراف بالأمانة والصدق و النزاهة التي قيلت في كثير من الرواة الصادقين؟ [24]

7 – 4 - جيمس تشارلز ليال:

تجلت أهمية الشعر عند**" ليال "**من جهة أصالته وصدوره حقا عن شعراء عاشوا في العصر الجاهلي وقد تناول هذه القضية في سياق مناقشته بعض الدارسين الغربيين ممن شكوا في صحة هذا الشعر، وأن مقاطع بكاملها من أشعار شعراء هذه الفترة قد لفقها بعض العلماء وقدّم دليلاً تاريخيًا يؤكّد صحّة الأشعار وقائليها؛ وهو أن الشعر اللاحق (شعراء القرن الأول الهجري) احتذى مثالاً سابقًا في الزمان يقول في هذا الصدد : ثمة سبب آخر لنثق في أصالة ذلك الشعر القديم الذي بين أيدينا، وينفي عنه دعوى الانتحال على يد آخرين، فقد كان من مقتضيات الشعر في أول العصر الإسلامي، إذ أن مشاهير الشعراء في القرن الأول الهجري: الفرزدق و جرير و الأخطل و ذا الرمة ساروا على نهج أجدادهم شعراء العصر الجاهلي ، و اتبعوا نفس تقاليدهم بلا أي استثناء ، وهذا ما أشار إليه" ابن قتيبة "في مواضع من كتابه "الشعر و الشعراء " . وفي هذا السياق، وتأكيدا على أصالة الشعر الجاهلي يقدم" ليال "شاهدا على اعتراف بعض شعراء العصر الإسلامي ببراعة القدامى في معالجة بعض المواضيع، كالقصائد التي وصف فيها الشاعر الجاهلي" عبيد بن الأبرص "العواصف مثل قوله:

سَقَى الرَبَابَ مجلْجِلُ الْ أكْنَافِ، لَمَّاحٌ برُوقُهْ

جوْنٌ تُكَرْكِرُهُ الصَّبَا وَهْنًا وَتَمْرِيهِ خَرِيقُهْ

فالشاعر "الفرزدق" يشيد بذكر" عبيد بن الأبرص "في بعض قصائده حينما يأتي على ذكر العواصف والرعود، يقول "ليال" : " كما أن الفرزدق يذكر اسمه في نص مشهوربوصفه واحدا من الرواد العظام في هذا الفن الشعري" .

[24] ا : نجلاء أحمد محمد المالكي. **قضية الانتحال في الشعر الجاهلي** ، جامعة عبد الملك عبد العزيز ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية قسم اللغة العربية ، المملكة العربية السعودية ، 2019 ، ص 780 - 782

بالإضافة إلى الدليل التاريخي يقدم" ليال "دليلا لغويا يثبت أصالة الشعر الجاهلي حيث إن هذا الشعر زاخر بمفردات تنتمي إلى استخدام لغوي قديم لم يكن شائعا حين تم تدوين القصائد ووضعها في دواوين وهذا ما يفسر كثرة الشروح القديمة على دواوين الشعر الجاهلي .

وأما الدليل اللغوي الذي يسوقه المستشرق" ليال "لإثبات أصالة القصائد الجاهلية فهي تلك السمات الأسلوبية التي يتفرد بها الشعراء القدامى و التي يؤثر الشاعر استخدامها حتى إنها لتدل عليه بسبب ترددها و دورانها في قصائده، فهذا الشاعر "عبيد بن الأبرص" يحلو له ترديد (الأولى، أهل القباب وأهل القباب، أهل الجرد، ثج، مجلجل، حرق البوارق، خرص، خلل، داوية، ديمومة، شنانة رجبية ... الخ) ويؤكد المستشرق الفرنسي**" ريجيس بلاشير "** طرح" ليال "حول أصالة الشعر الجاهلي فيقول: " فإذا قارنا المقلدات بالآثار المؤلفة في النصف الثاني من القرن الأول- السابع للميلاد - كآثار جرير أو الفرزدق ظهرت على أنها نتاج صادق للتقاليد الشعرية قبل الإسلام .

إن اعتماد" بلاشير "على إواليات المقارنة بين الأشكال الشعرية القديمة وما ألف في النصف الثاني من القرن الهجري الأول من شأنه أن يجعله يطمئن إلى صدق التقاليد الشعرية التي تعود إلى ما قبل ظهور الإسلام. [25]

7 – 5 - " موربتس كايير " :

يذكر **" موربتس كايير "** الأدب العربي لأول مرة عند حديثه عن البيت الشعري، فيصفه أولا بأنه يتطلب قالبا محددا، تأخذ فيه كل كلمة مكانا ثابتا لا تحيد عنه، وتستمد معناها من موقعها من البيت، ثم يشير إلى أن الكلام الموزون بناء محكم، تشكل فيه كل كلمة، على حد تعبير ناقد عربي قديم ركنا من أركانه الثابتة، بحيث تصبح شبيهة بحجر في قبة .وواضح أن العبارة الأخيرة ما هي إلا تفسير للقول المذكور أو إعادة له بصورة أخرى.

ويتحدث بعد ذلك عن الأدب العربي بصورة أطول عندما يدرس نشأة الأنواع المحلية في ضوء تاريخ الأدب المقارن، فيرى أن أساس الملحمة الشعبية يتمثل في الأناشيد المفردة، التي يمجد فيها الشعب عملا بطوليا، يتغنى فيه بأمجاد بطل معين انطلاقا من وقائع حياته الحقيقية، وهذه الأناشيد تسيطر عليها النغمة الغنائية، أي إن الشعر الغنائي يحتل فيها المكانة الأولى ، و اوضح ما يظهر ذلك في نظره في الأشعار الحماسية أو في مجموعة الأشعار العربية القديمة التي تعود إلى الشعر الجاهلي.

ففي هذه الأشعار يبدو البطل في أغلب الأحيان هو المغني، هو المتحدث بلسان قبيلته، المعبر عن أمجادها التليدة، ولكنه يجعل من إحساسه الشخم محور القضية، فهو الذي يتولى رواية الأحداث، ويقدم

[25] رشدي ضيف و عمر عيلان : **مكانة الشعر الجاهلي عند بعض المستشرقين** ، مجلة إشكالات في اللغة والأدب ، المجلد 09 ، العدد 04 2020 ، ص 365 ، 366

لنا أفكاره عن العالم الخارجي في تحات موجزة، وقد عبر عنها تعبيرا قويا بالغ الروعة، فيصف الفرس والسيف والحبيبة بعدد من الأوصاف، التي كثيرا ما تحل محل الأسماء .فالبطل يركب السابح المحمحم ويهز الصقيل القاطع المرتوى بالدماء، ويفكر في أثناء ذلك في عيون المها، وفي الثغر البسام المتألق وليس من الضروري أن يضيف إلى ذلك كلمات الفرس والحسام والحبيبة .وما أكثر ما تنطلق الأغنية من وسط الحديث:

"لقد حضرت المعركة مع كوكبة من الفرسان، وكنت أمتطي ظهر جواد سليم قوي، وحين دعوا إلى الهجوم كنت أول مهاجم، وعلام أركب حصاني إن أنا لم أهاجم؟ وكان ثمة رجل امتلأ صدره حقدا علي فصار يغلي كما يغلي المرجل، فصرفته عني ليعرف مقصده، ووسمته فوق عينيه" .

ولم ينسب**" كارببر"** هذه الأبيات إلى قائلها، واكتفى بترجمتها إلى الألمانية، ولعله أخذ هذه الترجمة نقلا عن "روكيرت" ، وهي تذكرنا لأول وهلة ببطولة "عنتره" كما يتصورها لنا في معلقته، ولكنها في الحقيقة ليست له، وإنما هي ل "ربيعة بن مقروم الضبي"، وعدد أبياتها لا يتجاوز أربعة أبيات، ومع ذلك يبدو أن **"كارببر"** افترض أنها مقتطعة من قصيدة طويلة، ومن ثم خروج عن سياق الحديث ، و تصور أن حديث الشاعر عن نفسه في هذا المقطع ما ينسب إلى الشعر الذاتي .وقد يكون الأمر كذلك، فليس من المستبعد أن يكون الشاعر قد تحدث عن أشياء أخرى قبل أن يلتفت إلى ذاته، غير أنه ليس من المستبعد كذلك أن يكون المؤلف قد استشهد بهذه الأبيات قياسا على مضمون القصائد الأخرى الطويلة[26].

7 – 6 - "ريجيس بلاشير " :

يعد **" ريجيس بلاشير "** من الأوائل الذين خاضوا بحثا في مجال الرواية الشفوية كمصدر الشعري الجاهلي ، فهو يرى أن الشعر الجاهلي قد عرف سبيله إلى الخطية بعدما مر بفترة شفوية رواية الشعر الجاهلي أزمته مدة طويلة ، فهو يقول في ذلك : " لقد اكتسب الشعر الجاهلي معطيات التاريخ و الأخبار المتصلة في صفة الكتابة فيتناقش في وقت طويل الأمد تراه هنا يقف على تخوم الشفهية كخاصية من الخصائص التي تطبع الشعر القديم بطابعها ، و في وقت متأخر لها خاصية الكتابة ، كان سنة 30 ه / 850 م أين عرف الشعر ذلك الذيع و الصيت في الوسط القبلي العربي فيشكل عام بشقيه البدوي و الحضري ، إلا أن بعض الأشعار لم يكتب لها هذا الرواج كونها لم تتعد حدود القبيلة الواحدة .

فالرواية الشفوية كوسيلة تناقل الأشعار ، جاءت تخضع لعناصر تختلف كالفجائية و الصدفة و تقلبات الهوى يسيرها في كل ذلك تغير مجرى الأحداث القبيلة ، فعد موضوعا لمقصد قد يكون وراء جمع الآثار الشعرية ، إلا أنه لا يمكن لنا الفصل في ذلك ، و بحثا عن الخيوط الأولية الموصلة إلى التدوين

[26] أبو العيد دودو : **كارببر والأ دَب العربي** ، ص 21 ، 22

وجب تقفي آثار البدويين و التفتيش عن أسباب أخرى يكون تأثيرها أقوى حدة ، مما فات إلى اهتداء منهجية التدوين .

و إن تأثير هذه الأسباب قد يكون جانبيا عند التعمق في البحث ، و مما نحسبه جاء عرضيا بناء الدولة في محطاته الإدارية للاستفادة من ربع توزيع الغنائم ، و ما يعطى للجند ، و تلمس مواطن البدو في جغرافيا الحضارة ، كان ذلك أحد الدوافع لإبلاء الأنساب ما تستحق من إبلاء ، إن هذا الشكل من التحري لقي صدى في الأرض العربية لا يزيد عليه غيره فيه ، و قد عرف هذا النوع من البحث في الجزيرة العربية رواجا لا مزيد عليه ، حيث صار علم النسب من التوثيق التاريخي الذي يشكل لحمة المجتمع الجاهلي ، فأصبح النص الشعري يمثل متن علم النسابه ، فأصبح يتخذ البيت الشعري أو المقطوعة الشعرية خدمة الغرض المتقدم ، الذي كان من الأمارات التي تفضي إلى إنشاء الأحلاف القبلية ، على أن لا يفهم مما تقدم على أن علم النسابة كان يلجأ إلى المكتوب في جميع أحواله ، بل الأهم منها إسهامه في توسيع دائرة التقصي لدى من اهتموا بهذا العلم ، و نقصد الحجم الشعري الذي تم جمعه استنادا إلى ما حفظته الذاكرة الشفوية .[27]

خلاصة :

ما سبق نخلص إلى القول بأن موضوع الشعر الجاهلي كان من بين أهم انشغالات المستشرقين الذين دأبوا على تنقيحه و تحقيق مصادره و رواياته ، فبعضهم أنصفه بعرض كل ما يتعلق بصحته من براهين و شهادات ، بينما عكف البعض الآخر على تتبع عثراته و إلحاق التهم به و بقائليه و ناقليه مثلنا سلف و أشرنا ، و ذلك راجع بدوره إلى دافع و غرض كل مستشرق من البحث .

[27] كريم بن سعيد : **نقد منهج الرواية الشفوية عند بلاشير** ، مجلة لغة كلام ، المجلد 06 ، العدد 01 ، 2020 ، ص 210

المحاضرة السابعة : الدراسات الاستشراقية في حقل الأدب العربي القديم (دراسات اجتماعية أنثروبولوجية)

الجزء 01

المحاضرة السابعة : الدراسات الاستشراقية في حقل الأدب العربي القديم (دراسات اجتماعية أنثروبولوجية) الجزء 01

مقدمة :

تعتبر الأنثروبولوجيا حقلا شاسعا و شاملا من الدراسات و الأبحاث المتعلقة بالإنسان من حيث كونه معطى بيو نفس اجتماعي و ثقافي بتركيزها على عناصر البيئة التي يعيش فيها (المجتمع) من عادات و تقاليد و هوية ... الخ ، فاهتمام الأنثروبولوجيا بدراسة المجتمعات الإنسانية كلها و على المستويات الحضارية كافة يعتبر منطلقا أساسيا في فلسفتها و أغراضها .[1]

و تمثل اللغة أحد المكونات الهامة التي يعول عليها في بحوث علم الإناسة كونها القناة التي تعبر منها أفكاره و الأداة التي يسقط بها ما يخالجه من مشاعر كفرد أو كعضو في جماعة ، و عادة ما يكون سبيله في ذلك نظم أبيات شعرية تتعدد أغراضها حسب المواقف و الظروف ، و يتميز شعره بارتباطه و صلته الوثيقة بنظامه القيمي الذي تسنه العشيرة أو القبيلة التي ينتمي إليها ، و هنا يظهر البعد الأنثروبولوجي في دراسة النصوص الشعرية و هو موضوع محاضرتنا هذه .

1 - الأنثروبولوجيا و علاقتها بالأدب العربي :

تعد الانثروبولوجيا من العلوم الاجتماعية والإنسانية الحديثة التي عرفت مسارها إلى الجامعات ومراكز البحث، ومن الشائع أن هذا العلم ولد في الغرب وارتبط به بشكل كبير ، وكانت الدراسات الأولى التي عرفت في هذا الميدان من إنتاج علماء الغرب، كما يرجع الكثير من الدارسين الفضل إلى الغرب في التأسيس لهذا العلم مع إنكار واضح لفضل العرب والمسلمين وإسهاماتهم في تطور هذا العلم مثل "ابن بطوطة وابن خلدون" .علماً أن خلال العصور الوسطى الغربية اتسمت العلوم عند المسلمين بالتطور الفكري والعلمي والاجتماعي وذلك بفضل الفتوحات الإسلامية التي كانت تهتم بدراسة أصول الشعوب كذلك البعثات العلمية والرحلات، حيث استطاع العلماء والرحالة المسلمون بفضل الطرق التي فتحت أمامهم شرقا وغربا أن يكتشفوا، وفي نفس الوقت وأن يصفوا جزءا من أوربا، ومناطق القوقاز والشرق الأقصى، والهند وإفريقيا. ويعد "ابن بطوطة" من الرحالة المسلمين الذي جال أنحاء العالم في رحلات ثلاث زار خلالها إفريقية وبلاد العرب وآسيا والشرق الأقصى، ودَوَّن جميع ملاحظاته في كتاب الذي أسماه" تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار "التي أصبحت مرجعا مهما للجغرافيين

[1] مفتاح بن هدية و محمد لمين هيشور : **المعيقات الميتودولوجية للبحث الأنثروبولوجي في الدراسات العربية** ، مجلة أبحاث ، المجلد 06 ، العدد 02 ، 2021 ، ص 517

والمؤرخين وعلماء الانثروبولوجيا .أضف إلى ذلك دور "ابن خلدون" الذي درس تاريخ وصفات وعادات الشعوب والممالك العربية والعجمية والبربرية، بنوع من التفصيل والتحلي، حيث أسس لعلوم شتى أهمها الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع الحديث الذي دعاه بعلم العمران البشري .واعتبر آنذاك بالمفكر الأنثروبولوجي من الطراز الأول لأنه اعتبر ثقافة الشعوب النابغة من بيئتها الحياتية المتحكمة في تفكيرها وميولها السلوكية، ويمكننا أن نضيف "المقدسي" كمثال للرحالة الإثنوجرافيين وذلك لما وجدنا في مؤلفاته من التقاسيم الحسنة في معرفة الأقاليم مما جعله يمزج بين الرحلة ، وهناك الكثير من أعلام المسلمين الذين كان لهم فضل التأسيس لعلم الإنسان أو على الأقل التطرق لهذا العلم من قريب أو بعيد رغم غياب المصطلح" انثروبولوجيا" في أيامهم منهم" اليعقوبي" في كتابه" البلدان "و"ابن حوقل محمد أبو القاسم" في" صورة الأرض "وغيرهما. [2]

كما ركزت الرحلات التي قام بها المستشرقون إلى البلاد العربية و المسلمة على ما يرويه علماؤهم عن أنماط عيش هذه الشعوب و طقوسهم ، فمثلا حملت المدرسة الاستشراقية الفرنسية أثناء احتلال الجزائر ترسانة من المؤرخين و الباحثين المتخصصين المنقبين عن هوية الشعب المستعمر في عملية فك لشفرات خطاب أكبر، هو الخطاب الفكري و الديني و الفكري بصفة عامة ، متخفيا في ثوب حب الاستطلاع و المعرفة . [3]

و عموما ، فقد انبهر الأوربيون بأنوار الحضارة العربية الإسلامية و أخذوا مفاتيح تلك الحضارة فتفرغوا لها يقتبسون من لآلئها و ينقلون آثارها و يدرسون توليفاتها ، و قد ساعدتهم عوامل أخرى جغرافية و تاريخية و اجتماعية و اقتصادية على أن يسيروا بالحضارة في طورها الجديد على طريقة جديدة تعتمد أكثر على التفكير الحر أولا و على الملاحظة والتجربة و الاستقراء ثانيا ، فمهد هذا كله لهم السبيل إلى كشوف علمية جديدة شكلت الطلائع لحضارة القرنين التاسع عشر و العشرين . [4]

و منذ بداية الإستشراق كان الغرب يهتم بكل ما صدر عن العرب، فهم الذين أنشئوا مئات الأقسام العلمية، كما تحتفظ مكتباتهم بألوان المخطوطات في شتى المعارف، وقد ثبت أن بعض أدباء الغرب تأثروا بالأدب العربي في عصور ازدهار الأمة الإسلامية، والاهتمام بالأدب العربي في الغرب لا يأتي عبثا ذلك أن دراسة الأدب مهمة لدراسة الشخصية التي أنتجت هذا الأدب وذلك كما قال**" أحمد سمايلوفيتش"** : فالأدب بالنسبة إلى العرب يعد ديوانها ويتأمل تاريخها ويبرز عقليتها ويمثل انفتاحها

---

[2] مجاهدي زوليخة : **ملامح الأنثروبولوجية الاجتماعية والدينية في أدب الرحلة – رحلة ابن جبير نموذج ا** ، مجلة أنثروبولوجيا الأديان المجلد 06 ، العدد 02 ، 2020 ، ص 827 ، 828

[3] عماري فضيلة : **تجليات المقاربة التاريخية للخطاب الأدبي القديم في الجزائر** ، مجلة فصل الخطاب ، ص 149

[4] عيسى الشماس : **مدخل إلى علم الإنسان – الأنثروبولوجيا –** منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، بدون طبعة ، 2004 ، ص 169

ويدفع بقدمها إلى الأمام ....وظل الأدب العربي بشعره ونثره من الأمور التي شغف بها الاستشراق إلى معرفة العرب واتجاههم " .[5]

وإذا كانت العناية بالإسلام والآداب العربية والحضارة الإسلامية هي أهم ما عني به المستشرقون، إذ لم يتركوا وسيلة لنشر أبحاثهم وبث أرائهم إلا سلكوها فلا شك أنّه كان لهم أثر كبير في شتى الاتجاهاتفتنوعت دراساتهم لأنّماط الأدب العربي بشعره ونثره، ونقده.[6]

2 - أهم مواضيع الأنثروبولوجيا اللغوية :

2 -1 -اللغة و الأدب الشعبي :

يتصور الكثيرون أننا حين نتحدث عن الأدب الشعبي، إنما نقصد هذه الكلمات العامية التي يرددها الزجالون في أزجالهم المحلية، سواء غناء أو أداء، أو أننا نقصد هذه الحكايات العامية الموروثة التي تحكيها الجدات للحفدة من صبيان وبنات، أو أننا نقصد مجموعة الأمثال الشعبية المحلية العتيقة التي تتردد داخل مجتمع ما، في إقليم ما، في عصر ما .[7] إن الحديث عن الأدب الشعبي يوجه القارئ و بسرعة إلى هذا العالم المحلي الضيق ومعطياته الفنية المتعددة ، بينما الحديث عن الأدب الشعبي العربي إنما إلى العالم العربي الرحب الواسع، ربما بأوسع مما يدل عليه لفظ الأدب وحده . فالأدب و نقصد به طبعا الأدب العربي يرتبط بالبلاد التي ورثت العربية وتعلمتها واستعملتها . و الأدب، ونقصد به الأدب العربي أيضا تكاملة التي ظهرت بها هذه اللغة في الجزيرة قبل الإسلام، كلغة موحدة لأبناء الجزيرة، يكتبون بها شعرهم ونثرهم، ويجمعون على التفاهم بها في شئون التجارة والمال، رغم اختلاف لهجاتهم،وتعددها .[8] فقد قسمت اللغة العربية من حيث الرقعة الجغرافية لانتشار متكلميها إلى قسمين : العربية الشمالية و العربية الجنوبية . أما العربية الشمالية منها فهي لغة الدول العربية القديمة التي ظهرت في شمال الجزيرة العربية ، في الفترة الواقعة بين القرن الثامن قبل الميلاد و القرن السابع الميلادي ، و قد استخدم في هذه الدول الخط المتطور عن الخط المسند اليمني القديم في النقوش الثمودية و الصفوية ، بينما استخدم الأنباط الخط الآرامي في بداية كتاباتهم ثم قاموا بتطويره و تحويره إلى الخط العربي النسخي الذي نكتب به اليوم ، و قد بدأ الاهتمام بالبحث عن النقوش العربية الشمالية التي تمثل المصدر الأول للغة العربية الشمالية التي استخدمها عرب الشمال في شمال الجزيرة العربية من ثموديين

---

[5] أحمد سمايلوفيتش : **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**،مرجع سبق ذكره، ص4

[6] بن يحيى محمد و مبارك عبد القادر : **قراءات استشراقية في أدب ابن شهيد الأندلسي** ، مجلة جسور المعرفة ، المجلد 07 ، العدد 02 2021 ،ص 525

[7] فاروق خورشيد: **عالم الآدب الشعبي العجيب**، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى ، 1991 ، ص 5

[8] سلوى عثمان أحمد : **اللغة و الأدب الشعبي** ، مجلة الكلم ، جامعة وهران – الجزائر ، العدد الرابع ، ديسمبر 2017 ، ص 10

و أنباط و صفويين . بدأ الاهتمام بالبحث عن هذه النقوش منذ بداية القرن الثامن عشر الميلادي حينما بدأ الرحالة الأوربيون بالقدوم إلى شمال الجزيرة العربية عام 1814 م . [9]

تعددت الدراسات الاستشراقية واختلفت باختلاف مدارسها وتوجهاتها، وتعتبر المدرسة الاستشراقية الفرنسية من أكثر المدارس اهتماما بالتراث العربي والإسلامي وانشغالا بالبحث فيه، وقد نال تاريخ الجزائر العريق وتراثها المتنوع اهتماما بالغا من مستشرقي المدرسة الفرنسية خاصة بعد احتلال الجزائر سنة 1830 م، حيث انكب أولئك المستشرقون على التراث الجزائري يترجمون منه ويكتبون عنه، فشملت كتاباتهم مجالات شتى، كالشرع وعلومه، والمجتمع وأحواله، والتصوف وطرقه. [10] وشكل الإسلام محور اهتمام الفرنسيين خلال تواجدهم بالجزائر ، و خاصة بما تعلق بالتصوف و بجميع طرقه ، و من ثم فإن الآخر و في كل الحالات يحاول فهم ما يخالف نظرته و ثقافته و طبعه و اتجاهه ، فحاول الكثير من الباحثين و المهتمين بالدراسات الاستشراقية تحليل النمط الديني و الاجتماعي لثقافة المجتمع الجزائري الدينية و العقائدية ... [11] وقد امتدت جهود المستشرقين إلى عدة ميادين في مجال الدراسات اللغوية العربية من أجل أن تفتح أبواب الثقافة الأدب وغيرها من المجالات الفكرية للحضارة العربية الإسلامية ، ولم يسبق للمستشرق أن خاض غمار الاستشراق وتعمق في ميادينه المتعددة دون أن يمر بمرحلة تعلم اللغة العربية سواء تعلم في مدرسة أو على يد شخص أو أكثر ، أو نتيجة الاحتكاك والممارسة في البيئة العربية والإسلامية التي يتقنها بعض المسلمين باعتبارها لغة القرآن الكريم. وقد انصبت اهتمامات المستشرقين في الأغلب الأعم على دراسة اللغة العربية الفصحى ، للاستفادة من نصوصها القديمة أو الحديثة بهدف التزود بمضامينها الأصلية في التعرف على التراث العربي القديم الذي كتب باللغة العربية الفصيحة وكذلك دراسة اللهجات العربية المختلفة ، لكونها لغة اشتقاقية من اللغة العربية الفصحى ، ومدى اقترانها أو ابتعادها من هذه اللغة. [12] و لقد اعتبر الآستاذ **" لامنسون "** 1857 - 1934 أن تاريخ الأدب جزء من تاريخ الحضارة، فالأدب مظهر لحياتنا القومية "، و كما قال العرب : "الشعر ديوان العرب ". وقال **" انطوان مابيه "** 1866 - 1936 إن علم اللسان جزء من علم

---

[9] علي زعل الخمايسة : **الجهود الاستشراقية في الكشف عن آثار اللغة العربية** ، مجلة علوم اللغة العربية و آدابها ، العدد 13 ، الجزء 01 جانفي 2018 ، ص 28

[10] سالم بوتدارة : **الفكر الصوفي الجزائري من منظور الكتابات الإستشراقية الفرنسية** ، مجلّة الواحات للبحوث و الدراسات المجلد 14 العدد 3، 2021 ، ص 363

[11] بونقاب مختار : **الطريقة العلاوية في الكتابات الاستشراقية الفرنسية** ، مجلة الطريقة العلوية ، العدد 02 ، ص 161

[12] محمود مقداد: **تاريخ الدراسات العربية في فرنسا**، المجلس الوطني للثقافة.و الفنون، الكويت ، ص21

الاجتماع ، واللغة العربية تستند – ككل ظاهرة اجتماعية -إلى سلسلة لا نهاية لها من وقائع الماضي ومن ثم كان علم اللسان – كغيره من العلوم الاجتماعية الأخرى- علما تاريخيا على نحو ما [13]."

تمثلت أسباب الازدواجية اللغوية في الجزائر في عدة عوامل من بينها التاريخية و الثقافية و الاجتماعية خلفتها بالدرجة الأولى المرحلة الاستدمارية التي حاولت كمس الشخصية الوطنية عن طريق محاربة اللغة العربية . [14]

2 – 2 - الازدواجية اللغوية :

عمل المستشرقون على خلق الازدواجية اللغوية في البلاد العربية المسلمة (الجزائر مثلا) و تنميتها مما أوجد جيلا من الكتاب ، يكتبون بلسان و قلم أجنبيين بالضرورة لعدم انتباههم لهذه الظاهرة بسبب سيادة اللغة الفرنسية ، مما أدى بأحد الباحثين إلى القول : " و قد ظل هؤلاء الكتاب في معظمهم معجبين كل الإعجاب بالحضارة الفرنسية بوجه خاص و الحضارة الغربية بوجه عام جاهلين بالتاريخ العربي غير ملمين بمعالم الحضارة الإسلامية ، إذ أنى لهم أن يدركوا شيئا من ذلك و هم محرومون من الإلمام الكافي بلغتهم التي بواسطتها يطلعون على التراث العربي و كنوز حضارته الغنية بمعطياتها الإنسانية إطلاعا حقيقيا خاليا من الشوائب و الشرور . [15] هذا و إلى جانب خضوع الواقع الثقافي إلى الواقع السياسي و تطوره في ظروف مأسوية أدت حتما إلى تناقضات اجتماعية و فكرية أفرزت هي الأخرى بدورها أدوات تعبيرية أجنبية ، إضافة إلى ذلك فتأخر الثقافة العربية في الجزائر أوجد تخلفا في اللغة العربية مما أوجد فجوة كبيرة في الحصول على أسلوب لغوي روائي مرن- في الأدب الجزائري بعامة و القصصي بخاصة - ، فكان من البديهي أن يلجا الكتاب الجزائريون إلى استخدام الأداة الأجنبية لملئ الفراغ ، فساهموا بطريقة غير مباشرة في تطور الفن الروائي نسبيا . [16] غير أنه و في خضم تنامي الروح الوطنية و تطورها ، تولد حقد ضد كل ما يمت إلى الاستعمار بصلة ، فكان الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية في موقف الاتهام ، فنظر إليه نظرة رفض و إنكار و هذا على الرغم من تعبيره عن واقع وطني جزائري كما هو الحال بالنسبة لرواية " رصيف الأزهار لا يجيب " ل **" مالك حداد "** و " نوم العدل " ل **" مولود معمري "** . [17]

---

[13] نجيب العقيقي ، **المستشرقون** ،مرجع سلق ذكره ، ص 38

[14] بن نعمان أحمد : **التعريب بين المبدأ و التطبيق** ، ش.و.ن.ت ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 1981 ، ص 09

[15] مرتاض عبد الملك : **نهضة الأدب العربي في الجزائر (1925 – 1954)** ، ش.و.ن.ت ، الجزائر ، الطبعة الثانية ،1983 ، ص 26

[16] الركيبي عبد الله : **القصة الجزائرية القصيرة** ، م.و.ك ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 1983 ، ص 249

[17] مبروك قادة : **المخيال و الأدب : إشكالية الانتماء للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية** ، مجلة إنسانيات ، مركز البحث في الأنتوبولوجيا الاجتماعية و الثقافية ، وهران – الجزائر ، العدد 09 ، ديسمبر 1999 ، ص 06

2 – 3 - العادات والتقاليد والمعتقدات :

رصد "ابن جبير" خلال رحلته بعض العادات والتقاليد التي ألقت الضوء على كل المحطات الهامة في حياة الإنسان من ميلاد وزواج وموت وكل ما يرتبط بهذه المناسبات من مظاهر اجتماعية وما يرادفها من هذه المظاهر التي قد تختلف من بلد إلى آخر بنسب متفاوتة ، فقد اتجه إلى استخلاص أسلوب الحياة في البلدان التي قصدوها من خلال استقراء وتحليل القيم والأفكار والجوانب المادية والروحية، فهناك من العادات التي أنكرها وانتقدها،.وبعضها شدت انتباهه ووصفها فمنها عادة أهل الشام في السلام التي تجري كيفيتها بالانحناء على نحو ما يفعل في الركوع والسجود ،أما أهل مكة فيتحلون بمكارم الأخلاق وحميد العادات ومن عاداتهم في ليالي رمضان تزيينهم الأسواق وضربهم الطبول وتهليلهم وتكبيرهم ،كذلك عرف بضرب الطبول في أوقات الصلاة، ويبتدئ موسم الحج ويخبرنا "ابن جبير" عن هذه العادة فيقول: "وفي تلك الليلة مليء المسجد الحرام كله سراجا فتلألأ الأنوار، وعند ثبوت رؤية الهلال عند الأمير أمر بضرب الطبول والدبادب والبوقات إشعارا بأنها ليلة الموسم "، ومن المعتقدات التي استغربها" ابن جبير" و يعتقدها أهل الحجاز زيادة ماء زمزم ، يقول : " وفي يوم الجمعة من ذلك اليوم أصبح بالحرم أمر عجيب، وذلك أنه لم يبق بمكة صبي واجتمعوا كلهم في قبة زمزم لأنهم يزعمون بل يقطعون قطعا جهليا لا قطعا عقليا أن ماء زمزم يفيض ليلة النصف من شعبان " ، ومن البدع والشائعات التي أنكرها ونفاها الرحالة اعتقاد أهل الحجاز بأن الحجارة الموضوعة عند باب بني شيبة أنها أصنام لقريش كانت تعبدها في جاهليتها قد كبت على وجهها تطؤها الأقدام وتسير الناس عليها بالنعال ، وقد نفى ذلك وأوضح أن الأصنام قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة بإحراقها و إن هذه الحجارة الموجودة على الباب منقولة وشبهها الناس بالأصنام لعظمها ، ومن الشائعات أيضا ما أثير حول جبل ثور قولهم : "من لم يستطع الدخول من الفتحة التي دخل منها الرسول صلى الله عليه وسلم منها فهو ابن زنا " وغيرها من الشائعات التي أنكرها . كذلك رصد" ابن جبير" عادات بعض القبائل اليمنية تعرف بالسرو قدمت إلى مكة فقد وصف صلاتهم بأنها من مضحكات الأعراب وأظرفها وذلك أنهم يستقبلون البيت الكريم فيسجدون دون ركوع وينقرون بالسجود نقرا ومنهم من يسجد سجدة ومنهم من يسجد اثنتين ومنهم من يسجد ثلاثة ومنهم من يسجد أربع ثم يرفع رؤوسهم من الأرض قليلا وأيديهم مبسوطة عليها كذلك ذكر بعض معتقدات أهل مصر اعتقادهم أن الأهرامات هي قبور لعاد ومنهم من يرى غير ذلك وبالجملة لا يعلم شأنها إلا الله عز وجل ، ومن الصفات التي أنكرها "ابن جبير" صفات أهل "عيذاب" وهم من السودان، وقد وصفهم بأنهم فرقة أضل من الأنعام سبيلا وأقل عقولا، لا دين لهم سوى كلمة التوحيد وذلك لسوء معاملتهم للحجاج ، لذلك وصف الحلول بها من أعظم المكاره التي تحف سبيل إلى البيت العتيق ، كذلك أبدى الرحالة سخطه من صفات وأخلاق أهل العراق فأنكرها قائلا : " أما أهلها فلا

تكاد تلقى منهم إلا من يتصنع بالتواضع رياء، ويذهب بنفسه عجب وكبرياء، يزدرون الغرباء ويظهرون لمن دونهم الأنفة والإباء. [18]

2 – 4 - القيم و المجتمع في الشعر الجاهلي :

يبين لنا الشعر الجاهلي في كثير من مواضعه ، أن العرب كانت لهم أخلاق شاعت بينهم ، و تقبلوها سلوكا يسيرون عليه و دعا بعضهم بعضا إلى الأخذ بها ، و الاهتداء بنبارسها و لعلهم كانوا من أوائل الأمم التي اعتدت بمكارم الأخلاق ، و اعتدت بفضائل الخلال .

و يبدو أن الذي ساعد على بقاء القيم الخلقية بين العرب و استمرارها هو ما هو ما اتصف به المجتمع الجاهلي من نزوع إلى المحافظة ، و إلى التمسك بالأعراف و التقاليد ، و لاسيما بين القبائل المستقرة و لعل ابن خلدون فطن إلى ذلك حين رأى أن ما أعان على بقاء أخلاق أهل الوبر نقية صافية هو قربهم من الفطرة الأولى و بعدهم عما ينطبع في النفس من سوء الملكات التي غالبا ما تأتي بالاحتكاك مع أهل الحضر . [19]

2 -5 - الممارسات الأولى لتاريخ الأدب العربي :

نتناول في هذه المحطة البدايات الأولى لتاريخ الأدب العربي عند العجم، مع حفر يسير عن خلفيات هذا الاهتمام المعرفي الأوربي بتواريخ الأدب، وعن المآرب التي كانت مرجوة في الشرق، من قبل الغرب . وتذهب عديد الدراسات إلى أن البدايات الأولى لتاريخ الأدب كانت على يد العجم في تأريخهم لآداب بلدانهم، منها فرنسا وبريطانيا وألمانيا، حيث يسارع كل كيان للحفر في آداب بلده متباهيا بذلك على بقية الكيانات الأوربية الأخرى . وإذا كان**" روبير إسكاربيت "** قد رأى أن ميلاد هذه الممارسة بشكل عام، لا يكاد يرجع إلى أبعد من مائتي سنة ، فإن ممارسة(تاريخ الأدب)بالمفهوم الحديث لا تعدو أن تتجاوز القرن التاسع عشر الذي كانت له خصوصيات ثقافية ومعرفية سواء أعند العرب أم في أوربا .ففي إطار صراع غير معلن بين أهم الدول الأوربية آنذاك؛ فرنسا، ألمانيا، وبريطانيا، وفي ظل تنافس محموم بينها، حاولت كل دولة أوربية أن تبني تاريخ مجدها وإبداعها الفكري والفني والأدبي، وهذا كله بدافع ضبط معالم هويتها قبل خروجها لربوع الشرق مستكشفة لآداب وتراث هذا الشرق .بل ذهب **"أحمد بوحسن"** إلى أبعد من ذلك فيقول: " وحتى تتمكن من التحكم في حاضره (أي الشرق)ومستقبله، لا بد من ضبط ماضيه المعرفي والأدبي، وتنظيم تراكمه الحضاري في النهاية، وسيقرأ الفكر الأوربي ذلك

---

[18] نفس المرجع السابق ، ص 834 - 835

[19] عبد الغني أحمد زيتوني : **الإنسان في الشعر الجاهلي** ، مركز زايد للتراث و التاريخ ، الإمارات العربية المتحدة ، الطبعة الأولى ، 2001 ص 185

التراكم الأدبي من المنظور الذي نظّم به عالمه المعرفي وفقا لتوقعاته و انتظاراته منه، حتى يضمن التحكم في ضمان كينونته وينفذ إليها أكثر، فيُبْرزَ فيها ما يشاء ويختزلَ ما يشاء "، ولذلك حينما يطَّلِع القارئ على كتاب تاريخ الأدب العربي ل "كارل بروكلمان" يجده قد ذكر عددا كبيرا من مؤلفات الأوربيّين في مقدمة كتابه، على رأسهم" يوسف هامر يورجشتال" الذي ألف كتابا في تاريخ الأدب العربي في سبعة أجزاء، ونشره سنة 1850 رغم أن أهم مصادر تاريخ الأدب لم تكن قد شاعت في زمانه، ويذهب" بروكلمان" إلى أنه على الرغم من ضخامة كتاب" يوسف هامر يورجشتال"، إلا أنه لا يمكن الانتفاع من كتابه إلا بحذر شديد ، والحكم نفسه يبديه" بروكلمان" مع كتاب "أربتنوت " الذي صدر سنة. 1890 م ، ثم يُشيد" بروكلمان" بكتاب صُنّف بين الكتاب السالف ل "ألفريد فون كريمر " في كتابه "تاريخ عمران المشرق في عصر الخلفاء "نشره سنة 1877 م في فينا، وكان له أثر قوي في توجيه" بروكلمان" وتنوير جوانب الموضوع الذي تعرّض له، ثم يأتي كتاب "بروكلمان" في طبعته الأولى بجزأيْن، صدر سنة 1898 م في مدينة فايمر بألمانيا .ثم ذكر" بروكلمان" كتبا عديدة صدرت بعد صدور كتابه، منها كتاب "كليمان هيارت" الفرنسي بعنوان" آداب العرب " سنة 1902 م ثم كتاب الإيطالي" بيتسي" سنة 1903م ، وقد استند هذان الكتابان على "بروكلمان" .ثم مصنفا لدى "جويه " ألفه سنة 1906 م ، ثم كتاب الأستاذ" نيكلسون "ألفه سنة 1907 م ، ثم " آدم متز " بدراسته للعصر العباسي سنة 1922م ، ثم رصد "بروكلمان" عددا من المؤلفات التي ظهرت بعد مؤلفه الأول، ذكر منها أربعة وعشرين مؤلفا مؤكدا على مسألة تاريخية خطيرة، أن عدد المؤلفات لا يُعدّ ولا يُحصى وأنه لا يستطيع أن يسميها كلها، فذكر منها "تاريخ آداب العرب" ل "مصطفي صادق الرافعي " الذي طبع سنة 1911م ، إلى أن وصل إلى كتاب "تاريخ الأدب العربي في مصر من العهد الفاطمي إلى العصر الحاضر" لصاحبه "محمد أمين النواوي" ، طُبِع في مصر سنة 1938 م . هي إذاً، مؤلفات كثيرة أقل ما يمكن أن تعكسه القبول الذي حظي به هذا النوع من المؤلفات بعد أن كانت غير مألوفة وغير معروفة لدى القرّاء، ويبدو أن الحركة النقدية والفلسفية التي شاعت خلال القرن التاسع عشر ساعدت على انتشار هذا النوع من المؤلفات، وقد كان المستشرقون منذ القرن التاسع عشر من الطوالع الذين وضعوا خريطة هذه المصنفات، فألفوا فيها بلغاتهم الأوربية، وكان ذلك في إطار قراءتهم الشاملة للتراث العربي تحقيقا، وتأريخا، ثم تصنيفا. " وأول ما يُلاحظ في تصوراتهم للأدب وكتاباتهم عنه أنهم جاؤوا إليه بذلك الفكر التجريبي والتدقيقي الفقه لغوي، والتنظيمي والتراتبي الذي عرف به فكر القرن التاسع عشر في أوروبا، والذي طُبّق على تاريخ الأدب الأوربي نفسه " ، [20] وقد تأَتّى لهم كل ذلك بما توفر في بلدانهم من نفيس الآثار العربيةوبما أتقنوا من اللسان العربيالذي كان معروفا معرفة جيّدة لطوائف من العامة والخاصة في ديار بيزنطة من ناحية، وفي قلب أوربة نفسها لمجاورتها الأندلس وبدافع معرفي، ومآرب

[20] نفس المرجع السابق .

إيديولوجية، انطلق ثلة من الأوربيين يتعلمون العديد من لغات ديار الإسلام لحاجتهم يومئذ إلى أن يعتمدوا اعتمادا مباشرا على الاتصال بالعلم الحي في علماء الإسلام، لكي يتمكنوا من حل الرموز اللغوية الكثيرة المسطرة في الكتب العربية، وبعدئذ خرجت بعثات إلى الشرق تجمع الكتبَ وتسجل كل ما يمتاز به هذا العالم الجديد القديم (الشرق)، ثم تعود إلى ديارها وتعمل على إمداد علماء اليقظة بهذه الكنوز النفيسة من الكتب التي حازوها أو سطوا عليهاواطلاعهم على ما وقفوا عليه فيها، باذلين كل جهد ومعونة في ترجمتها لهم وفي تفسير رموزها بقدر ما استفادوا من العلم بها، وأيضا إطلاعِ رهبان الكنيسة وملوكها على كل ما علموا من أحوال دار الإسلام، وهكذا تمخضت عن هذه الجهود الجبارة فئة من أبناء أوربا عُرفوا باسم" المستشرقين" وهم أهم وأعظم طبقة تمخّضت عنها اليقظة الأوربية، وقد أفنوا أعمارهم خدمة في استصدار كنوز التراث العربي والإسلامي من مخابئها فلم يتركوا شيئا إلا خبروه وعجموه، وفتشوه وسبروه، وذاقوه واستشفّوه، ومن هؤلاء وخبرتهم وتجربتهم خرجت أهم طبقة تمخضت عنها اليقظة الأوربية(طبقة المستشرقين)الكبار، وعلى علمهم وخبرتهم وتجاربهم رست دعائم الاستعمار ورسخت قواعد التبشير ، وكانت النتيجة أن امتلكوا آلاف المخطوطات النفيسة، وعمدوا إلى نشرها كي تكون في متناول جميع المستشرقين في بلدان أوربا، وكانوا لا يطبعون إلا العدد الذي يلبي حاجة مراكز الاستشراق في أوربة وأمريكا وما فضَل يُرسل إلى البلاد العربية ، ثم اهتموا بإعداد مجلاّت علمية ينشرون فيها أبحاثهم، إلى أن تُوِّجت أعمالهم بنشر ما يسمى" دائرة المعارف الإسلامية" وهي موسوعة علمية عن المعارف الإسلامية، كما كانوا يكتبون لعوام الناس الطامعين في دعم استعمار بلدانهم الأوربية للبلاد العربية الراغبين في الإفادة من هذا الشرق العربي الإسلامي النائم، وقد شعر المستشرقون بحاجة هؤلاء الطامعين فكتبوا في تاريخ العرب والمسلمين، وفي الأدب، واللغة والشعر وفي الفنون والآثار، وفي علم البلدان(الجغرافيا)، وفي تراجم رجال الإسلام ، لكن لهدف واحد لا غيرهو تصوير الثقافة العربية الإسلامية وحضارة العرب والمسلمين بصورة مقنعة للقارئ الأوربي وبأسلوب يدل على أن كاتبها قد خبر ودرس وعرف وبذل كلّ جهد في الاستقصاء، وعلى منهج علميّ مألوف لكل مثقف أوربيّ، وأنه وصل إلى هذه النتيجة التي وضعها بين يديه بعد خبرة طويلة وعرق وجهد وإخلاص ، ولعل هذا ما يفسّر هذه الكثرة من كتب تاريخ الأدب العربي في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، إنها عناية خاصة أولاها المستشرقون بهذه المادة النفيسة والمؤثرة في مجال التربية والتعليم، فسارعوا إلى صنع النموذج الذي يظنونه الأفضل بالنسبة لأهدافهم ومآربهم البريئة أو غير البريئة، و خلاصة القول، لقد كانت قدم السّبق في تجربة تاريخ الأدب العربي الحديث للعجم، ثم تبعهم

في ذلك العرب، فقد تولّد في بداية القرن العشرين وعيٌّ بالكتابة في تاريخ الأدب العربي توافق مع بداية الإحساس بضرورة إعادة تشكيل الهوية العربية على أسس جديدة مع ما يعرف بعصر النهضة [21]

2 – 6 - الشروط التاريخية والمعرفية الداخلية المؤطرة للتأريخ الاستشراقي للأدب العربي :

يمكن تحديد إطار للدراسات الاستشراقية التي تناولت الأدب العربي من منظور تاريخي في القرن التاسع عشر؛ إذ لا نجد – قبل هذا التاريخ- دراسات استشرا قية حول تاريخ الأدب العربي بالمفهوم الاصطلاحي الحديث. لكن رؤية العالم التي انصاغت ضمنها هذه المؤلفات قد تشكلت من معطيات تاريخية وثقافية وحضارية سابقة لهذه الفترة من خلال التراكمات العلمية والثقافية لعصر الأنوار والنهضة الأوربية والثورات السياسية والاجتماعية المختلفة التي عرفتها أوربا.

إذا حاولنا تحليل النسيج الثقافي العام الذي طبع التفكير الأوربي في هذه الفترة ورمنا الوقوف عند ملامحه الأساسية تعين علينا أن ننتبه إلى أن جل المعارف قد سادها طيلة هذه الفترة منزعان بهما تحددت الملامح الإبستمولوجية لمختلف العلوم أولهما منزع الوعي بأثر التاريخ وفعله في صيرورة الإنسان، و ثانيهما منزع البحث عن القوانين المتحكمة في الظواهر الطبيعية والإنسانية بشكل عام.

وقد طبع هذان المنزعان مختلف المجالات والحقول المعرفية الطبيعية والإنسانية والفنية، وكان لهما تأثير ملحوظ في ظهور الاتجاهات الفلسفية الكبرى، بكل ما تحمله من ملامح وضعية و تطورية وتجريبية ...الخ.

وسيطول بنا الحديث، إذا حاولنا تتبع تجليات هذين المنزعين على مستوى الحقول المعرفية المختلفة ، لكن حسبنا أن نشير هنا إلى ماله علاقة مباشرة بموضوعنا . نشير هنا إلى جانبين :

يتصل أولهما ب "نظرية الوحدة والتقدم" : فكرة الوحدة التي تعني هنا الإقرار بوجود قوانين واحدة تحكم المسار التاريخي للأمم والشعوب بما يمكن أن يؤدي إلى وحدة التاريخ الإنساني. وفكرة التقدم التي مفادها أن الإنسان على مر العصور يسير إلى الأمام على درب التقدم ونحو نمو متزايد باتجاه الكمال الإنساني. وسيطول بنا الحديث لو حاولنا تتبع هذه الفكرة في أصولها وامتداداتها في الفكر الغربي الحديث، لكننا سنكتفي بالإشارة إلى بعض النماذج :

"جيوفاني بابتيس فيكو" (1668-1744) : الذي يرى أن الإنسان ليس مجرد عقل محض وإنما هو عضو في جماعة، وبما أن العلوم الطبيعية لا يمكن أن تفسر تاريخه، فهو يقترح علما جديدا يعتبر نفسه

[21] خالد زيغمي : **الاستشراق ومنهج القراءة للتراث الأدبي، الخلفيات الفلسفية والنظرية تاريخ الأدب العربي نموذجا-** ، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 13 ، العدد 01 ، | 2021 القسم(ج)الآداب و الفلسفة ، ص272 - 274

مبتكرا له، وهذا ما يفهم ضمنيا من العنوان الذي اختاره لكتابه "العلم الجديد في الطبيعة المشتركة بين البشر" .

وقد ضمن الكتاب نظريته حول الدورات الحضارية المتعاقبة ، ومفادها أن الأمم جميعها تمر بثلاثة أطوار :

– طور الآلهة : الذي يمثل المرحلة "البدائية" في حياة الأمة، حيث تسود الخرافات والأساطير والخوف من الظواهر الطبيعية والأرواح الخيرة أو الشريرة التي تتحكم في مصائر البشر.

– طور الأبطال : حيث تدخل الأمة في مرحلة أرقى من الطور السابق؛ إذ تنجب أفرادا عظاما يقودون الأمة في مختلف مجالات الحياة التشريعية والفلسفية والفكرية.

– طور الإنسان : الذي يتم فيه الاعتراف بالمساواة بين الناس ويصبح الحكم قائما على مؤسسات منبثقة من حاجات أفراد المجتمع.[22]

" سيقوم هاردر "(1744-1893): بجمع هذه الشذرات وإعادة صياغتها في كتابه "أفكار في التاريخ الفلسفي للإنسانية" ، وهو كتاب يعتبره بعض المفكرين بمثابة عقد الميلاد الرسمي – في الفكر الغربي- لما يدعى فلسفة التاريخ . يسعى "هاردر" في هذا الكتاب إلى إثبات وحدة الشعوب و وحدة التاريخ، إذ على الرغم مما يبدو ظاهريا من مظاهر التفكك والتباين في المسار التاريخي للبشرية، فإن الشعوب أشبه بأعضاء في مجموعة كبيرة، فالحضارات القديمة تمثل طفولة الإنسانية، والحضارة الإفريقية والرومانية تمثل شبابها، والحضارة الجرمانية تمثل كهولة الإنسانية ونضجها.

ستبلغ هذه التصورات مداها مع **"هيغل" (1770-1831) :** الذي انطلق من منظومة فلسفية متكاملة تقوم على فكرة الجدل . إن التاريخ عند "هيغل" ليس خليطا أعمى من المصادفات، وإنما هو تطور يتم وفق آلية الديالكتيك التي تتضمن ثلاثة عناصر : الموضوع، نقيضه، مؤلف الموضوع المركب من كليهما .

هذه النماذج التي ذكرناها هنا – على سبيل المثال لا الحصر- يمكن أن تعطي لنا صورة عن طبيعة الانشغالات التي كانت توجه الفكر الأوربي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وهي انشغالات قائمة أساسا على إعادة كتابة التاريخ الثقافي الأوربي بصورة تحقق له التقدم والاستمرارية من جهة ، وتجعل

[22] **التأريخ الاستشراقي للأدب العربي وإشكالية المركز والهامش ، مركز الأبحاث و الدراسات الإنسانية و الاجتماعية بوجدة – المملكة المغربية**

منه التاريخ النموذجي و المثالي للبشرية بشكل عام من جهة أخرى : التاريخ الأوربي وحده هو التاريخ العام و الرسمي للفكر الإنساني كله، أما ما عداه فهوامش إن حظيت ببعض الاعتراف فليس بوصفها عنصرا مقوما لهذا التاريخ العام، بل بوصفها "بركا" أشبه ب البحر الميت معزولة ومفصولة عن النهر الخالد المتدفق من بلاد اليونان.

من هذا المنظور سيقرأ الغرب عموما والمستشرقون خصوصا " تاريخ الأدب العربي" ، وسيعتمد في ذلك على الأدوات المنهجية والإجرائية نفسها التي اعتمدها في قراءة تراثه الخاص، وسينظم المعارف الأدبية العربية وفقا لتوقعاته وانتظارا ته منه، حتى يضمن التحكم في كينونته، وينفذ إلى هويته، ليبرز فيها ما يشاء، ويخفي ما يشاء .

وقد شكلت هذه المعطيات الخلفية الفكرية والفلسفية لظهور التأريخ الاستشراقي القائم على فكرة المقايسة بين تطور الأدب وتطور التاريخ العام، كما يتجلى ذلك في تاريخ الأدب العربي الذي يعتمد التحقيب السياسي. [23]

3 - دراسة الشعر و الشعراء من منظور سوسيو أنثروبولوجي :

3 – 1 - الشاعر كممثل قبلي :

من المعروف عن القبائل العربية إذا نبغ شاعر فيها ، أقامت الأعراس و تباهت بين سائر القبائل بشاعرها ، بل و أكثر من ذلك تأتي إليها القبائل الأخرى لتهنئتها ، و في هذا يقول " ابن الرشيق " في كتابه العمدة : " كانت القبائل العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها و صنعت الأطعمة ، و اجتمع النساء يلعبن بالمزاهر ، كما يصنعون في الأعراس ، و يتباشر الرجال و الولدان ، لأنها حماية لأعراضهم ، و ذب عن أحسابهم و تخليد لمآثرهم ... " .

و مما أثبت على العرب أنهم كانوا لا يقدمون التهاني إلا من ثلاث : إذا ولد لشيخ القبيلة ولد ، أو نبغ في القبيلة شاعر ، و إذا وجدت فرس تنتج ، و هذه العناصر الثلاث هي مركز القوة لدى القبيلة في العصر الجاهلي ، فالغلام فارس المستقبل ، و الفرد أداة للنصر و الشاعر لسان القبيلة المنافح عنها ، و السيف المسلط على أعدائها ، و هو صوتها الأبعد تأثيرا في حالتي السلم و الحرب .

فلم تكن منزلة الشاعر أقل من منزلة الفارس ، فالشاعر لسانه هو سلاحه ، و الفارس سلاحه هو سيفه ، و كلاهما ضروريان للقبيلة باعتبار كليهما جندي عامل في جيشها ، و ما أجمل و أسمى أن يجمع هذا الجندي بين الشاعرية و الفروسية .

[23] نفس المرجع السابق .

حمل الشاعر الجاهلي مسؤولية الحديث عن الجماعة و تمثيلها في فرحها و حزنها مما جعل بعض الدارسين يقولون على أن الشاعر الجاهلي ما هو إلا بوق ، و لكن الحقيقة عكس ذلك فهو معبر عن شخصيته و ذاته و ما يخالج مشاعره ، و معبر عن الجماعة التي يتكون منها هو كفرد ، فذاتيته لا تظهر منعزلة عن جماعته ، فهو فرد في جماعة تؤهل موهبته لأن يشغل فيها وظيفة ذات خطر ، و هي وظيفة الشاعر العام ، مثله في ذلك مثل الفارس يشغل وظيفة في الذود عن الحمى ، و مثل شيخ القبيلة يشغل فيها وظيفة الأبوية ، بحكم ما له من مؤلات ذاتية ، و لم يقل أحد أن فارس القبيلة أو شيخها ، قد أهدرت فرديته بشغله وظيفة عامة ... " .

فنفس القياس نقيس به وظيفة الشاعر ، و لهذا فلا نستطيع أن نقول أن ذاتية الشاعر قد أهدرت لكونه ينطق عن الجماعة ، بل العكس من ذلك ، فمن يمثل الجماعة وجدانيا هو أرق أفرادها حسا و أقدرها على التعبير ، فالقبيلة عبارة عن جماعات متراصة فيما بيتها تربط بينهم رابطة الدم ، فالفرد ملك للجماعة و الجماعة ملك للفرد ، بمعنى أن الأنا لا تتجسد إلا من خلالنا نحن ، و من أمثلة ذلك قول " دريد بن بصمة " :

و ما أنا إلا من غزية إن غوت غويت و إن ترشد غزية أرشد

و إن تعقب الأيام و الدهر تعلموا بني قارب أنا غضاب بمعبد

هذا البيت يصور مدى ذوبان الفرد في الجماعة ، هو ما يصطلح عليه بالذاتية الجماعية ، فالأسس التي تعلمها الشاعر في صغره جسدها في شعره ، و هذا يدل على مدى تعلق الشاعر بقبيلته و بأفرادها و تمسكه بها ، فالشاعر كان إذا افتخر يفتخر بذاته الجماعية معبرا عن مجده و مجد قبيلته بأكملها ، فقلما يتحدث الشاعر بضمير المفرد إذا افتخر ، و إنما يتحدث بضمير الجماعة التي يمثلها و يعتز بانتمائه إليها ، و يرى مجده و عزته من عزتها . [24]

3 – 2 - الشاعر كممثل قومي :

تسرد كتب السير و التاريخ بعض الأحداث التي دعت إلى توحد أبناء اللون الواحد و اللغة ة القومية العربية لنصرة بعض المماليك العربية أو القبائل العربية التي تعرضت للذل و المهانة و الظلم من طرف الإمبراطوريات الغاشمة .

[24] فاطمة فاتح : **الشعر الجاهلي في ميزان الاستشراق الألماني – دراسة تحليلية نقدية –** رسالة دكتوراه في الأدب و اللغة العربية، كلية الآداب و اللغات و الفنون ، جامعة سيدي بلعباس – الجزائر ، 2015 ، 2016 ، ص 35 ، 36

وجد الشعراء في هذه الانتفاضات متسعا أخر للتعبير عن الوحدة العربية و القومية مما عكس هذه المشاعر في قوال شعرية ، مبتعدين عن كل حساسية اتجاه القبائل الأخرى متناسين أحقادهم و مآثرهم ، فانعكست الروح الذاتية الجماعية بمعناها الأوسع في قصائدهم الشعرية ذات الزهو الغامر ، و الإبداع المتناغم التي انبثقت في أيام المواجهة القومية على مشارف الأرض العربية .

و من الأحداث الخالدة التي حفظها التاريخ تلك التي تتمثل في " يوم خزاز " ، فقد كان هذا اليوم شاهدا على أكبر تجمع بشري في الجزيرة ضد العدوان ، حيث جمع هذا بين قبيلتين عرفتا بالصدام و التناحر فيما بينهما ، و هما قبيلة " ثغلب " و قبيلة " بكر " ضد الأحباش .

فمن الأسباب التي أدت إلى وقوع مثل هذا اليوم هي أن ملكا من ملوك اليمن كان في يديه أسرى من مضر و ربيعة و قضاعة ، فوفد عليه وفد من وحوه بني معد منهم سدوس من بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة ، و عوف بن ملحم بن ذهل بن شيبان ، و عوف بن عمرو بن جشم بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر بن عامر الضحيان ، و جشم بن ذهل بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان ، فلقيهم رجل من بهراء يقال له عبيد بن قراد ، وكان في الأسرى و كان شاعرا ، فسألهم أن يدخلوه في عدة من يسألون فيه ، فكلموا الملك فيه و في الأسرى ، فوهبهم لهم ... و احتبس الملك عنده بعض الوفد رهينة ، و قال للباقين : " أئتوني برؤساء قومكم لآخذ عليهم المواثيق بالطاعة و إلا قتلت أصحابكم ..." ، و لما اطلع رؤساء القبائل على هذا الأمر جندوا جنودهم ، و أعدوا العدة للحرب و حددوا اللقاء ، و كان بخزاز و هو جبل بخطفة ، ما بين البصرة إلى مكة ، و جعلوا إشعال النار على قمم الجبل علامة سر بينهم ، فلما توحدت الكلمة و السيف ، تحقق النصر و رجعت الهيبة و الكرامة لأسياد العرب .، و إثر هذا الفوز العظيم قال " السفاح الثعلبي " و هو سلمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تميم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب ، و هو أحذ الجنود الذي كان له دور كبير في هذه المعركة :

و ليلة بت أوقد في خزاز هديت كتائبا متحيرات

ضللن من السهاد و كن لولا سهاد القوم أحسب هاديات

كان الشاعر و لا يزال يغاير عن الوطن و العروبة ، و يمجد هذه العروبة في قصائده الشعرية ، فالشاعر الجاهلي عرف ببسالة و شجاعة و قوة كلامه ، و إبداعه في تصوير المعارك ، فروح القبيلة أو العصبية القبيلة لم تمنعه من أن يعبر عن روح انتمائه القومي ، بيد أنها بقية في حدود محصورة لم

تعرف الانتشار مثلما هي عليه اليوم ، و هذا راجع كله إلى محدودية التراب الذي كان يمتلك ، و رغم ذلك لم يرض و لم يخضع لا للذل و لا للمهانة . [25]

3 – 3 - ثقافة العربي الجاهلي و آدابه :

من أحسن ما ورثت الإنسانية عن العرب آدابهم الجليلة ، و من أثمن فروع هذه الآداب التواريخ الكثيرة المؤلفة في أخبار الممالك و القبائل ، و الأعيان من العلماء و الصالحين ، و قد قلدت الأعراب جماعات المسلمين في تأليف كتب التاريخ بالعربية ، حتى البرابر المغاربة فإنهم عصوا أمر العرب السياسي في بلادهم لكنهم لم يستطيعوا إدخال لغتهم في الآداب ، و لما أسس " محمد بن تومرت" ملك الموحدين في المغرب و صنف ملازمه "أبو بكر الصنهاجي" سيرته بالعربية لم يدخل فيها إلا بعض مقالاته باللغة البربرية ، فلم يكن للبرابر آداب بلغتهم إلى يومنا هذا ، إلا بعض الأغاني الجارية على أفواه المغنيين التي جمعها العلماء من الفرنسيين .

أما في الشرق ، فقد أنشأ الإيرانيون منذ المائة الرابعة شعرا فارسيا ، لكن العربية بقيت عندهم لغة العلوم و التواريخ ، و تبعهم الأتراك في ذلك ، فإن بطلي الترك "محمود الغزنوي" و" منكوبيرتي" – آخر ملوك خوارزم – صنفت سيراتهم بالعربية ، لكن أتراك الروم كانوا أول من ترك العربية و صنفوا تواريخهم بلغتهم العثمانية .

كان عرب الجاهلية يفخرون بذكر أثر أسلافهم و أيامهم و أنسابهم ، و كان سمرهم يجري على رواية أيامهم ، و إن كان أكثرها مقاتلات قبائل لا شأن لها . و لا يهتم رواة هذه الأخبار بالتدقيق فيما جرى ، بل دارت حكايتهم على الأسلوب المتبع في حكايات العامة في كل بلاد ، و كانت ترجح أفعال الأبطال على صنائع القبائل ، فإن أعراب الجاهلية كانوا مغرورين بأنفسهم و لم يطيعوا أمرائهم إلا مقهورين بالضرورة . فغلب الافتخار في الأشعار الجاهلية على مدح القبائل ، و لم يغير الإسلام هذا التعصب ، فإن شأن الجماعة غلب على أنفس المؤمنين ، و مع ذلك زاد الإسلام أهمية الشخص ، لأن الثقة بالأحاديث المروية عن النبي ، التي جرت عليها حياة المسلمين كانت متعلقة بالثقة بالرواة ، لذلك كان علماء المائة الثانية يجمعون الأخبار عن حياة الصحابة و التابعين ، و قد صنفوها في كتب الطبقات ، و تبعهم الفقهاء و الأدباء يؤلفون طبقات أهل المذاهب و الشعراء و النحاة و اللغويين . و أما الصحابة فكان العلماء يعنون بما حدثوا عن رسول الله و إن لم يروه إلا مرة واحدة ، و لكن الأدباء كانوا يرتبون الشعراء على قدر شعرهم عما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون . و عن نقائضهم مع من جرى في ميدانهم ، فلم يجدوا في أخبار شعراء الجاهلية إلا ما قاله الشعراء عن أنفسهم في الأشعار و ما

[25] نفس المرجع السابق ، ص 40 ، 41

أنشأ الرواة فيها ، و ما نقل إليهم من أخبار الأجيال السابقة خصوصا ما ذكره العلماء عن الشعراء الجاهليين .و أما الأدباء و العلماء فأخبروا أصحابهم بما أخذوه عن مشايخهم و ما صنفوا من خزائن العلم ، و ربما رووا شيئا من خلقهم و أخلاقهم مثل علماء بلاد الروم الذين لم يغفلوا عن البحث في أخلاق السلف و قل ما يروى عن أحوال حياتهم غير العلمية .

و أما أخبار أيام العرب فنجد فيه الأبطال يقصون كثيرا مما جرى لهم في الغزوات يقولون : فعلت و فعلت ، و كثرت الأخبار على هذا الأسلوب في سيرة النبي و أخبار المغازي و الفتوح ، و قلما نجد من هذا الطراز في كتب الطبقات ، و لكنه أصل للحكاية عن نفس الإنسان و أحواله و تجاربه ، و منه ما رواه محمد الواقدي ابن سعد في كتاب طبقات الصاحبة و التابعين عن شيخه الواقدي مؤلف كتاب المغازي في ملاقاته يحيى بن خالد البرمكي و زير هارون الرشيد . كان الواقدي يتجر بالدقيق ، ولكنه صرف معظم أيامه في البحث عن مشاهد المدينة و أخبار النبي فلم يصلح في تجارته و كثيرا ما ضره الدين .[26]

[26] صلاح الدين المنجد : **المنتقى من دراسات المستشرقين** ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ، بدون طبعة ، 1955 ، ص 03 ، 04

المحاضرة الثامنة : الدراسات الاستشراقية في حقل الأدب العربي القديم (دراسات اجتماعية أنثروبولوجية)

الجزء 02

المحاضرة الثامنة : الدراسات الاستشراقية في حقل الأدب العربي القديم (دراسات اجتماعية أنثروبولوجية) الجزء 02

4 - دراسات أهم المستشرقين للأدب العربي القديم سوسيو أنثروبولوجيا :

4 – 1 - دراسة "جاك بيرك " (ثنائية متخلف ومتحضر) :

كان كتاب" العرب،الإسلام و نحن " مناسبة تناول فيها " بيرك " الأمور الإسلامية،ليس هناك ما يثير الاستغراب بالنسبة إلى الذين اعتادوا قراءة نصوص "بيرك" سطحيا، فقراءة أولى للعنوان والحفر في بعض مبهماته من قبيل " العرب"و"الإسلام"و"نحن"،وذلك بغية استنطاق المستغلق. ويقودنا التحليل إلى الكشف عن رؤيته الاستشراقية غير البريئة إلى أقصاها. والعنوان يطرح تضاد كبير بين الإسلام والغرب، واتى ليكرس في نهاية الأمر رؤية سياسية للواقع،وكان بناء هذه الرؤية هو الذي يعزز الفرق بين المألوف(أوروبا أو الغرب أو "نحن") وبين الغريب(الشرق أو" هم") ومن زاوية معينة

أدت هذه الرؤية إلى غلق هذين العالمين بهذه الصورة، ثم عملت على ترسيخها، فكان الشرقيون يعيشون في عالمهم، و "نحن " نعيش في عالمنا ، إن خطابه الاستشراقي يتكئ دوما على التمييز بين الفضائين الجغرافيين والثقافيين واللغويين الغربي والإسلامي،الأمر الذي جعله يتموقع داخل عالمه الغربي لينظر في الأخير إلى الإسلام من الخارج. والكتاب من هذه الجهة يطرح تحديا كبيرا أمام الإسلام وخاصة عندما تسبب محتواه نسبيا في زيادة» غربية الغربي. وهنا لا يتردد" بيرك" في الإعراب عن تجذره في هذا المشروع الفكري التقليدي الذي يستدعي الحد من التلاقي الإنساني بين الثقافات والتقاليد والمجتمعات البشرية المختلفة ، ونفهم من ذلك أن" بيرك" يشير من خلال عنوان الكتاب إلى دخول دائرة صدام الحضارات والكف من اقتراب العالمين نهائيا. وانتهج في ذلك طريقة في مقارنة بين سياق نشأة النهضة الأوروبية والنهضة العربية الحديثة .وقد كان من الطبيعي أن يقف على ذكر الفتوحات العلمية والفلسفية التي قام بها كل من "غاليلي" و"نيوتن" و" ديكارت " الذين قاموا بقفزات كيفية بالنسبة للفكر الغربي وصولا إلى تجلياتها على تطور المجتمعات الغربية في مقابل تخلف العالم العربي والإسلامي الذي أراد اللحاق بالغرب الحديث والمعاصر في محاولة ردم الهوة السحيقة التي تفصلنا عنهم،وعبر عنها بعبارة التفاوت الزمني ، يمكن قياسه زمنيا بقرون. واضح أن الغرض من استدعاء مفهوم المقارنة يختزل في مجرد رغبة في التمييز المتأصل بين التفوق الغربي والدونية الشرقية، وعلى ضوء هذا القول يمكن أن

نفهم موقف "بيرك" الذي لا يتردد في التنبيه إلى مسألة أساسية هي التفاوت التاريخي والحضاري بين العرب والغرب[1].

4 – 2 - دراسة " ريجيس بلاشير" (تحديد صفات المحيط العربي و سكانه) :

أين هو مهد اللغة العربية ؟ إن أكثر الآثار قدما عن هذه اللغة تعود إلى قبائل الشمال و أواسط الجزيرة و من المغريات أن نضع مهد هذه اللغة في المناطق المذكورة ، غير أن هذا الفرض يقوم على دلائل واهية و وثائق ضعيفة تجعل من الأصلح التحفظ اتجاه هذه القضية .

على أن لبس في القضية سوى ما يفرضه حب الاستطلاع ، و المهم في الأمر هو البحث بدقة عن حدود المحيط العربي قبل ظهور الآثار الأولى المكتوبة باللغة العربية ، إذ كيف نستطيع الكلام عن تلك الحدود في محيط لا ترتبط الجماعات الإنسانية فيه بأي رابط أرضي ، و حيث يغلب على الحياة فيه طابع التنقل و عدم الاستقرار ؟ و في الحق أن المحيط العربي لم يفتأ عن التوسع طوال ثلاثة آلاف عام ، فليس لنا أن نحاول إيجاد تخوم غير ثابتة له ، بل لنحاول إظهار الوقائع التي كانت عثرة مؤقتة في طريق تقدمه و التي أدت به إلى التفتيش عن سبل أخرى ، و هذا ما يقودنا إلى تحديد صفات المحيط الذي انتشرت فيه اللغة العربية و تعيين الطرق الكبرى التي عبرت منها التأثيرات الخارجية إلى ذلك المحيط . [2]

تشكل المجموعات أو القبائل العربية : إن شروط الحياة في المحيط العربي معروفة ، و إذا استثنينا الواحات حيث يجتمع الحضريون نجد البداوة مع الشيات التي تلازمها ، هي طريقة للعيش مناسبة للوسط الجغرافي ، فالمجتمع العربي في كل العهود سواء أكانت له علاقة بالحضر أو البداوة يظهر في شكل كتل مؤلفة من أحزاب و قبائل ، و كما تدل التوراة (الأصحاح العاشر و الحادي عشر و ما بعدها) فإن السامي حريص على الأنساب ، و لا نستثني العربي في أيامنا هذه من هذه القاعدة ، فهو بعد أن يعي بوجود قبيلته و الروابط التي تربطه بأفرادها يضع أساسا لهذه الروابط على أن تنحدر في تسلسل نسبي و كان من نتائج هذه التركيبات أن جمعت القبائل العربية المختلفة في الجزيرة في فرعين كبيرين : عرب الجنوب و هم ينتسبون إلى قحطان (و لعله يقطان ، التوراة الاصحاح العاشر) ، و عرب الشمال و يتصلون بأربعة أجداد هم : عدنان و معد و نزار و مضر . [3]

---

[1] محمد فتح الله : **مجهودات جاك بيرك الاستشراقية دراسة في نظرته للعرب والمسلمين**، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية ، العدد 21 ، جانفي 2019 ، ص 110 ، 111

[2] ريجيس بلاشير - ترجمة إبراهيم كيلاني: **تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي** ، دار الفكر ، دمشق ، بدون طبعة ، بدون تاريخ ،ص 19 ، 20

[3] نفس المرجع السابق ،ص 21

كما تعتبر الأسرة هي الخلية الاجتماعية عند بدو الجزيرة ، و هي تخضع منذ أقدم الأزمنة للنظام الأبوي ، و يمكن تمييز بعض بقايا النظام الأموي حتى إذا تجسمت القبيلة في اسم رئيسها أصبحت المجموع الوحيد الذي يرتبط العربي به برباط لا ينفصم ، على أن هذه الخلية لا تظل منعزلة أبدا ، و هي لأسباب عديدة ليست كلها سياسية تعترف بقرابتها من بقية الأسر مما يؤدي في نهاية الأمر إلى اعترافها بوجود جد موحد هو مؤسس الرهط ، و في هذا الاعتبار تظل العصبية قوية على الرغم من عدم ظهورها بصورة متتابعة كما لو كانت في الأسرة ، ففي القبيلة يرتفع العربي إلى مدرك أوسع من المجموع البشري و لكنه أكثر حركة و تبدلا .و تعتبر القبيلة في الأصل عبارة عن مجموع أرهاط و تفرعات يجمعها تحت اسم واحد ، واقعي أحيانا ، رئيس قديم لقبيلة هامة ، و تستطيع مجموعة غريبة أن تندمج بتأثير أسباب عديدة كالقحط و الأوبئة و الحروب في قبيلة أخرى أقوى منها ، و يحدث في بعض الحالات كما جرى لبني تنوخ في العراق الأسفل أن تؤلف القبيلة من عناصر غير متجانسة ، و أن تتخذ بعد عقد حلف بينها اسما جديدا يعفي على الأسماء الخاصة ، ففي القبيلة تجري الحياة دون اهتمام بحياة الحوار ، و العمل هو الذي يربط بين أجزائها ، كما أن روح الهجوم و الدفاع تنشر الاتحاد بينها .

و من الطبيعي أن يكون الترابط بين عناصر القبيلة ضعيفا تبعا لاتساع المجموع و تعدد أجزائه و الشواهد على القبائل الشقيقة عديدة أمثال : تغلب و بكر اللتين وقعت بينهما معارك دامية ، و قد تتحد عدة قبائل في ظروف استثنائية لمدة طويلة أو قصيرة للوقوف في وجه عدو قوي مما يشكل نوعا من الاتحاد تولد تحت ضغط المنفعة أو الخطر ، ثم لا يلبث أن ينحل دون أن يبقي أي أثر ، و نضرب على ذلك مثال حرب داحس و الغبراء بين عبس و ذبيان ، فإن عبس اتحدت مع مع بني عامر، و اتحدت ذبيان مع بني تميم على ما بينهم من عداوة ، و على العكس فإن المصلحة السياسية قد تؤدي إلى حل الاتحاد القبائل ، فإن قبيلة سعد بن زياد مناة من مجموع تميم انشقت على نفسها لما أرادت المسير إلى قتال بني عامر عندما اكتشفت فجأة آصرة الأخوة التي تربطها بهم ، و ما أكثر ما يحتويه تاريخ العرب قبل الإسلام من هذه الارتدادات التي نجد صداها في الشعر .[4]

طريقة المعيشة عند القبائل العربي : ليس تميز الأصول وحده الذي ظلت آثاره باقية في حياة العرب الأدبية ، بل يجب أن يحسب حساب لمظاهر أخرى أولها التباين المعروف بين البدو و الحضر ، و ما أكثر الانتقالات و الشيات بين هذين المفهومين ، فنحن نرى قبائل متمسكة بالأرض ، و أخرى تعيش عيشة البداوة ، فكيف يجوز لنا أن نخلط بين المزارعين و أرباب المهن المحتقرين المنبوذين في واحات تيماء و اليمامة و بين أغنياء مكة و تجارها و أهل اليسر من ملاكي الطائف ، و ترى هذا التفاوت و الاختلاف في الدرجات بين القبائل الرحل سواء منها القبائل المنبوذة كصنيب مثلا أو عرب القين

[4] نفس المرجع السابق ،ص 24 ، 25

القدماء الذين استوطنوا البطراء عند ظهور الإسلام ، أو صغار الرعاة ، رعاة الأغنام و الماعز الذين بدأوا برعي قطعان أهل الحضر ، فصاروا فيما بعد عراب رحلا حيث تسجل هجراتهم أحيانا في مقاييس جغرافية واسعة جدا .

إننا عندما نفكر بالعربي يخطر في بالنا ذلك البدوي الكبير ، و نحن في ذلك على حق لأنه سيد البلاد الحقيقي ، هو الذي يحتقر صغار الرعاة كما يزدري الحضريين و يستغلهم لمصلحته و يحميهم بحكم تقاليد العادة المحددة ، و هو لا ينتظر أن نعترف له بهذه المزية ، و ما من أحد ينكر عليه مزاياه حتى و لو كان من الذين يحتقرهم و يتخذونه مثلا أعلى في آن واحد .

" الذل بالحراث و المهانة بالبقر ، و العز بالإبل و الشجاعة بالخيل" ، ذلك هو مبدا البدوي في كل الأزمان ، و إن حياته و ثروته هما في ماشيته ، أما بقية حاجاته التي لا يستغني عنها كالشعير و القمح و التمر و الجلود و الأسلحة و أجزاء الخيمة فيأخذها من الحضري ، أما تجارة القوافل و ما يضم إليها جمل لحماية من يطلبون الحماية ، أو الأجانب الذين يجتازون أراضيه فيؤلف مصدرا آخر للثروة .

و هناك مصدر للغنى لا يقل ربحا عن الأول هو الغزو المسلح كهجوم يقوم به شرذمة على مجموعة من الناس أو قافلة منعزلة ، أو حملة واسعة يقوم بها عدة ألوف من المحاربين للحصول على غنائم جديدة أو موارد للمياه أكثر ملائمة للتنقلات الموسمية ، و في كلا الحالتين فإن الهدف هو واحد و ه والحصول سلبا أو قسرا على مال يمتلكه غيره ، مع الحرص على تفادي الضحايا في القبيلة المعتدى عليها .

إن هذه الغزوات و الحروب التي يطلق عليها المؤرخون المسلمون دون الالتفات إلى خطورتها اسم " أيام العرب " تشكل تاريخ المحيط العربي ، و لا شيء أكثر املالا أو رتابة أو عمقا من هذه الحروب التي يؤلف بعضها كحرب داحس و الغبراء في القرن السادس للميلاد نقطة انطلاق حلقات أسطورية كما أنه لا شيء أكثر أهمية في مجال التأثيرات في هذه الأجواء الحربية في تاريخ الأدب .

و مهما كان دور البدوي عظيما ، فإن من الواجب ألا تهمل دور المراكز الحضرية و المدنية كيثرب (المدينة) ، و مكة و نجران و الحيرة ، و مهما يكن من تأثير النزعة البدوية ، فإنها لم تكن وحدها السائدة ، فإن هناك طوائف أجنبية قد استقرت في تلك المراكز على مد العصور ، و بواسطتها عبرت تيارات جديدة إلى المحيط العربي ، و قد يهمل هؤلاء البدو أحيانا منازعاتهم المحلية ، فيندفعون وراء مشاريع يعتبر الفتح الإسلامي إحدى فصولها الرائعة .

على أن هناك بعض الوقائع التي تسهم في تعديل توازن أو تحديد خاصية هذه القبائل ، و في الأصل فإن الاتصالات بين القبائل وسط هذا المحيط العربي الواسع هي اتصالات محلية تفرضها منافع مؤقتة

غير أنه يوجد عدد صغير من المراكز ذات تأثير أكثر شمولا كمراكز القوافل في تدمر و الحيرة و نجران نظرا لموقعها الجغرافي ، و هناك على الأخص مكة ، فإن منشأ تأثيرها الاقتصادي وجود الكعبة المقدسة ، زد على ذلك دورا مماثلا لعبته الأسواق التي تؤقت مواسم الحج الدورية ، و التي كانت تقام في مناطق مختلفة من المحيط العربي أشهرها عكاظ و ذو المجاز بالقرب من مكة . [5]

و مهما كانت المعلومات التي وصلت إلينا عن هذه الاجتماعات قليلة ، و مهما يكن من غلبة النوادر على تفصيلاتها ، فمن المرجح أن تلك الأسواق كانت تجذب البدو إليها ، فيؤمونها للشراء أو للتفتيش عن عدو ، و فيها تعقد العناصر المختلفة في المحيط أواصر علاقات واهية ، و لكنها لا تخلوا من نتائج ، و من هنا تدخل التأثيرات الأجنبية البعيدة تارة ، و الخصبة تارة أخرى .

إن تشكيلات القبيلة أو الرهط سواء عند البدو أو الحضر لا تختلف بصورة جوهرية كما تبدوا في الأزمنة القديمة عما هي عليه اليوم ، فعلى رأس كل قبيلة مجلس مؤلف من رؤساء الأسر أو من رؤساء الرهط تبعا لمقياس القبيلة ، و إلى هذا المجلس تعود مناقشة جميع القضايا التي تهم القبيلة ، و هذا ما يسوغ إطلاق صفة الديمقراطية على المجتمع العربي ، و هي تسمية صحيحة إذا كان المراد منها تلك الغريزة الاجتماعية ذات التوازن الديمقراطي التي تقوم مقام النظم السياسية . فالعربي يتأرجح دائما بين قطبين : فردية تدفعه إلى رفع كل ضغط و تثبيت الحقوق الدائمة للأنا اتجاه الحقوق الجماعية ، و تعلق من ناحية أخرى بجماعته بصورة عميقة و ذاتية قد يصل إلى حد التضحية بالنفس ، فالمجتمع العربي إذن يمثل فوضى يخفف من شدتها في كل درجة من درجات السلم الاجتماعية حكم الأقلية عند رؤساء الأسر و الأفخذ و القبائل الذين تتفاوت درجات نفوذهم .

و هناك شخص آخر يلعب دورا في المجلس ، و هو السيد ، و يقابله الشيخ في المفهوم العصري و ليس السيد بمطلق الصلاحية ، بمعنى أن أوامره تستمد قوتها من مداولات المجلس ، و هو بعبارة أوضح منفذ مزود بسلطة إيحائية وجب عليه بعد استشارة " القدماء " و الذوات أن يقود جماعته إلى المعارك ، و أن يستقبل الوفود و أن يشرف على مفاوضات الصلح و المحالفات و إشهار الحرب و إضافة الضيوف و اتخاذ التدابير في سني القحط و تحديد حركات الظامون ، و ما أكثر الصفات المعقدة و المتناقضة التي يجب أن تتوفر في السيد للقيام بدوره و حيازة الرضا العام ، و على اعتباره أنه الأول بين أنداده وجب عليه أن يقيم وزنا للرأي العام ، و ليس في العالم القديم طائفة يؤثر فيها الرأي الشعبي مثلما نجدذه في المحيط العربي / و كما يصعب تحديد آفاق الصحراء ، فكذلك يصعب تحديد سلطة السيد ، و كل هذا يعود غلى العرف و كفاءة من بيده زمام القيادة .

[5] نفس المرجع السابق .

و يتحاشى هذا الرئيس بصورة عامة أن يقيم نفوذه على القهر ، و كل نزعة إلى الحكم الاستبدادي تلاقي مصير كليب التغلبي الذي صرعه بنو بكر ، و ليس من سبيل للنجاح إلا التدجيل و الكرم المشوب بالتبجح مضافا إليهما النفوذ الشخصي و الوقار و الشجاعة و الحزم و المهابة و النضج و الأناة و الألمعية ، ثم نوع من رحابة الصدر المسمى بالحلم ، و هو مزيج غريب من كبر النفس و الخبث الناعم ، و قد رزق عدد من السادة بحلمهم و أناتهم شهرة تجاوزت حدود قبائلهم ، مثلما رزقها في القرن السابع أكثم بن صيفي ، و الأقرع بن حبيس ، و هما شخصيتان شبه أسطوريتين ، و كما أن المنازعات ضمن القبيلة تحل بواسطة السيد ، فإنه يلجأ عند نشوء الخلافات الصعبة الحل بين الأفراد و القبائل إلى هؤلاء المحكمين ، و من الممكن أن يكون لدورهم في الزمن القديم طابع ديني ، لأن بعضهم أي المحكمين كان يلجأ إلى الاحتكام إلى مشيئة الله ، و كانوا أيضا كهنة ، و مهما يكن من شيء فإن طراز حياتهم يدل على إمكانية وجود سلطة عليا تفوق التنظيم القبلي ، و تجعل من اليسير وجود مركزية في القبائل يشرف عليها رئيس سياسي ديني ، و لقد حدث هذا مرارا و لكن بصورة عامة عارضة لم تدم طويلا .[6]

اللهجة الشعرية و نشوء العربية الفصحى : يظهر أصل اللة العربية بجلاء إذا شاطرنا النحويين المسلمين رأيهم في أن هذه اللغة مشتقة من لغتي الشعر الجاهلي و القرآن معا مع إبداء بعض التحفظ اتجاه نقطة هامة في النظرية الإسلامية ، و هي أن القرآن لا يستند على اللهجة المكية بل على لغة الشعر الجاهلي.

إن اللغة المذكورة لهجة شعرية تمتد على مساحة جغرافية واسعة جدا تجاوزت حدود المحيط العربي و لا يزال مصدرها مجهولا ، فهل عمد الشعراء قبل القرن السادس حبا برواج آثارهم إلى لغة درجة مركبة تولدت بتأثير التجارة و اتحاد اللهجات مع اكتفائهم برفع شأنها ؟ أمن يجب الاعتقاد بأن لهجة قبيلة خاصة قد أصبحت في عصور ما قبل التاريخ و بتأثير ظروف سياسية لغة الشعر العامة ؟ ليس من الصعب الإجابة عن تلك الأسئلة ، و لنشر قبل كل شيء أن فرضية خلق لغة اصطناعية عن سابق تصميم غير مقبولة ، في حين أن وجود لهجة محلية رفعت إلى منزلة لغة أدبية مؤيد بوقائع مماثلة في اللغتين الفرنسية و الإيطالية ، في الحالة التي لها مساس بلهجة خاصة في الأصل ، فإن هذه ترد إلى مجموعة اللهجات في وسط الجزيرة و شرقيها ، فهذه اللهجة الشعرية كما نراها في النصوص الشعرية التي نقلها الرواة المسلمون في القرنين الثامن و التاسع هي لغى وسطى ، لها خصائص اللهجات في وسط الجزيرة وشرقيها و لكنها مجردة عن التلتلة ، فهذه اللهجة الشعرية تنطبق على اللهجات المحلية بل هي امتداد لها ، و هي في الجملة موضوعة للأغراض النبيلة و التعبير الفني عن بعض أنواع التفكير .

[6] نفس المرجع السابق ، ص 33 - 37

إن وجود لهجات و لغة عليا ليس فيه شيء مخالف للمادة ، كما أن نمو لهجة شعرية ليس فيه أيضا شيء خارق ، و لنا في الشعراء المنشدين البرابرة في إفريقيا الشمالية الذين يعتمدون في النظم على لغة مخالفة للغة الدارجة مثال واضح ، كما في الحال أيضا عند قبائل الطوارق في الحجاز ، و هذا يذكرنا بالشعر الملحون الرائج عند عرب إفريقيا الشمالية ، و هو نوع من اللهجة الشعرية مبدئها لهجة عربية يظهر فيها بوضوح تأثير الفصحى و اللهجات البدوية معا .

و لنذكر بصورة خاصة اللغة المركبة التي يستعملها في أيامنا شعراء المنطقة الوسطى في شبه الجزيرة العربية ، و هي لغة مصنوعة يجب أن تكون الكلمات فيها خارجة عن المألوف ، غير مسموعة في الحياة العادية ، و لنذكر أخيرا أن شعرنا المهذب في القرن الثاني عشر مركب من لهجتي البواتو و الليموزان اللتين كانتا مفهومتين على مدى جغرافي واسع جدا إن الصفة الخارقة للمادة الغالبة على اللهجة الشعرية القديمة عند العرب سواء أكان مصدرها اللهجة المحلية أم تركيب بطيء صناعي هي في أن هذه اللهجة شائعة أو مسموعة ليس في المنطقة العربية المحدودة فحسب بل في سوريا و فلسطين و بلاد ما وراء النهرين و بلاط الغسانيين في جلق ، و بلاط اللخميين في الحيرة ، و هي مستعملة أيضا عند شعراء الحجاز ، و ليس لدينا أسباب قوية تجعلنا نبعد أن تكون لغة الوحي المنزل على محمد (ص) ، كما أن المقطوعات الشعرية التي نظمها شعراء أواسط الجزيرة في الوقت الحاضر يفهمها أهل مجد حتى تخوم سوريا و السهول الواقعة في غربي الفرات ، كما أن منظومات و أناشيد شعراء " أم ديازن" في بني حديد في الصحراء الوسطى في مراكش تسمع على مساحة تمتد من جنوبي فارس حتى الصحراء الكبرى .[7]

إن الفوارق بين هذه اللهجة و بقية اللهجات تختلف تبعا للمجموعات اللغوية ، فالفارق ضئيل بينها و بين لهجات أواسط شبه الجزيرة و شرقيها ، و كذلك الحال في أيامنا عند بدو نجد ، فإن سهولة الانتقال من اللهجة العامة إلى اللهجة الشعرية تابعة لتلك الفوارق ، فيجب على المتكلم أثناء هذا الانتقال أن ينزع دوما إلى التجرد من تأثيرات الوراثة خشية إساءة الافهام أو التعرض للهزء و السخرية ، أو تجاوز حدود العادات المصطلح عليها .

و على الرغم من كل هذا ، فإن الوراثة اللغوية أثناء هذا التكيف قد زالت مؤقتا و لكنها لم تزل تماما فهي لا تلبث أن تبرز سواء في الصوت أو في التصريف أو في المفردات .

و هكذا ، فإن آثارها تظهر في النصوص الشعرية التي جمعها اللغويون في القرن الثامن و بخاصة في القرآن ، فقد احتفظ مثلا بكلمة " ذو " ، و هي شائعة في لغة طيء في وسط الجزيرة بدلا من الذي

[7] نفس المرجع السابق .

و إذا كانت هذه البقايا اللهجية نادرة جدا في القرآن و الشعر الجاهلي ، فلأن السبب يعود بالدرجة الأولى إلى الكتابة العربية التي لا تسجل الحروف الصوتية القصيرة ، و تترك مجالا للفظ ، مثال على ذلك وكد ، فهي تلفظ حسب ملكة المتكلم الوراثية ، و ليس هذا النقص سببا وحيدا لهذه الحالة ، بل يجب اعتبار اجتهاد القراء و النحويين و هم كثر سببا آخر ، فقد كانوا مدفوعين بعقلية تنهيج و تنقية اللغة مما أدى بهم إلى توحيد لغتي القرآن و الشعر الجاهلي في الوقت الذي نظموا فيه و استخرجوا قواعد العربية الفصحى ، فالقرآن و الشعر الجاهلي لا يمثلان إذا اللهجة الشعرية في شكلها القديم الحي ذي الشيات، و لكن لغة مجردة على قدر الإمكان من البقايا اللهجية .

ماذا أضاعات اللهجة الشعرية أثناء هذه الغربلة الدقيقة ؟ أشياء قليلة دون ريب ، هذا إذا اعتمدنا على الفوارق اللهجية التي احتفظ بها القرآن ، و لما بدأ النحاة واللغويون أعمالهم اكتفوا بتطبيق حدود المحيط العربي الصرف تخلصا من اللهجات التي تبعد بشكل واضح عن لغة القرآن و الشعر الجاهلي .

و ليس المهم في أنهم أهملوا البحث عن مصادر تلك اللهجة الشعرية ، و أنهم اعتبروا اللغة المستعملة من الحجاز حتى الفرات ، و من مجد حتى السهول السورية الفلسطينية كلغة حجازية بحتة ، بل المهم في أنهم استخدموا علمهم للاحتفاظ بآثار لغة رفعت إلى المرتبة الأدبية منم جهة ، و في استخدام نزعة التصفية في الاتجاهات العامة للهجة الشعرية الشبيهة بلغة القرآن من جهة أخرى .[8]

4 – 3 - دراسة ريجيس بلاشير " (الأثر الشعري في العصر الجاهلي عند الشعراء البدو و الحضر):

يعتقد **" بلاشير "** بأن الأثر الشعري في العصر الجاهلي عند الشعراء البدو و الحضر مصدره في الأصل الأرمجال ، و قد نقل إلينا المؤرخون الملمون بروح مجاملة لا تخلوا من سذاجة طائفة من النوادر الدالة على أن البدو في القرن السابع رجالا و نساء ، كبارا و صغارا كانوا يرتجلون الأبيات التي ستغدوا موضع إعجاب الأجيال المقبلة ، و يعدون من الحقائق خبر ارتجال الحارث بن حلزة البشكري معلقة طويلة جدا دعيت باسمه ، على أننا نقر بأن مكة ارتجال الشعر منتشرة جدا في الصحراء ، و هو مما تؤيده الملاحظات الحديثة ، و بخاصة في مساجلات الزجل و سهولة القول عند الزجالين السوريين و اللبنانيين .

إن نظم الشعر عند شعراء العصر الجاهلي كما في أيامنا هذه وليد دافع طارئ ، و وحي آبق يظهر بظهورهما و يختفي باختفائهما دون أن تبذل جهود لتوقيفه و تثبيته و تأمين ديمومته ، و نجد أحيانا على العكس أن ارتجال الشعر في القرنين السادس و السابع عرف بفضل جهد الشاعر الواعي أو ظروف

[8] نفس المرجع السابق ، 87 - 91

خاصة ، نوعا من البقاء ، عندما يوجه الشعر مثلا إلى رئيس أو جمهور مهما أن لا يهمل هذا الشعر في زوايا النسيان ، و كان المرتجل في الشعر الجاهلي مجبرا أحيانا على أن يتحول من مفن حريص على إعادة النظر في معطيات وحيه ، و قد نقل إلينا اللغويون العرب في أواخر القرن الثامن خبرين ذوي مغزى عن الشاعرين الجاهليين زهير و الحطيئة ، فقد كان الأول ينظم شعرا طوال سنة كاملة قبل عرضه على الناس ، أما الثاني فقد كان يقول : " خير الشعر الحولي المحكك المنقح " . إن هذه الطريقة هي وحدها معقولة في حال نظم القصائد الطويلة ، و هي شبيهة بالطريقة المتبعة في أيامنا ، فإن الشاعر البدوي في وقتنا الحاضر لا ينظم القصيدة الطويلة دفعة واحدة ، بل يضع عادة بعض الأبيات ثم يعرضها على أصحابه لتثبيتها في أذهانهم ، ثم يضع مجموعة من الأبيات الأخرى يضيفها الأولى إلى أن تتم القصيدة كلها ، و هو في كل ذلك ينظر بعين الاعتبار إلى الملاحظات التي يبديها السامعون و على ضوء هذه الآراء و بالنسبة لتجاربه الخاصة يصحح أو يعدل ما يراه جديرا بالتصحيح أو التعديل .[9]

و يحق لنا بعد هذا أن نعتقد بأن طريقة النظم عند الشاعر الجاهلي لم تكن تختلف عن الطريقة المذكورة عندما تكون الغاية نظم قصائد يرجى لها البقاء ، و هنا يجب الإصرار على مظهر القصائد نصف الجماعي من جهة ، و اختلاف الرواية العرضي منذ تأليف القصيدة من جهة أخرى ، و عندما نعرض في أيامنا لتحقيق قصيدة يجب الاعتماد على مصادر متعددة ، و من هنا نشأت الاختلافات في أجزاء الأبيات و عددها و تسلسلها ، و لا شك أن خيانة الذاكرة سبب الاختلاف ، و إن كان هذا العذر لا يفسر كل شيء ، و يجب إضافة عذر آخر و هي التنقيحات المختلفة التي طرأت على القصيدة حين تأليفها فإن الشاعر الحديث ذاته قذ يتيه تجاه الاختلافات الناتجة عن عملية النظم و التأليف ، و قد يني الشاعر أحيانا كل الاختلافات الطارئة على قصيدته في حالة علوق نص القصيدة المرتجلة في أذهان الناس دون إرادة صاحبها .[10]

4 – 4 - دراسة "إجناتس جولد سهير" (الشعر الجاهلي) :

يستهل " جولد سهير " قوله بأنه العرب فسروا العملية الإبداعية بالقوة الغيبية التي تسكن الشاعر فسماها العرب ب " الجن " ، و عند نزول القرآن معجزا لبلاغتهم و فصاحتهم نعتوه بالسحر " إن هو إلا سحر يؤثر " ، ثم جعل يقف عند مجموعة من الشواهد التي تعزز طرحه هذا ، و من ذلك أن عبيدا لم يكن يكتب الشعر " حتى أتاه آت بكبة شعر " ، فقال له : " قم " فألقاه في فمه ، و منذ تلك اللحظة صار

[9] نفس المرجع السابق .
[10] ريجيس بلاشير – ترجمة إبراهيم كيلاني : **تاريخ الأدب العربيبروى العصر الجاهلي** ، مرجع سبق ذكره ، ص 96 ، 97

قادرا على نظم الشعر في هجاء من أهانوه في شرفه . و الحاصل أن " عبيدا " لم يبدع من بنيات أفكاره ، و لكنه تلقى الإلهام من قوة غيبية ، و هو من هو في تاريخ الشعر العربي و من شعراء المعلقات .

لقد نحى المستشرق المزاوجة بين ضرب الإسلام و مزية العرب ، حيث " بقي هذا التصور ل جني أو شيطان الشاعر زمنا طويلا في الإسلام بعد ذلك " ، فالشاهد من هذا أن نزول الإسلام لم يقطع مع هذا الزعم و إن كان يدعوا إلى القطيعة مع أساطير الأولين بمختلف تجليات الأسطرة

ثم وصل إلى العصر الأموي ، فجعل يحدثنا عن شعر " جرير " ، و هو من هو في شعر النقائض و صاحب أهجى بيت عربي :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت و لا كلابا

لقد جرى هذا البيت كمجرى النار في الهشيم ، حتى قال الراعي النميري : " ما سقينا ماء من مياه العرب إلا و قد سمعنا هذا البيت قد سبقنا إليه ، و هو الأمر الذي يؤكد قوة بيان " جرير " و بلاغته حتى فسرت بقوة جنه و قرينه ، و لما أحس النميري أنه جلب المذلة لبني نمير ، جعل يبرر عجزه بقوة غيبية قائلا : " و أقسم بالله ما بلغه إنسان قط ، و إن لجرير أشياعا من الجن " ، و " جرير" نفسه كان يعلل قوة شعره و قدرته على نظم الشعر قائلا :

وجدت رقى الشيطان لا تستفزه و قد كان شيطاني من الجن راقيا

و ما زال المستشرق يستجمع الشواهد إلى أن بلغ العصر العباسي ، وها هو ذا مجترح المقامات و سيدها الذي قال فيه " الحريري " : " على أن أنشئ مقامة أتلو فيها تلو بعيد و إن لم يبلغ الضالع (...) هذا مع اعترافي أن البديع رحمه الله سباق غايات و صاحب آيات ، و إن المتصدي للمقامة من بعده لا يغترف إلا من فضله ، و لا يسري ذلك المسرى إلا بدلالته " ، فالشاهد من هذا أن بديعا قد بلغا شأنا عظيما في الثقافة الإبداعية العربية ، و لكن ما مصدر إبداعه ؟ يرد " جولد سهير " من رسائل بديع الزمان في سجاله مع الخوارزمي :

فإذا التقينا غلب شعري شعره و نزا على شيطانه شيطاني

و في الجمهرة أن رجلا حاور جنيا فقال له : " أتروي من أشعار العرب شيئا ، قال نعم ، سل عن أيها شئت ، فقلت أنشدني لامرئ القيس و للنابغة و لعبيد بن الأبرص ، ثم قال أتحب أن أنشدك من شعري أنا ؟ قال نعم ، فانفع ينشد لامرئ القيس و النابغة و عبيد ، ثم اندفع ينشد للأعشى / فقلت : لقد سمعت بهذا الشعر منذ زمن طويل . قال للأعشى قلت نعم ، قال أنا صاحبه ، قلت فما اسمك ؟ قال مسحل السكران

بن جندل ، فعرفت أنه من الجن ، فبت ليلة الله بها عليم ، ثم قلت لهم : من أشعر العرب؟ قال أرو بن لافظ بن لاحظ ، و هنات و هبيد و هادر بن ماهر ، قلت : هذه الأسماء لا أعرفها ، قال : أجل أما لافظ فصاحب امرئ القيس ، و أما هبيد فصاحب عبيد بن الأبرص ، و أما هادر فصاحب زياد الذبياني و هو الذي استنبغه فسمي النابغة ، ثم أسفر لي الصبح فذهبت و تركته . [11]

4 – 5 - دراسة "فاجنر" (الشعر العربي القديم) :

يطرح" فاجنر" فيما يتعلق بالأسباب الاجتماعية للشعر العربي القديم إذ يرى أن : الشعر العربي القديم عربي في نشأته الأولى ، و تمتد نشأته الأولى و تمتد أصوله إلى الحياة البدوية ، ليس هناك من سبب لافتراض تأثيرات غير عربية ، أما مظاهر من حضارة في بلاد الغساسنة و الحيرة فإنها نشأت في وقت متأخر من زمن نشوء الشعر العربي القديم .

و الشعر العربي يمثل حياة العرب المتبدية و أنه مصدر لمعرفة حياة العرب البدو القديمة و إن كانت هناك جوانب كثيرة لا يخبر الشعر عنها ، من مثل عبادة الآلهة أو التجارة و تبادل السلع بين البدو و الحضر ، أو ما يتعلق بالحياة الأسرية و تنشئة الأطفال ، و في الوجهة الأخرى يخبر الشعر بالكثير عن السير إلى المنزل و الجمل و القنص و الحرب و الموت و الثأر و مجلس الشورى و مآدب طعام الكرماء.

و يتأطر الشعر في جانب اجتماعي آخر ، و ذلك عن طريق النسيب و ذكر المرأة و التعلق بودها و خطبها سرا و الولوج إلى خيمتها دون معرفة الآخرين ، و كل ذلك يظهره الشعر ، و يوضح الحياة الاجتماعية بين الشاعر و المرأة المحبوبة العاشقة .

و يظن المستشرق " قاديه " أن القصائد من هكذا نوع أنشأت في زمن انقلاب اجتماعي و قانوني إذ لا رابط بحكم تلك العلاقات ، بينما القصائد التي تصور المرأة شريفة ، فإنها نشأت عن علاقات شرعية أمومية و يكون الحديث فيها عن أسرار أبوية .

أما " فاجنر " فيرى ذلك غير ممكن إثباته قانونيا و بالدليل القاطع ، إذ لم يكن انفصال المحبين مشكلة قانونية و إنما استمرار في مشكلة عاطفية .

و تظهر أشياء مادية يحتويها الشعر و يذكرها الشعراء في شعرهم ، و ذلك ما يتعلق بحياتهم اليومية أي أدوات الحضارة المادية من مثل ذكر السلام و الملابس و الحلي و الخيمة و السروج و أدوات الطبخ و الأطعمة .

[11] عثمان بالفقيه : **جن الشعراء – نقد الرؤية الاستشراقية و نقضها** ، مجلة رؤى في الآداب و العلوم الإنسانية ، ص 48 ، 49

و يقول " فاجنر " إزاء ذلك و لكن لا ينبغي أن يتصور أن الحضارة المادية للبدو قائمة على أساس الشعر ، و قد أشار إلى ذلك " جاكوب " و آخرون .

و يذكر " فاجنر " أمرا آخر عن كلمة " شاعر " و ما نعني ، فهي في الأصل تعني العارف مثله مثل الكاهن متنبئ القبيلة و أن هناك جن يمليه الشاعر الأمر الذي أكسبه معرفة فوق البشرية مكانة مرموقة في القبيلة إذ يلجأ إليه في أمور كثيرة تهم القبيلة في السلم و الحرب ، و ينظر إليه على أنه حكيم .

و كلما ازداد بروز الوظيفة الفنية للشعر إلى جانب الوظيفة السحرية ازدادت الحاجة إلى معارف إنسانية ، إلى جانب الإلهام فوق الإنساني ، لذا وجب على الشاعر امتلاك ناصية اللغة الشعرية المشتركة بين القبائل ، و أن يكون عارفا بأنساب العرب و تاريخها ، فضلا عن حفظه قصائد كثيرة لشعراء آخرين ، حتى يكون ملما بموضوعات الشعر و موازناته و ثروته اللفظية ، و يكتسب ذلك حينما يكون أولا راويا لشاعر آخر ، و هذا كله يجعل من الشاعر في مقام سيد القبيلة ، فإن كل ذلك لا يزيده شهرة .[12]

و قد ذكرت " ريناتا كوبي " هذا الأمر وصفا حسنا للغاية : " الشعر العربي في جوهره محافظ ، فهو يخدم إرث النظام القيمي و المعايير القانونية للأرستقراطية القبيلة و يؤكد بذلك سيادته ، و له بالنسبة للفرد فضلا عن ذلك وظيفة ثابتة ، فالشاعر يشكل عالم حياة البدو ، و يهبها من خلال لغته شكلا ملزما من الناحية الجمالية . و في المواقف المتأسلبة للنسب التي تركز على خبرة جمعية يكابد أزمنة وجدانية و يجد آخر الأمر إمكانية التغلب عليها ، و في ذلك يتحد مع مسامعه دون وعي ، فيعيشان الصراعات نفسها و حلها ، و يعرفان من خلال ذلك راحة وجدانية ، و هكذا فشاعر القبيلة في أداء وظائفه قد وجه إلى مشاركة الجمهور و قبوله ، فمعرفة الهوية التي يتيحها لهم يجب أن تطابق إحساسهم بالحياة و نظامهم القيمي .

فتقول " ريناتا " أن الشعر العربي القديم يورث النظام القيمي للأرستقراطية القبلية ، فتظهر المحبوبة منعمة كثيرا بحايها لا تقوم بأعمال المنزل و لها خادمات و أنها عريقة النسب و شريفة دائما ، و لا يمكن أن تنشأ فضائل الرجال التي مدحها الشاعر في نفسه أو في الآخرين إلا في وسط أرستقراطي .

و نظرا لأن الشعراء و إن لم يصدروا عن الأرستقراطية ، فقد توافقوا مع إيديولوجيا لا يمكن أن تظهر إلآ في الأرستقراطية ، فإنه لا يمكن أن يوصف الشعر العربي بأنه شعبي .

---

[12] أكرم عبد الله محمد العوسجي : **دراسات المستشرقين للشعر الجاهلة (دراسة تحليلية نقدية)** ، رسالة دكتوراه في الأدب العربي – تخصص أدب جاهلي ، كلية الآداب ، الجامعة الإسلامية ، بغداد – العراق ، ص 26 - 30

أما رأيه في الشعر العربي القديم ، فيطرح فيه " فانجر" نشوء لغة الشعر المتوحة بتعبيراتها و صياغاتها الموحدة بين الشعراء و أنها إلى ألف عام ما قبل عصر صدر الإسلام ، و أنها تنتمي إلى فرعين مختلفين من اللغات السامية ، اللغة العربية الجنوبية هي أقرب إلى السامية في إثيوبيا ، و لم تكن معروفة إلا منذ وقت قصير من نقوش ليست ذات محتوى شعري ، أما اللغة الشمالية فلم يتبقى منها إلا آثار نقشية مكتوبة ، و من تلك النقوش تعود إلى الصفائية " اللغة الصفوية " ، حيث ترددت في الشعر العربي بضع موضوعات من اللغة من مثل الحزن على الميت و الشوق عند العثور على آثار أشخاص أقارب و الصيد و غارات السلب .

و تشير النقوش في اللغة الشمالية من الناحية اللغوية إلى اختلافات شديدة فيما بينها و مع غلة الشعر العربي القديم ، و هنالك قبائل شمالية استخدمت الخط الآرامي و هم الأنباط الذين استخدموا النقوش التي اقتربت لغتها من لغة الشعراء ، وأشهر هذه النقوش نقوش النمارة ، و ظهرت في الأردن و سوريا نقوش من القرن الرابع إلى السادس الميلادي مكتوبة بخط يقترب إلى اللغة العربية منها إلى النبطية و قد تبين أن الخط العربي قد تطور في زمن ما قبل الإسلام عن الخط النبطي ، و يتناقض التنوع اللغوي الذي تظهره النقوش بشكل لافت للنظر مع التوحد النسبي للغة الشعر العربي القديم و القرآن .

و من هنا يظهر السؤال حول العلاقة بين اللغات المنطوقة و لغة الشعر و القرآن ، فلغة القرآن و الشعر لغة تركيبية بصورة قوية تعبر نهاياتها الحركية عن حالات الإعرابية ، و هي سمة اللغة العربية في عصر ما قبل الإسلام و أنها تسقط في اللهجات الحديثة ، أما قواعد الكتابة و الإملاء فقد قامت على اللغة السائرة (العامية) الممثلة لنمط العربية الحديثة ، أما لغة القرآن و الشعر فهي اللغة ذات النمط العربي القديم التي ماتت في الحياة اليومية ، و هذه الوجهة وجهة نظر " فولرز " و " فيشر " و " قير " و " شبيتالر " ، أما الآخرون من مثل " نولدكه " و " فوك " و " بلاو " ، فوجهة نظرهم أن الإعراب نطق كاملا في زمن الرسول (صلى الله عليه و سلم) و اختفى زمن الفتوحات بتأثير الأعاجم . و لكن بحوث " ف. ديم " حول أقدم قواعد للكتابة و الإملاء في اللغة العربية أنها مشكلة لم يوجد لها حل . [13]

4 – 6 - دراسة " أندريه ميكيل " (نظرة شاملة للأدب العربي) :

إن القرآن لم يخلق لا اللغة و لا الأدب العربي ، و مع ذلك فإنه من خلال الانفجار الرعدي الهائل و الأصداء المتتالية اللامتناهية التي ولدها ، فقد جدد و بنى و نشر هذه اللغة القديمة و مجد أدبها و خلق بالمعنى الكامل للكلمة هذه المرة ، حضارة ، تجعل كل ما ولد أو تفجر في القرن السابع الميلادي في قلب

[13] نفس المرجع السابق .

شبه الجزيرة العربية ، التي كانت حتى هذه اللحظة هاشمية ، يمكن أن يمتزج من الناحية التاريخية تحت الرمز المزدوج للمسلمين و العرب ، و يتحول في إطار الهالة نفسها إلى مجد حقيقي .

و كان هذا الأمر بالنسبة للغة ، و ارتقاء باللهجات المتنوعة ، يستخدم القرآن المعجزة للتبليغ الواسع و للعظة ، و لكن بعد التحوير من خلال العقيدة ، و ذلك على نحو خاص ، و حتى إذا حصرنا الظاهرة في مضامينه اللغوية فحسب ، سيحمل دلالات هامة و خاصة ، إن نتائجها تتلقى من أسبابها صفة القداسة . إن هذا النص الأساسي للأدب العربي يطرح و يقدس منذ البدء نموذجا ثلاثيا ، فوراء حدود اللهجات يؤكد حق و واجب الفهم المتبادل بين العرب (دون أن نتحدث هنا عن المبادئ الفردية الموجهة كما يقول القرآن نفسه بوضوح إلى كل أفراد العالم لكي يصبحوا مؤمنين) ، و اللغة أداة هذا الاتصال الجديد طرحت من خلال أصولها التاريخية ، أو بالأحرى الإلهية باعتبارها خروجا على اللغة السائدة ، و لهذا فإن التعبيرات و العاميات السائدة تجرد منذ البدء من كل علائم النبل الممكنة ، فالنبل على مستوى المعرفة سيظهر من خلال اللغة الوحيدة التي تضفي عليه ، من خلال هذه اللغة المطروحة مثاليا على كل أصحاب النوايا الطيبة ، و التي تمت إجادتها من خلال الواقع التاريخي من خلال المواهب الشخصية أو الانتماء العائلي داخل المجتمع ، و أخيرا (و هنا تعيد القداسة تأكيد حقوقها بقدر أكبر من القوة) فإن العربية من خلال ظهورها بوصفها وسيبة مثالية لنقل الوحي ، سوف تؤثر على تشكيل العلم المعياري للغة ، و سوف تجبر التعبيرات التي تظهر في المستقبل على أن تذوب تحت صوت العربية " القديمة " للجزيرة التي رفعها القرآن إلى شكل سام و سوف يتحدد التصريف و المعجم و النحو و التجويد و مخارج الحروف على هذا النحو ، بدءا من الظاهرة القرآنية في لغة تسميها تقاليدنا الاستشراقية – متابعة في هذه النقطة التصور الإسلامي المثالي ذاته – بالعربية الأدبية – أو – و هو ما نفضله بالعربية الكلاسيكية . [14]

خلاصة :

يعد المدخل الأنثروبولوجي لدراسة الأدب العربي القديم جزئية مهمة و مجالا خصبا للتعمق في حياة ممن تركوا آثار أدبية خاصة فيما يتعلق بالشعر الجاهلي ، فهذه المرحلة الزمنية لها خصوصيتها الاجتماعية و الثقافية التي يعبر عنها من خلال القصائد المجسدة للواقع المعيش بقيمه و معتقداته و عاداته و تقاليده التي مازلنا نتعرف عليها كلما وقع بين أيدينا أبيات شعرية من هذا التراث .

[14] أحمد درويش : **الاستشراق الفرنسي و الأدب العربي** ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، بدون طبعة ، 2004 ، ص 55 56

المحاضرة التاسعة : الدراسات الاستشراقية في حقل الأدب العربي القديم (دراسات فنية جمالية)

المحاضرة التاسعة : الدراسات الاستشراقية في حقل الأدب العربي القديم (دراسات فنية جمالية)

مقدمة :

بين **"محمد غنيمي هلال"** في كتابه " الأدب المقارن " أن النقاد على مر العصور وصفوا الأدب بأنه أجناس أدبية ، فقال [1] : " لا يزال النقاد في الآداب المختلفة على مر العصور ينظرون إلى الأدب بوصفه أجناسا أدبية ، أي قوالب عامة فنية تختلف فيما بينها حسب بنيتها الفنية ، [2]و لقد ظل الأدب العربي من الأمور التي شغف بها الاستشراق محاولا الوصول إلى معرفة العرب و اتجاهاتهم ، بهدف الكشف عن المؤثرات التي تركها هذا الأدب في آداب أوربا المختلفة بجانب ما تركتها آداب اليونان و الرومان . [3] كما اهتم المستشرقون كثيرا بالصور الجمالية في هذا الأدب دراسة و نقدا ، و من بين الأمثلة على ذلك بحثهم في السجع ، فهم يقرون بشكل واضح باختلاف الفواصل القرآنية عن السجع المعروف عند العرب. فعلى الرغم من أن عقيدة إعجاز القرآن هي التي وقت الأدب العربيّ من هذا النوع من التعبير إلا أن القرآن كرّس السجع بعد أن كان الكهان قد استعملوه قبل الإسلام، والدليل هو أنه عاد إلى نشاطه وقوّته بعد قرنين أو ثلاثة وكأنه يريد التلميح إلى أن السجع أصيل في اللغة العربية كما هو أصيل في القرآن الكريم.[4] و في المحاضرة التالية سنقف على أهم دراسات المستشرقين للأدب العربي من الناحية الفنية و الجمالية .

1 - اهتمام المستشرقين بالصور الفنية و الجمالية للأدب العربي القديم (العروض نموذجا) :

اتجه المستشرقون في معالجتهم لموسيقى الشعر إلى تقسيمه إلى ثلاثة أنواع : الشعر الكمي الذي يعتمد على الكم في المقاطع ، و ما يتطلبه المقطع من زمن للنطق به ، و يتخذون أقصر المقاطع وحدة يقيسون بها و ينسبون إليها ، و الشعر الارتكازي الذي تتكون تفاعليه من مقطع منبور ، و من كدا من المقاطع غير المنبورة ، في حين أنه في الشعر الكمي ، توصف التفاعيل بأنها تتكون من كدا من المقاطع

---

[1] طارق تركي : **تداخل الأجناس الأدبية بين القديم و الحديث** ، ص 22

[2] محمد غنيمي : **الأدب المقارن** ، دار العودة و دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، 1987 ، ص 13

[3] بلقاسم دكدوك : **المستشرقون و الأدب العربي القديم . ما لهم و ما عليهم** ، مجلة إشكالات ، المركز الجامعي تامنغست – الجزائر ، العدد 02 ، ماي 2013 ، ص 12

[4] رمضان حينوني : **الأدب العربي القديم في كتابات المستشرقين الفرنسيين) : أندري ميكيل) و(شارل بيلا) ، مرجع سبق ذكره**

القصيرة و كدا من الطويلة ، والشعر المقطعي الذي يعتبر خاليا من النبر الذي يولد بالإيقاع الموسيقى في تفاعيله ، و أن موسيقاه سيالة هادئة تماما .

و عندما أخذ المستشرقون يهتمون بالشعر العربي و عروضه الفريد ، اعتبروه من الشعر الكمي و حللوا الأبيات إلى مقاطع ، بدلا من تحليلها إلى تفاعيل ، كما صنع القدماء من علماء العرب ، و قد بدأ هذه المحاولة المستشرق " آوالد "، و تبعه فيها معظم المستشرقين أمثال " ريث " .

و تراهم يقسمون المقاطع العربية إلى أنواعها الثلاثة :

1 - القصير .

2 – المتوسط .

3 – الطويل .

غير أنهم لم يبصروا بين نغمة الشعر حين ينشد ، و نغمة النثر حين يقرأ قراءة عادية ، رغم اتفاق الاثنين في نظام توالي المقاطع .

و بجانب هؤلاء ، كان هناك غيرهم من المستشرقين الذين اهتموا بالعروض العربي ، و أوزانه و منهم " فايل " و " جوبار " و " فرايتاخ " و " جاكوب " ... الخ .[5]

تمثل قضية الأوزان العربية إشكالية كبيرة في الفكر الاستشراقي ، حيث نجد الكثير من المستشرقين اللذين حاولوا التشكيك في عبقرية النظم الشعري الذي تميزت به القصائد العربية عموما ، و لكن المشكلة الكبرى كانت في حقيقة البناء العروضي المتكامل الذي استقي من ذلك التراث الشعري الكبير فكانت الفكرة الجوهرية في نقاشاتهم التاريخية هي استكثار ذلك الإبداع المنظم على العقل العربي فحاولوا مرة نسبته إلى العروض اليوناني و مرة إلى العروض الهندي ، و لكن كان واضحا أن ذلك غير صحيح البتة لا تاريخيا و لا حتى قياسا ملموسا له داخل هذه اللغات ، و قد كان المستشرق الألماني " فايل جوتهولد " المدافع الأول عن هذه القضية ، و الذي اعتبر أن مثل هذا النظام العروضي لا ينطبق إلا على اللغة العربية ، و قد رد " فايل " بشدة على اللذين كانوا يحاولون ربط العروض العربي بالعروض اليوناني ، أو كما حاول البعض ضبط إيقاع الشعر العربي اعتمادا على الأسس الموسيقية في تراث القدماء خاصة العروض اليوناني السرياني ، لكن " فايل " رد على ذلك ردا قويا ، فقد كان يرى أن

[5] بلقاسم دكدوك : **المستشرقون و الأدب العربي القديم ما لهم و ما عليهم** ، مجلة إشكالات ، المركز الجامعي تامنغست – الجزائر ، العدد الثاني ، ماي ، 2013 ، ص 21

العروض الكمي عند العرب لا يقارن بأي نظام عروضي آخر ، خاصة أن " الفراهيدي " وضع تلك المنظومة العروضية من غير نموذج سابق له و دون أي تأثير أجنبي ناتج عن لغة أخرى ، فقد كان منطلق هذا الترتيب في البحور ليس البيت المفرد فحسب ، بل هو نابع أيضا من طبيعة الكتابة العربية و هذا النظام العروضي لا ينطبق إلى على البحور العربية ، فهو لا يتفق مطلقا مع نظريات العروض اليوناني ، و قد أشار " فايل" إلى الرأي الذي نسب إلى " البيروني " الذي ربط بين نظام الخليل العروضي و العروض الهندي ، الذي افترض إمكانية أن يكون الخليل قد سمع بوجوده عند الهنود في شعرهم ، رغم أنه شهد للخليل بالتفوق و الابتكار .

طبعا الملاحظ هنا في هذه القضية أن " بروكلمان " كان أيضا من المدافعين الأقوياء على أصالة النظام العروضي العربي ، ففي معرض حديثه عن قوالب الشعر العربي في كتابه " تاريخ الأدب العربي " رد " بروكلمان "بقوة و هو يقول : " ... و من الضلال المبين ما زعم "هتكاتش" من أن عروض العرب نشأ على أساس شعر اليونان ، فإن الرجز لا يشبه العروض اليوناني الثلاثي التفعيلات إلا شبها ظاهرا و مما يدل على أن العروض العربي نشأ نشأة مستقلة فن الشعر عند البربر ، الذي أخذ ينمو نموا شبيها بفن العرب" .

و بعد أن ساق نماذج عديدة للبحور العربية من قصائد الشعراء الجاهليين القدامى أقر بأن هذا الفن كان يعتمد على ما يشبه القانون أو القواعد الثابتة ، يقول " بروكلمان " : " على الرغم من أنه لا تزال تعزونا بحوث شاملة لفن العروض عند قدامى الشعراء ، يمكن أن نقرر اليوم بحق أن هذا الفن كان يعتمد عندهم على قواعد ثابتة . [6]

2 - نماذج دراسات استشراقية في جمالية الأدب العربي القديم :

2 – 1 - دراسة "غاستون فييت" لأصول الجمال في الفن الإسلامي:

يوق " غاستون فييت " : " ... و لا شك في أن كل هذه المظاهر يتصل بعضها ببعض فتدل على رغبة أصيلة فطرية في تتبع الأمور بالتحليل البالغ و التفصيل الدقيق ، حتى يصل الفنان إلى نشوة الحذق و المهارة ، بانتصاره على الصعوبات و تسهيله العقبات من أي نوع كانت ، صارفا همه إلى كل دقيقة من دقائق المجموع يصقلها و يتقنها و يتفنن فيها و كأنها عالم بأسره ، لا يأخذه في ذلك ملل ، بل لا يكاد يأخذه خوف التضخم الجزئي ، فالخروج عن تناسق الموضوع ، هو ميل طبيعي عرفناه منذ القدم في مظاهرات الأدب الإنشائي من شعر و نثر ، فاستغربنا لأول وهلة تلك المشاهد المتعددة و التصاوير

[6] نفس المرجع السابق ، ص 259

المتقابلة في القصيدة العربية ، لا يكاد يقف الشاعر عند واحدة منها إنما يوحيها كلها في سيره ، و إن تكن واهية الصلة بموضوعه الأساسي ، فيعدد مفاعيله بواسطة سلسلة من التشابيه تهبط على المطالع من حيث لا يتوقعها، و لا شك أن في الشعر كما في الفن جمالا خاصا لا تصيغه نظرياتنا الفنية و لا مقاييسنا الجمالية . بيد أنه مهما يكن لهذه النظريات و المقاييس من دقة و صواب ، فإننا لا نقوى على دفع الأثر العجيب الذي تحدثه فينا تلك الأحاديث اللطيفة العجيبة و إن دارت حول الموضوع الأساسي ، و تلك الصور المتتابعة على غير ترتيب ، و تلك الخطوط الذاهبة على غير اتجاه بارز و لا غاية ظاهرة ، هي الطراوة المنعشة يوليها الفن الإسلامي متأمليه بما يعرضه عليهم من ظواهر المفاجآت" . [7]

2 – 2 - دراسة " كارل بروكلمان " للشعر الجاهلي :

اعتنى " كارل بروكلمان " بالقصيدة وما يتعلق بها و أولاها قسطاً وافرا من الاهتمام ، فقد تحدث عن وحدة القصيدة بعامة، وكان له اهتمام واضح بها، و لاسيما في ما يتعلق بموضوع بناء القصيدة بخاصة فهي في رأيه أبيات متفرقة ولا يوجد وحدة فيها، كما أنها تفتقد لعنصر الخيال، فتحدث" بروكلمان" من أن الشاعر العربي يشدُّ الأنظار ويلفت الانتباه بملاحظةٍ وتشبيهٍ قوي في البيت إلى المفرد، لكن في المقابل نجد الفن الكلامي لا يعطي القيمة الكاملة، إلا إذا وجد في وحدة أطول وأكبر هي وحدة القصيدة وأوضح" بروكلمان" غياب الوحدة في القصيدة العربية في الشعر العربي، فقال : " لا نجد قصيدة ذات وحدة مستقلة وترتيب متكامل عند قدماء الشعراء إلّا في أحوال جِدِّ نادرة ، ونعتقد أن الندرة التي قصدها" بروكلمان" إنما هي تخصُّ المعلقات وهي أجود قصائد الفحول المختارة فيما درسوها كبنية واحدة متعددة اللوحات. [8]

2 – 3 - دراسة "بلاشير" لشعر المتنبي :

2 – 3 – 1 - المتنبي أسير البلاغة : يعلل بلاشير تحليله شعر المتنبي بالطريقة البلاغية بأن الشاعر نفسه لم يتحرر في شعره من الإسار البلاغي على الرغم من أن استعاراته تجلت من خلال حكم نسبية متكلفة ، و يورد مثالا أوليا لم يعجبه البتة و إن كان يعجب عصره ، يقول في وصف مهارة **الأمير** في ركوب الخيل :

---

[7] صلاح الدين المنجد : **المنتقى من دراسات المستشرقين** ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ، بدون طبعة ، 1955 ،ص 230 ، 231

[8] محمد أحمد شهاب و شيماء عبد الرحيم صالح : **السمات الفنية للمعلقات في دراسات المستشرقين بناء القصيدة مثالا** ، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل ، العدد 37 ، شباط 2018 ، ص 767

لو مر يركض في سطور كتابة أحصى بحافر مهره ميماتها .

إن إفراط المتنبي في البلاغة لا تحسب ضده ، لأنها عادة كانت قد تفشت في الشعر العربي حينما راجعت الصنعة ، و أصبح الشعراء يتكسبون بالشعر ، فلم يكن المتنبي فيها إلا عالة حتى آل بهم الأمر أخيرا إلى تقرير القاعدة المشؤومة (أعذب الشعر أكذبه) .

2 – 3 – 2 - إعراض المتنبي عن الصناعة اللفظية : رغم الغلو في توظيف الصناعة اللفظية في عصر المتنبي ، إلا أنه أعرض عنها ، و اتجه إلى المؤثرات المستمدة من المحسنات اللفظية و التعابير الأسلوبية التي كان بارعا فيها مثل قوله :

إن نيوب الزمان تعرفني أنا الذي طال عجمها عودي

2 – 3 – 3 - التكرار : يقف بلاشير أول ما يقف عند ظاهرة يسميها التكرار ، و يرى أن هذه الظاهرة معهودة في الشعر العربي ، لأنها ذات وقع خاص على السامعين ، و قد انحدرت من العصر الجاهلي و بخاصة من الشاعرين عمرو بن كلثوم و الأعشى .

و قد تفشت ظاهرة التكرار في العصرين الثالث و الرابع للهجرة .

و يسجل بلاشير افتتان المتنبي بهذا التلاعب اللفظي لإدهاش السذج من السامعين مثل قوله :

و من جاهل بي و هو يجهل جهله و يجهل علمي أنه بي جاهل

أو ملوله ما يدوم ليس لها من ملل دائم بها ملل

لكن بعض النقاد أرجعوه إلى " غنجهية فنية " ، و إلى أثر نشأته البدوية التي جعلت منه بين ما يتجمل به أهل الحضر من آداب السلوك رجلا غريب الأطوار في صراحته البالغة و دقة ملاحظته .

2 – 3 – 4 - حسن التشبيه و كثرته : مما اعترف به الثعالبي للمتنبي حسن التشبيه بغير أداة التشبيه و منها التمثيل بما هو من جنس صناعته ، و هذا ما لم يختلف فيه بلاشير أثناء دراسته شعر المتنبي ، إلا صياغة لم يكن المتنبي يتلمس لتشبيهاته الكلمات البعيدة النادرة .[9]

[9] هجيرة دردير ي : **قراءة بلاشير للمتنبي – دراسة نقدية –** كلية الآداب و اللغات و الفنون ، جامعة وهران – الجزائر ، 2008 /2009 ، ص 80 - 94

و القارئ لشعر المتنبي يلاحظ أن الشاعر كان أليفا في تشبيهاته ، يتحاشى الفخمة الضخمة ، و يلتقط الكلمات البسيطة و يصنع منها قلادة رائعة ، و قد تكتسب تشبيهاته أيضا شيئا من الاتساع ، لكن ما نأسف له أن بلاشير لم يزد للموضوع مثقال ذرة عدا أن المتنبي يستعمل التشبيه في أحيان كثيرة ، و هذا تشبيه موفق ، و هذا تشبيه غير موفق .

و من التشبيهات الموفقة ، يقف عند هذه التشبيهات :

و لا تشك إلى خلق فتشتمه شكوى الجريح إلى الغربان و الرخم

و هذا التشبيه :

و غيظ على الأيام كالنار في الحشا و لكنه غيظ الأسير على القد

أو هذا التشبيه :

و أمواه تصل بها حصاها صليل الحلي في أيدي الغواني .

2 – 3 – 5 - استعمال الجناس و الطباق : أما عن الجناس ، فالملاحظ عند المتنبي قد أعرض عنه إعراضا إلا في القلة القليلة خلافا لما عرف عن الشاعر أبي تمام ، لكنه أبدله بأداة أخرى طالما أبرز براعته فيها و امتلاكه لها ، هذه الأداة هي الطباق ، أجاد في الطباق ، بل بلغ به قمة الإجادة ، و قد كان الشاعر يستعمله عندما يورد أفكار متضادة مثل هذه الأبيات :

و كان على قربنا بيننا مهامه من جهله و العمى .

و التضاد هنا بين عالمين متناقضين يتعايشان هما عالم المتنبي المتنور و عالم كافور الجاهل ، و بين هذين العالمين نستطيع أن نتصور معاناة الشاعر في هذه المعايشة ، و يقف عند نوع آخر من الطباق هو التضاد الدقيق في الألفاظ و المعنى معا مثل قوله :

من لا تشابهه الأحياء في شيم أمسى تشابهه الأموات في الرمم

أو في قوله يمتدح عضد الدولة :

يحل به على قلب شجاع و يرحل منه عن قلب جبان

لقد كفل المتنبي لنفسه طريقة مستحدثة في كتابة الشعر باستعماله الطباق أو كلمات ذات قيمة مقطعية واحدة ، و شعر أن موهبته تكمن ها هنا ، لذلك أكثر من الكلمات المتطابقة و المقتضبة ذات الوقع الشديد ، و قد بلغت الأمثلة الكثرة الكثيرة :

إذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص على هبة ، فالفضل فيمن له الشكر

و من ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر [10]

2 – 3 – 6 - التضاد و الإيجاز : في نظر بلاشير تميز أسلوب المتنبي بميزتين اثنين هما التضاد و الإيجاز ، و قد استعملها بمهارة كبيرة ، و يعيب عليه بلاشير أنه حصر شعره بينهما و لم يخرج عنهما :

إذا اشتبهت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى

2 – 3 – 7 - تكثيف الأفكار : هذا مظهر ثان لنبوغ المتنبي في قدرته على إيجاز الأفكار المعقدة و صياغتها في الحكم و تطريق البيت باستعمال كلمات ذات حركات واحدة و ذات قيمة مقطعية متشابهة في الإيقاع ، تدعم البساطة النادرة في مثل هذا التكرار .

و يسوق بلاشير أمثلة لهذا التوقيع المقسم بالتناظر و لهذا التكثيف المركز ، و يقف بالخصوص عند هذه الأبيات :

و مجد يدل بني خندف على أن كل كريم يمان

أنا ابن اللقاء أنا ابن السخاء أنا ابن الضراب أنا ابن الطعان

أنا ابن الفيافي أنا ابن القوافي أنا ابن السروج أنا ابن الرعان

طويل النجاد طويل العماد طويل القناة طويل السنان

2 – 3 – 8 - التوقيع : استعمل المتنبي الأبيات الموقعة بكثرة في شعره ، و قد وظفه في إيجاز متناه جدا

و من الموقعات التي وقف عندها :

إذا اشتبهت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى

[10] نفس المرجع السابق .

فخر الفتى بالنفس و الأفعال من قبله بالعم و الأخوال

ألا كل ماشية الخيزلي فدا كل ماشية الهيدبي

و القوم في أعيانهم خرز و الخيل في أعيانها قبل

2 – 3 – 9 - الغموض : حار "بلاشير كما حار قبله و بعده الباحثون في الغموض الذي اكتسى شعر المتنبي، و لعلها ميزة يغبط عليها لأنها لا تعطى إلا لمن نال حظه من اللغة بلاغة و نحوا و حفظا و من الأبيات التي استوقفت هؤلاء :

أنا ابن من بعضه أبا ال باحث و النجل بعض من نجله

أو ترى الفضيلة لا ترد فضيلة الشمس تشرق و السحاب كنهورا

و لما كانت الأبيات على هذا النحو في الغموض كثيرة في شعر أبي الطيب ولع بها القدماء كل الولوع و تصدى كل منهم إليها عساه يظفر منها بمعنى فات السابقين ، لهذا كان الشيخ الذي يتوصل منهم إلى تأويل جديد يعلن ذلك بكثير من الزهو الطرب .

لكن بعضهم الآخر ربط هذا الغموض الوارد في شعره بالحالة النفسية التي كانت تكتسحه إثر النكسات التي عاشتها الأمة العربية ، و كان محمد كامل حسن واحدا من هؤلاء ، فقد عرض هذا الطيب الأديب أطرافا من حياة المتنبي في معرض من التحليل النفسي ، فعلل تعقيده و غموضه لبعض شعره بأنه أثر من آثار حالته النفسية في الانهزام و ضيعة الأمل ، و هناك من رأى أن هذا الغموض يعرقل على القارئ ، و يغمض المعاني بنقصان العبارة إغماضا يحوج إلى الشرح الطويل .

و كأن المتنبي نبئ بما سيلحق شعره من بحث و تنقيب ، فراح بذكاء فائق يشق لنفسه نهجا جديدا في الدراسة ، فيصنع لشعره إجابة لأسئلة طرحتها الدراسات بعده بقرون ، و لعل في هذه التي قدمها المتنبي لصديقه ابن جني ذات يوم ما يجلي اللبس : " قال لي المتنبي يوما : أتظن أن عنايتي بهذا الشعر مصروفة إلى من أمدحه به ؟ ليس الأمر كذلك ، لو كان لهم كفاهم منه البيت ، قلت : فلمن هي ، قال : هي لك و لأشباهك ."

2 – 3 – 10 - ولعه بالغريب : مما يروى عن المتنبي أنه كان واسع الاطلاع في اللغة شعرا و نثرا حتى قيل أنه لم يسأل عن شيء إلا أجاب دون أن يمهل الآخر ، و قد شهد له بذلك أشد أعدائه ، و من النوادر التي حكيت عنه ما كان بينه و بين الشيخ أبي علي الفارسي الذي كان يكن له كرها شديدا ، قال

له يوما : كم لنا من الجموع على وزن فعلى ؟ ، فأجاب المتنبي في الحال حجلى و ظربى ، فقال الشيخ أبي علي فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لهما ثالثا فلم أجد .

و قد صحح في مجلس أدب ضمه أبو الفرج الأصبهاني هذا البيت :

سقى الله أمواها عرفت مكانها جراما ملكوما و بذرا فالغمرا

قال المتنبي (جرابا لا جراما ، و هذه الأمثلة قتلتها علما ...) ، فأنكره أبو الفرج وقال هذا البيت أنشده أبو الحسن الأخفش صاحب سيبويه و الكلمة جراما بالميم .

و في استعماله الغريب من اللفظ ، يستشهد النقد قديمه و حديثه بمثل قوله :

بياض وجه يريك الشمس كالحة و در لفظ يريك الدر مخشلبا

و إن كان المتنبي رد عليهم أنها كلمة عربية فصيحة ، و قال أن العجاج ذكرها في شعره ، إلا أن مثل هذه المستنكرات ظلت تلاحق الدراسات المتنبئية حتى بعد أن بررها نقال أمثال عبد الوهاب غزام ، و لا ننسى أن الشاعر كان كوفيا يميل إلى آراء الكوفيين ، و كثيرا ما أنكر عليه له مساغ عندهم ، و من قرأ إملاءه على الأبيات الشادة من شعره ، و رأى كيف يحتج لها و يسوق الشاهد بعد الشاهد ، عرف أن الرجل من يؤت من جهل باللغة ، بل من سعة علم بها .

و الملاحظ أن هذه المآخذ قد اشتركت فيها كل الشروح و الدراسات العربية منها و الغربية ، فأعطتها حقها من التحليل و التمحيص ، و لابأس أن نظيف ما استرعى اهتمام ماسنيون و بلاشير على حد السواء :

أحاد أم سداس في أحاد ليلتنا المنوطة بالتناد

أو :

هذه برزت لنا فهجت رسيسا ثم انثنيت و ما شفيت نسيسا

لكن ابن جني قد رد على هؤلاء جميعهم و كف عنهم حيرتهم :" و إن كان في بعض ألفاظه تعسف عن القصد في صناعة الإعراب ، من التمسك بأهداب شاذ ، أو حمل على ناذر ، فعن غير جهل كان منه و لا قصور على الوجه الأعرف به ، و من هنا تشبث قوم لادربة لهم بعلم العربية بأشياء من ظاهر لفظه ، إذ لم يكن لهم خبرة بدخلة أمر و أنشد :

إذا رضيت عني كرام عشيرتي فلازال غضبانا علي كلابها

إذا استعماله الغريب لم يكن عن جهله بلغته و لا كان عن قصور منه ، و إنما كان قصدا ، و لعل في شهادة ابن رشيق و هو يجري موازنة بين المتنبي و أبي تمام ما يوضح ذلك " ... و أبا الطيب كالملك الجبار – سبحان ربي – يأخذ ما حوله قهرا و عنوة ، أو كالشجاع الجريء يهجم على ما يريده و لا يبالي ما لقي و لا حيث وقع . [11]

2 – 3 – 11 - توليد الجديد من القديم : يرى "بلاشير" أن المتنبي لديه قدرة خارقة على ابتداع الجديد من القديم و تجاوزه لأسلوبه المنسجم مع روح الحضارة ، و نورد مثالا على ذلك :

أزورهم و سواد الليل يشفع لي و أنثني و بياض الصبح يغري بي

و يذهب بلاشير إلى أن الشاعر أخذ هذا البيت من بيت قديم و هو لابن المعتز :

لا تلق إلا بليل من تواصله فالشمس نمامة و الليل قواد

و في نظره أن البيتين متباينان لأن التعبيرين مختلفان ، ففي قول أبي الطيب توليد ينطق من معنى قديم لا من أجل نسخه أي إبطاله ، و شتان ما بين قول أبي الطيب المنسجم مع الحضارة ، و بين القول الثاني المعبر عن الجانب المسطح من الحضارة نفسها .

2 – 3 – 12 - التشخيص : أضفى أبو الطيب الصفات البشرية على الحيوان و النبات و الجماد ، من ذلك قوله مخاطبا الطلل :

لو كنت تنطق قلت معتذرا بي غير ما بك أيها الرجل

أبكاك أنك بعض من شغفوا لم أبك أني بعض من قتلوا

2 – 3 – 13 - المتنبي مجدد الرواسم :

يبدأ" بلاشير" نقده الفني أو البلاغي لشعر المتنبي بالتأكيد مرارا على أن هذا الشاعر كان طوال حياته يعمل بالرواسم ، و كان يعطينا في كل لحظة انطباعا عن محاولته التدرب على النظم أو مقايسة براعته الذاتية ببراعة سابقيه من الشعراء ، فكان يقع دون القصد تارة ، و يتجاوزه تارة أخرى ، بيد أن تكرار تلك الرواسم لم يكن طوعيا ، ذلك أن الظروف فرضتها .

إن إسهام أبي الطيب في الأنواع الشعرية متواضع في نظر بلاشير لأن الشاعر إذا ما حاول تصور المحبوبة مثلا ، أو حاول وصف الحرب فإنه يستدعي الرواسم المخصصة لذلك في التراث ، ليس

[11] نفس المرجع السابق .

للتصوير ، و لكن لاستحضار ما يبغي استحضاره ، لكن ما ينبغي قوله ، هو أن الرواسم التي شحن بها المتنبي ليست حكرا عليه و لا على شعره ، بل و ليست حكرا على الشعر العربي وحده ، إنما هي إنتاج مشترك تفنن فيه الهنود و الإغريق و الرومان ، لذلك إذا أردنا أن نفصل في هذه القضية ، فأولى أن نبدأ بمن كانوا قبل المتنبي

2 – 3 – 14- تتبع تطور شعر المتنبي : يقسم "بلاشير شعر المتنبي إلبى مراحل ، و يقف عند كل مرحلة من هذه المراحل ليحكم على شعر الشاعر من حيث الجودة و الرداءة

و يذهب إلى أن العهد الذي بدأ من الوجهة الأدبية من سنة 329 ه إلى سنة 336 ه هو العهد الهام في قدرة الشاعر على تطوير أداته الشعرية ، لأن هذا العهد موسوم في نظر بلاشير دائما بإعداد طريقة ثالثة كانت في حالة كمون في الطرق السالفة مع تميزها إلى حد جعلها جديرة بالنظر على حدة ، فأطرها مثل السوابق متمثلة في الرثاء و الهجاء و القصيدة التقليدية ، و لكنها ممثلة جميعها بشكل أفضل من المرحلة السابقة التي كان فيها المتنبي يجتر الأطر القديمة بأسلوب قديم

و يرى أن شعر المتنبي الذي قاله و هو في فارس كان أروع ما كتب ، لأن شعر هذه المرحلة تخلص من المقدمات الغزلية التي كان يقدم بها قصائده ، و يذكر أن في هذه الفترة بالذات عرف الشعر الغنائي عنده أفقا جديدا فتفتقت في رحابه مواهبه .

أما عن الأغراض الشعرية فيحبذ ألا يقف عند الغزل و لا عند المديح لأن المتنبي يضطر فيه اضطرار و يقف عند الملاحم التي ميزت شعره حين إقامته في حلب باحتشام كبير .

أما عن مراثيه فغالبا ما صور فيها الصراع القائم بين الإنسان ة الحياة في نبرة تشاؤمية كبيرة .

و يسجل بلاشير مرحلة في شعر الشاعر فيها تجمدت موهبته و لم تعد تظهر إلا في ساعة الحاجة و في شكل صيغ سبق استعمالها ، و هي المرحلة المصرية التي قضاها عند كافور الإخشيدي .

و سبب ذلك كما يرى بلاشير راجع إلى أن المنافسة و المراقبة التي كانت في بلاط سيف الدولة و التي كانت تحتم على الشاعر أن يواظب و يجتهد في كتابة الشعر قد غابت تماما في بلاد كافور ، هذا الغياب هو الذي جعل شعر الشاعر يتراجع نسبيا ، إلا بعض الشطحات التي صور فيها غربته في أرض مصر و ألمه من فراق أميره ، و اغتياظه من كافور الذي أخلفه الوعد ، ففي هذه المرحلة من شعر المتنبي اختفت تلك النفحة الملحمية التي ميزت شعره أثناء إقامته في بلاط الحمدانيين ، و في هذه المرحلة ظهر تكلف و صنعة لم يألفها شعره .

لعل بلاشير لا يحب كثيرا شعر المتنبي الذي وصف فيه الحروب التي خاضها سيف الدولة ضد الروم لأنها كانت أروع ما قاله المتنبي ، و لا ضير أن يشهد له بذلك النقد العربي و نعت الخيل و الحرب من خصائصه فكان أروع ما وشح به الشعر العربي .

و ربما يكون مرد انصراف بلاشير عن هذا هو إيديولوجيته أو بالأحرى دينه الذي وقف حاجزا بينه و بين هذا الشعر الذي يسير في عكس الاتجاه الذي تسير فيه عاطفته الدينية ، و هذه حالة عامة عند كثير من المستشرقين الذين يقومون بعملية انتقاء للشعراء الذين يدرسونهم و للشعر الذي يدرسونه . [12]

خلاصة :

نخلص مما سبق إلى أن الصور الفنية و الجمالية في حقل الأدب العربي القديم قد نالت نصيبا وافرا من الاهتمام و العناية من طرف المستشرقين ، فمنهم من أشاد بقيمتها و درسها دراسة موضوعية محتكمة إلى قواعد المنهج العلمي ، و هناك من شكك في أصالتها و اعتبرها مستوحاة من الأدب اليوناني وضلت هذه القضية محل جدل بين علماء الغرب ليأتي الرد عليهم من طرف علمائنا العرب ، و هذا ما سنقف عليه في المحاضرات القادمة .

[12] نفس المرجع السابق .

المحاضرة العاشرة : الدراسات الاستشراقية في حقل الأدب العربي القديم(دراسات سيرية بيوغرافية – الجزء 01-)

المحاضرة العاشرة : الدراسات الاستشراقية في حقل الأدب العربي القديم

(دراسات سيرية بيوغرافية – الجزء 01 -)

مقدمة :

نستطيع القول أن المستشرقين كان لهم باع طويل في مجال الدراسات المتعلقة بحقل الأدب العربي فيمكن أن نشير على سبيل المثال إلى الراهب الفرنسي" جربر دي أولياك" 938 – 1003 م حيث ارتبطت باسمه بداية حركة الاستشراق ، و الذي أصبح فيما بعد بابا لكنيسة روما عام 999 م فاستطاع من خلال منصبه الجديد أن ينشئ مدرستين لتدريس اللغة العربية وعلومها، وكانت الأولى في روما مقر البابوية، والثانية في وطنه الأصلي" دايمس"، ثم أنشأ بعد ذلك مدرسة ثالثة تسمى مدرسة "شارتر"، وإليه يرجع الفضل في انتشار الأعداد العربية في أوربا التي كانت ينقصها رقم الصفر، حيث قام بترجمة بعض الكتب العربية في الرياضة والفلك إلى اللاتينية .ثم جاء بعده" قسطنطين الأفريقي" "بطرس المحترم، و"أرجو دي سانتلا " ثم" جيرارد كريمون " .

ثم بعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم بين أبناء وطنهم ثم أسست المعاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة العربية، وأخذت الأديرة والمدارس العربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية – وهي لغة العلم في جميع بلاد أوربا يومئذ -و استمرت الجامعات العربية تعتمد على كتب العرب وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون.

ولم ينقطع منذ ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام واللغة العربية، وترجموا القرآن و بعض الكتب العربية العلمية و الأدبية ، حتى جاء القرن الثامن عشر – وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي والاستيلاء على ممتلكاته فإذا لا ت في جمع بعدد من علماء الغرب ينبغون في الاستشراق ، و يصدرون لذلك الممالك الغربية، ويغيرون على المخطوطات العربية في البلاد العربية والإسلامية، فيشترونها من أصحابها الجهلة أو يسرقونها من المكتبات العامة التي كانت في نهاية الفوضى و ينقلونها إلى بلادهم و مكاتبهم ، وإذا بأعداد هائلة من نوادر المخطوطات العربية تنتقل إلى مكتبات أوربا ، وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين و خمسين ألف مجلد و مازال هذا العدد يتزايد حتى اليوم.[1] و في هذه المحاضرة سنحاول أن نركز على عرض السير البيوغرافية لأهم المستشرقين و ما لهم و ما عليهم في مجال دراسة الأدب .

[1] عبير أحمد فاضل الثقفي : **لمحة عن الحركة الاستشراقية و وسائلها و أهدافها** ، مرجع سبق ذكره ، ص 1071 1072

1 - سير بيوغرافية لأهم المستشرقين و أعمالهم في مجال الدراسات الأدبية :

1 – 1 - "جربيردي أورلياك" - (Gerbert de Aurillac) 930-1003 [2]:

يتفق أغلب الباحثين في تاريخ الإستشراق أنه أقدم من مثل الاستشراق المعروف حاليا، وهو حوالي "Aurillacبذلك عميد المستشرقين عامة و الفرنسيين خاصة، ولد في: أورلياك وبعد ذلك ذهب إلى SaintGérault سنة 1930 م، نشأ في دير للقديس جيرو الأندلس وتلقى من علماء العرب المسلمين علوم الهندسة والميكانيكا والفلك وسائر العلوم المعروفة في ذلك العصر.يعزى إليه إدخال الأرقام العربية إلى فرنسا .وبعد تقلبات كثيرة في دهاليز السلطة بين الكنيسة وقصور الحكام قاده قدره لينتخب سنة 999م بابا للكنيسة الكاثوليكية في روما.

ويعد أول بابا من أصل فرنسي .توفي سنة 1003 م، ولا يعرف في أعمال جربير مؤلفات وبحوث في اللغة العربية أو علومها، إلا أنه ورغم هذا له الفضل الأول في دخول العلوم العربية إلى العالم الأوروبي المسيحي، كما شجع على الترجمة من العربية إلى اللاتينية، ويكفيه فخرا أنه يسر لأوروبا بكاملها الالتفات إلى كنوز الحضارة العربية الإسلامية التي ساهمت في قيامها من سباتها .

1 - 2 – "بطرس المحترم" :1092-1156[3] (Pierre le Venerable) :

رجل دين ولاهوتي فرنسي، تدرج في سلك الرهبنة منذ نعومة أظفاره حتى صار وهو في الثلاثين والى جانب اشتغاله « ABBE DE CLUNY » من عمره رئيسا لدير كلوني بالعمل الكنسي فقد كانت له علاقات متميزة برجال السياسة والحكم في عصره أتاحت له الاستفادة من مكانة محترمة وذات شأن بينهم، غير أن الذي يهمنا أكثر في هذا الباب ليس علاقاته برجالات عصره، بل هو إسهامه في الدراسات الإستشراقية عن الإسلام والمسلمين، وليس علينا هنا أن نبحث كثيرا فالرجل لم يترك أعمالا كثيرة مؤلفة تشهد له بطول الباع في التأليف بل هو عمل واحد لا غير كان الأول والرائد في مضماره هو ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية"، وقد باشره وأتمه خلال مقامه في الأندلس بمعاونة من بعض المسيحيين من " مدرسة المترجمين من العربية إلى اللاتينية "في طليطلة وانتهى من هذه الترجمة سنة 1143 م، وهي تعد " أول ترجمة إلى اللاتينية للقرآن كله من اللغة العربية، واستمرت معتمدة في أوروبا حتى إلى القرن السابع عشر "توفي بطرس المحترم "أواخر سنة 1156 م بفرنسا.

1 - 3 - "غيوم بوستل" (Guillaume postel) : [4]

يختلف العقيقي وعبد الرحمن بدوي أهم من ترجم للمستشرقين من الباحثين والدارسين العرب (في تاريخ ميلاده فالعقيقي يشير في ترجمته إلى 1505 م كتاريخ ميلاد" بوستل"، في حين أن عبد الرحمن بدوي

---

[2] عبد الرحمن بدوي : **موسوعة المستشرقين** ، مرجع سبق ذكره ، ص 125

[3] نفس المرجع السابق ، ص 178

[4] .نجيب العقيقي : **المستشرقون** ، مرجع سبق ذكره ، ص158

يقول أن ميلاده لا يكون إلا سنة 1510 م، وهو الرأي الذي تؤيده المعلومات العامة في الموسوعة الإلكتوونية العالمية " ويكيبيديا . تميز منذ صغره بتعلم اللغات والتحكم فيها، تعلم في باريس اليونانية والعبرية ،ثم أتبعهما بتعلم الايطالية الاسبانية والبرتغالية، وهو الشيء الذي هيئ له مكانه مقربة من أهل السلطان، " François 1er "إذ نجده يذهب مبعوثا من طرف الملك الفرنسي "فرانسو الأول إلى الشرق لاقتناء مخطوطات ونسخ ثمينة من الكتب العربية خاصة والشرقية عامة وزوده لأجل ذلك بمال كاف وتوصية عالية المقام، وأتاح له هذا العمل السفر والتجوال بين أنقرة عاصمة الخلافة الإسلامية آنذاك، وباقي الحواضر العربية كدمشق وبيروت والقاهرة، قبل أن يعود إلى باريس أين أصبح أستاذا في "الكوليج دو فرانس سنة 1539 م، وأصبح سنة 1551 م أستاذا للرياضيات في جامعة باريس وأصبح محط إعجاب الكثيرين من طلاب إلى شخصيات عامة إلى رجال الدولة.

بعد ذلك بقليل لبى طلب ملك النمسا آنذاك وانتقل إلى فيينا ليصبح أستاذا للغة العربية واليونانية سنة 1552م، وبعد مسيرة طويلة عاش فيها ذروة الإحباط، وبعد سنوات أخيرة تميزت بتقلبات عاصفة أحيانا توفي" غيوم بوستل "سنة 1581 م بفرنسا مسقط رأسه .من أهم آثاره نجد: حروف هجاء اثنتي عشرة لغة 1538 "م،" قواعد اللغة العربية 1539 "م" .اللغة العربية والفينيقية 1553 "م"– عادات وشريعة المسلمين 1560 "م،" وصف القاهرة "سنة 1952م، وقد نشر الكتاب الأخير تحت إشراف آنجيلا كوداتزي.

1 - 4 – "هربلو، بارتيليمي" D'herbelot (1625-1695) : [5]

مستشرق من الرعيل الأول ولد في باريس وفيها تعلم اليونانية واللاتينية ودرس الفلسفة وغيرها من العلوم العقلية لكنه لم يترك تعلم اللغات فانكب على تعلم العبرية والسريانية والعربية والفارسية والتركية . ارتحل بعد ذلك إلى روما حيث زار جامعتها ومطبعتها الشرقية ونال رعاية كبراء الدولة هناك حيث عاد محملا بنصيب وافر من المخطوطات العربية القيمة عند عودته إلى وطنه عمل في ديوان وزير مالية فرنسا ثم مترجما من اللغات الشرقية فيCollège de France البلاط، ثم ارتقى حتى ولي كرسي اللغة السريانية في" معهد فرنسا حتى وفاته في الثامن من ديسمبر سنة 1695 م .من أهم آثاره التي خلفها " نجد "المكتبة الشرقية "وهي " دائرة معارف في بضعة مجلدات مرتبة على حروف المعجم تبحث في علوم الشرقيين وتاريخهم وآدا□م...وغيرها."ورغم أن هربلو اشتغل أثناء تدريسه على اللغات الشرقية وغيرها، إلا أنه وكما اتضح لنا وفر كل جهده لمؤلفه السابق الذكر الذي وهبه وقته وماله وجهده حتى أتمه .ولم يتسنى له نشره لأن المنية وافته بمهمة GALLAND" في الثامن من ديسمبر سنة 1695م .فقام " أنطوان جالان بنشره بعد وفاته سنة 1697 م في باريس.

[5] نفس المرجع السابق ، ص 159

1 - 5 – "أنطوان جالان" 1646 - 1715 -- Antoine Galland [6] :

ولد في في شمال شرق البلاد - مدينة فرنسية اسمها" رولو الرابعة،، عاش يتيم الأب منذ سنه " لكن أمه تولته بالرعاية وقامت على تعليمه فبدأ يتعلم اللغات الشرقية والعربية من بينها .ورغم انقطاعه فترة من الزمن إلا أنه عاد إلى طريق الدرس والبحث، فسافر إلى باريس حيث كانت فرصته في صحبة سفير فرنسا في تركيا" دونوانتيل الذي أصاب معه حظا عظيما في تعلم اللغة التركية والعربية وتحصيل مجموعة مهمة من المخطوطات العربية صار عضوا في " أكاديمية النقوش "سنة 1701 م، وسنة 1709م عين أستاذ اللغة العربية في معهد فرنسا الشهير.توفي" جالان "في السابع عشر من فبراير سنة 1715م، له بعض الأبحاث مثل":كلمات مأثورة عن الشرقيين" باريس 1694 م (وبحوث عن العملات والنقود، لكن ما يخلد اسم" جالان "فعلا في سجل المستشرقين خاصة، هي ترجمته لكتاب " ألف ليلة وليلة "والتي تعد الترجمة الأولى لهذا الكتاب إلى اللغة الفرنسية وسبب معرفة أوروبا كلها هذه الحكايا المدهشة.بدأ جالان هذه الترجمة في حياته منذ سنة 1704 م واستمرت في الظهور حتى بعد وفاته لغاية سنة 1717 م. [7]

1 – 6 - "سلفستر دي ساسي " Antoine Isaac Silvestre de Sacy (1758- 1838:

[8](شيخ المستشرقين، رائد الإستشراق الفرنسي ورافع رايته" أبو الاستشراق الحديث ومنشئ علم الإستشراق في أوروبا "، كلها ألقاب تحيل إلى شخصية البارون دي ساسي الذي يحتل مكانة لم يبلغها مستشرق فرنسي لا قبله ولا بعده.ولد دي ساسي في 1758م لأب كان محرر عقود) كاتب عدل و يسوق الدارسين لتاريخ الإستشراق أن سبب تعلق واتجاه دي ساسي إلى الدراسات العربية والشرقية عامة هو شخص اسمه جورج فرانسوا بيرتيريو،و هو الذي يظن أنه أخذ بيد دي ساسي لتعلم العبرية والعربية ولم يكن دي ساسي متجها للغات الشرقية فقط، لكنه إلى جانب ذلك أدرك حاجته لتعلم اللغات الأوروبية مثل الألمانية والايطالية والانجليزية والأسبانية التي أخذ في دراستها والتمكن منها لزيادة ثقافته من جهة، ومن جهة أخرى لزيادة فرصته في الحصول على عمل محترم يوفر له حياة كريمة لائقة به وبطموحاته .سنة 1778م تم تعيينه من طرف الملك واحدا من ثمانية أعضاء ضمن جمعية لنشر كنوز المخطوطات الشرقية لمكتبة باريس الوطنية،ولم يتوقف الأمر هنا حيث عين بعد ذلك بثلاث سنوات سنة 1781 مستشارا في ديوان النقود الملكي، وفي سنة 1785 م عين عضوا حرا في مجمع النقوش والآداب ثم حافظا للنقود ومفوضا في أمرها سنة 1791 م. غير أن الثورة الفرنسية المندلعة سنة

---

[6] نفس المرجع السابق ، ص 160

[7] أندلوسي محمد : **الترجمة الأدبية من العربية عند المستشرقين (المدرسة الفرنسية نموذجا)** ، كلية الآداب و اللغات الأجنبية – جامعة تلمسان 2009 / 2010

[8] نفس المرجع السابق ، 162

1796تسببت في توقف نشاطه، وانزوى في أحد ضواحي باريس بين أفراد عائلته و مع بحوثه، واستمر الوضع على ما هو عليه حتى خمود الثورة حيث ومباشرة بعد تأسيس وإنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية سنة 1795 م التي أنشئت بقرار من مجلس الثورة -أو الجمعية الثورية -أنشئ ضمن ما أنشئ كرسي للغة العربية، وعين دي ساسي الذي أصبح سلفستر ساسي فقط، أستاذا للعربية فيها مع la" seineبداية سنة 1796 م .ثم انتخب عضوا في الهيئة التشريعية لمقاطعة" السين سنة 1808 م ولقربه من مراكز ضع القرار في زمنه والمكانة التي كان يتمتع بها، منحه سنة 1814 م ضمن عديد من الشخصيات الأخرى، " نابليون لقب" البارون" . استمر نشاط" دي ساسي -"الذي استعاد درجة النبالة في زمن نابليون -ولم يتوقف قط، فمن التدريس إلى البحث والتحليل والمشاركة في الندوات، هذا إضافة إلى المناصب الإدارية التي كان يتقلدها بين الحين والآخر، لكنه رغم هذا وذاك لم يكن يتكاسل أو يتعذر عن أي عمل فكري يعرض عليه والدليل أنه وعلى الرغم من كافة انشغالاته حين عادت le" journal des savantsكان في طليعة محرري " صحيفة العلماء إلى الظهور سنة 1816 م وفي سنة 1922 أنشأ بمعية تلاميذه ومريديه " الجمعية التي لا تزال من أهم المجلات الإستشراقية Journal Asiatique"الآسيوية التي لا تزال من أهم المجلات الإستشراقية قاطبة.صار دي ساسي مديرا " للكوليج دو فرانس "سنة 1823 م.توفي " سلفستردي ساسي "في 14 فبراير سنة 1838 م بعد حياة حافلة بالعطاء المتواصل والنشاط الدءوب

أعار دي ساسي اهتماما بالغا للشرح اللغوي العربي لفهم التعليقات ، التعليمية منها و المعجمية ، و ذلك ظاهر في أنه عالج النحو من وجهتين : مرة بموجب قواعد الفرنسية العامة بشكل مسهب ، و تارة و بشكل رئيس من النصوص المستفادة من كتاب " مارجوليوث " (التراكيب العربية) وفق ما أو رده النحاة العرب ، و من جهة أخرى فليس ثمة خيط واحد في تصورات ديساسي اللغوية يوصل إلى فلسفة اللغة كما حدث ذلك لدى فلهلم فون هومبولدي (1797 – 1835) في الزمن نفسه تقريبا ، حيث إن الأخير لم يجد في اللغة عملا (موضوعيا) بقدر ما وجد فيها ممارسة (فلسفية) . كما أن دراسة اللغة لم تكن تعني لدي ساسي وسيلة للبناء الشكلي بل تلاقيا مع عقل لشعب آخر ، و قد تجنب عن عمد أسلوب الاشتقاق ، و إنه و إن كان يلم باللغات العبرية و الآرامية، بالإضافة إلى أن اللغات السامرية و الحبشية و المندائية لم تكن غريبة عنه ، فقد تفادى الاستدلال بهذه اللغات في قواعده العربية بهدف الشرح .

كذلك فإن تأسيس علم اللغة المقارن عبر العبقري " فرانس بوب " (1791 – 1867) الذي درس على يده العربية و الفارسية خلال إقامته بباريس ، لم يحرك فيه ساكنا ، كما لم يستطع حمله على تغيير قناعاته العلمية اللغوية . [9]

[9] يوهان فوك – ترجمة عمر لطفي العالم : **تاريخ حركة الاستشراق – الدراسات العربية و الإسلامية في أوربا حتى بداية القرن العشرين** دار المدار الإسلامي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، 2001 ، ص 145 - 146

إن الحديث عن دي ساسي وحياته يطول ويطول، وكذلك الحديث عن آثاره
ومؤلفاته يطول بطول مشواره الحافل الذي لم يقتصر على المجال العلمي ، وإنما تعداه إلى المجال السياسي ومراكز اتخاذا القرار.
ظل البارون دي ساسي طول حياته – ورغم كثرة انشغالاته خاصة في أواخر
حياته-على صلة وثيقة بالعلم ومجالاته، فمن دروسه إلى البحث والتحليل والتأليف، إلى إلقاء المحاضرات والمشاركة في الجمعيات والمؤتمرات .تآليف دي ساسي تنوعت موضوعا نظرا لتنوع اهتماماته، فلم يقتصر على مجال مفرد بعينه، وفي الأسطر التالية سنوجز بعض أعماله المهمة، وهي أعمال تراوحت بين اللغوي والتاريخي والجغرافي مما يبين بصفة جلية مدى موسوعية هذا الرجل وتنوع مجالات اهتمامه، فنجدله مثلا كتاب" الأنيس المفيد للطالب المستفيد "وهو عبارة عن مختارات من أدب العرب وأشعارهم 1806) م
1826م(، ترجمة " البردة للإمام البوصيري 1806) "م (تلخيص كتاب الخطط للمقريزي 1797) م (وكتاب" التحفة السنية في علم العربية "في جزأين، ترجمة" تاريخ الساسانيين "لميرخوند.
كما نجده نشر بمعاونة ديلابورت " مباحث جغرافية عربية من إفريقيا 1821م وله دراسات عن أصل ألف ليلة وليلة) "المجلة الآسيوية 1827 م 1828 م كما كان لدي ساسي وصف لبعض المخطوطات المهمة مثل":البرق اليماني في الفتح العثماني" للشيخ المكي، و" الكواكب السائرة "للشيخ أبي السرور.كما نجد له بحوثا ودراسات منتشرة في صفحات المجلة الأسيوية التي كان من أهم مؤسسيها والعاملين بها، وله فيها."

1 - 7 - "إرنست رينان" 1823- [10] 1892 Ernest Renan :

المعروف عنه أنه كان فيلسوفا أكثر منه مستشرقا متخصصا.ولد في مدينة تريجيه من مقاطعة بريتانيا . كانت نشأته في المدارس اللاهوتية التي برز فيها . وفيها كان احتكاكه الأول باللغات والثقافات الشرقية .فنبغ في اللغات الشرقية .رحل إلى المشرق العربي وكان استقراره بلبنان، كان رينان مهتما بالعقائد الإسلامية وهي صيغة مشتركة بين أغلبية المستشرقين تقريبا.أنتخب رينان عضوا في المجمع اللغوي الفرنسي سنة 1878 م توفي سنة 1892 م .يعتبر رينان من أهم المفكرين الإستشراقيين الفرنسيين وليس أدل على مدى أهمية و تميز ارنست رينان مما قاله، إدوارد سعيد في كتابه" الإستشراق "في الفصل المخصص" لسلفستر دي ساسي ورينان "وهو ما مفاده أنه ورغم أن حضور دي ساسي العلمي والفكري كان طاغيا في زمنه لدرجة أن كل عمالقة الإستشراق من بعده يدينون له ويظلون سائرين على منهجه وأسلوبه،إلا أن رينان في حد ذاته كان يمثل جانبا خاصا وفكرا مستقلا – حتى وإن كانت له

[10] نفس المرجع السابق ، ص 191

اتفاقاته مع دي ساسي - وهو أمر يثير إعجاب أدواره سعيد ويستجلب ثناءه وذلك التميز هو الذي ضمن حسب البعض بعض التوازن من خلال الاختلاف الذي يخلق التنوع الثقافي والفكري. تنوعت آثار ومساهمات ارنست رينان بين الترجمات والتعاليق والتآليف التاريخية 1869م(،" تاريخ اللغات - ومن أهمها نجد كتاب " ابن رشد والرشديين 18521862) "م(،وكذا كتاب " تاريخ الأديان 1857) " م (وكتاب - " الساميةة1853) " تقدم الآداب الشرقية 1866) "م(، كما نجد له مساهمات من خلال مقالات في المجلة الآسيوية أهمها":طابع الشعوب السامية 1859) "م.(توفي إرنست رينان عن عمر يناهز 69عاما سنة 1892 م.

1 – 8 –" لويس ماسينيون " Massignon - 1883 م 1962م [11] :

ولد في نوجان على المان، إحدى الضواحي الباريسية، كان لوالده-المعروف في الوسط الفني آنذاك - فضل كبير في توجهه نحوالمذهب الإستشراقي إذ هو الذي بفضله كان لقاؤه بشخصية مثل الأب ميشال دي فوكو وغيره ممن كان لهم أثر في محبته للمجال السالف الذكر.

تحصل لويس الشاب على الشهادة التوجيهية – ما يعادل الثانوية – في فرنسا سنة

1901م، ثم ليسانس الآداب من جامعة الجزائر سنة 1902 م، كما تحصل على دبلوم الدراسات العليا عن بحثه الذي قام به عن المغرب سنة 1904 م،قبل أن يكون على موعد مع حدث هام سيكون له أثره في تحديد مستقبله وتوسيع آفاقه الشخصية والعلمية، و هو انعقاد المؤتمر الرابع عشر المستشرقين الذي أقيم في الجزائر سنة 1905 م، وهناك كان تعرفه على أعلام المستشرقين المعروفين والمعدودين مثل جولد زيهر،و لي شاتلييهن و سنوك هرجرونيه، هؤلاء الذين سيصبحون أحب وأقرب أساتذته إليه. بعد سنة 1906 م وحصوله على الدبلوم الإجازة في اللغة العربية فصحى وعامية، باشر حياته العملية اثر التحاقه بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة، وهو ما جعله يتعامل مع الآثار الفرعونية من جهة، والآثار الإسلامية خاصة من جهة ثانية .جال لويس ماسينيون في الوطن العربي كثيرا – وهو دأب المستشرقين عموما -خاصة في المشرق منه، فزار بغداد والقاهرة ودمشق وبيروت والمغرب والجزائر وتونس وغيرها من الدول والمدن الأخرى لأسباب متعددة وإن كانت في أغلبها معرفية بحثية.

حياة ماسينيون العلمية كانت حافلة فبعد تعيينه أو التحاقه بالمعهد الفرنسي للآثار

الشرقية بالقاهرة سنة 1906 م، نجده وبعد سنوات من ذلك ينتدب أستاذا لتاريخ

الفلسفة بالجامعة المصرية 1912 م 1913 م، وبعد طوافه بين الجزائر والحجاز والقدس الشريف رجع إلى باريس وعين معيدا في كرسي الاجتماع الإسلامي في معهد كوليج دو فرانس سنة 1915 م - 1916م .

[11] نفس المرجع السابق ، ص 263

سنة 1922 كانت سنة حصوله على الدكتوراه عن رسالته الموسومة" آلام الحلاج"،و قبل ذلك بقليل كان قد تولى تحرير مجلة العالم الإسلامي 1919 م ثم مجلة الدراسات الإسلامية التي حلت محل الأولى سنة 1927م ، ومنذ سنة 1926 م عمل أستاذ كرسي في معهد فرنسا ثم مديرا للدراسات في المدرسة العملية العليا حتى تقاعده سنة 1954 م.أنتخب ماسينيون في عدة مجامع علمية نظرا لغزارة علمه وموسوعية معرفته، فكان عضوا في الجمعية الأسيوية، وفي المجمع اللغوي بمصر، والمجمع العلمي العربي في دمشق.

كان ماسينيون من أنشط المستشرقين في عصره وأعمقهم تجربة وأكثرهم بحثا وتأليفا خاصة في الشؤون الإسلامية والإسلام بصفة عامة والذي عد-أي ماسينيون -مرجعا له في الغرب .وهذا ما يفسر مدى كثرة آثاره وتنوعها، والتي تنوعت وزادت على650 أثرا بين مؤلف ومحقق ومترجم ومقال..إلخ.

وفي التالي موجز لبعض آثاره المهمة :

جغرافية المغرب 1906 م ، الأولياء المسلمون المدفونون في بغداد 1908 م.(آلام الحلاج ومذهب الحلاجية 1909) م -(الحلاج والشيطان في نظر الزيدية1911) -(تاريخ المصطلحات الفلسفية بالعربية -.والكنيسة الكاثوليكية والإسلام 1915) ، كما نجد له مقالات في مجلة العالم الإسلامي: دراسات عن مخطوطات مكتبات بغداد 1909 م.(تاريخ العقائد الفلسفية العربية 1912م -(أصول عقيدة الوهابية، وفهرس بمصنفات مؤسسها 1918) م 1919 -العناصر العربية وأسرار الإستشراق 1924 م . وغيرها كثير جدا لا سبيل لحصره ولكنه جزء يسير يثبت التنوع والوفرة الذين تميز ما إنتاج لويس ماسينيون الفكري.توفي في الخامس من أبريل سنة 1962 م. 1910م 1995م.

1 - 9 – "جاك بيرك " - Jacques Berques[12] :

فرنسي مولود بالجزائر بمنطقة فرندة سنة 1910 م، كانت نشأته في فرنسا حيث زاول دراسته هناك حتى تخرجه. شغل جاك بيرك عدة مناصب في حياته سواء العلمية أو الإدارية، إذ نجده يعين مديرا لقسم للبحوث الفنية والتجريبية في معهد في مصر 1953 م 1954 م ، ثم بعد ذلك مشرفا على مركز للدراسات العربية في لبنان 1955 م قبل أن تكون عودته لفرنسا حيث صار أستاذ كرسي التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر في معهد فرنسا، ثم مديرا لمعهد الدراسات العليا

توفي بيرك. في السابع والعشرين من جوان صيف 1995 م في منطقة" سان جوليان أون بورن ". Saint Julien en borne

من أهم ما خلف جاك بيرك نجد : دراسات في التاريخ الريفي المغربي 1938 م وثائق عن تاريخ المغرب الإجتماعي 1948 م، النظم الاجتماعية في الأطلس الأعلى 1955م، توقعات للإستشراق

[12] نفس المرجع السابق 336

الحديث 1957 م ، كما نجد له تآليف أخرى مثل :الإسلام من الأمس إلى الغد 1965 م ، مشاكل الثقافة العربية المعاصرة 1965 م والمجتمعات والأدب العربي المعاصر 1964 م، الإسلام والإشتراكية 1967 م. وأخيرا وليس آخرا بعض البحوث مثل :

نحو ثقافة عربية معاصرة 1972 م، واللغة العربية من الإنسان إلى التاريخ 1967 م .(وهي -أي كل هذه الآثار -متنوعة بين كتب مفردة ومقالات موزعة في صفحات المجلات المتخصصة، وبحوث ومحاضرات ألقيت في ندوات ودروس تم طبعها بعد ذلك 1914 .م

1 - 10 – "شارل بيلا " - Charles Pellat - 1992 [13]:

ولد في الجزائر وبالتحديد في ولاية سوق أهراس سنة 1914 م، وعاش سني طفولته الأولى هناك قبل أن يستقر مع عائلته بالمغرب سنة 1924 م أين تلقى دروسه الثانوية الأولى بالدار البيضاء، حصل على البكالوريا الجزء الأول سنة 1931 م،ثم الثاني رياضيات 1932 م .(عاد إلىBordeaux

1933م وهناك حاز ليسانس اللغة العربية من جامعة بوردو 1935م ثم عاد إلى المغرب في ذات السنة 1935 م ليحصل على شهادة العربية من معهد الدراسات المغربية العليا، ثم شهادة لغة البربر سنة 1938م من جامعة الجزائر، ثم أخيرا إجازة الأستاذية بالعربية، وشهادة الدكتوراه في الآداب من جامعة باريس 1946م 1950 م .

كان شارل بيلا على غرار كبار المستشرقين ذا همة عالية ونشاط بالغ في عمله وبحثه، عمل أستاذا في مدينة مراكش المغربية 1934 م 1935م، وأستاذا في مدرسة اللغات الشرقية الشهيرة 1951 م 1956م، ثم مديرا لقسم الدراسات الإسلامية في 1972م . وقد قاده علمه لجامعة باريس -السوربون ومكانته المعرفية المميزة إلى العديد من المناطق في العالم مثل السنغال والمغرب ولبنان وسوريا والعراق والهند وباكستان لإلقاء دروس أو المشاركة في مؤتمرات وندوات متنوعة. حينما نذكر شارل بيلا فإننا بطريقه أو بأخرى نذكر الجاحظ الذي كان محط اهتمام مستشرقنا وإن لم يستأثر به كله، إلا أنه حظي بمكانة خاصة في رحلته العلمية حتى عد بيلاّ "مترجم وباحث الجاحظ الأول في فرنسا خاصة و في الغرب عموما .توفي سنة 1992 م في فرنسا بعد حياة حافلة جدا بالبحث والدرس والتأليف، وليس أدل على ذلك من كم الآثار العظيم الذي خلفه والذي يمثل بحق إرثا إستشراقيا مهما.

نجد من أهم آثاره ما ألفه حول الجاحظ خاصة ما نال به شهادة الدكتوراه الدولة:

البيئة البصرية ونشأة الجاحظ باريس 1953 م.(الإمامة في عقيدة الجاحظ 1961) م-(أصالة الجاحظ 1963)م .(الجاحظ والشعوب المتحضرة والمعتقدات الدينية(1967) ، وغيرها عميم حول الجاحظ

[13] نفس المرجع السابق ، ص 353

وفكره وريادته ومكانته الاجتماعية والفكرية،غير أننا زيادة على كل هذا نجده -أي شارل بيلا -قد اهتم بموضوعات أخرى عامة وخاصة نذكر بعضها في التالي :

اللغة العربية وحضارات 1952) ، مراحل انحطاط الثقافة في بلدان الشرق العربي 1957) الموسوعات في العالم العربي 1966) ، الإسلام و التاريخ

1971م. كما نجد :اسبانيا المسلمة في مصنفات المسعودي 1964 م، أصل الإسلام في اسبانيا وتطوره 1962، الأدب العربي و مشاكل الأدب المقارن 1967م، وأسطورة شهرزاد في الأدب المعاصر 1972، إلى غيرها الكثير من المؤلفات المتعددة المواضيع والبحوث والمقالات والدروس التي شكلت ولا زالت زادا معرفيا هاما سواءا للمؤيدين أو للمعارضين.[14]

1 - 12 – "ج مرسيه وليم " 1874م 1956 -م *Murcia William* :

مستشرق فرنسي اهتم خصوصا باللغة البربرية و اللهجة العربية المغربية .عين في 1898م مديرا لمدرسة تلمسان، فمكنه هذا المنصب من الاتصال بالمعلمين العرب فيها ، ثم عين ناظرا للمدرسة العليا في الجزائر ثم انتقل إلى باريس حيث عين أولا في مدرسة الدراسات العليا الملحقة بالسربون، ثم عين في الكوليج دي فرانس 1927 و صار عضوا في أكادمية النقوش و الآداب الجميلة.

و له دراسات و محاضرات جمعت بعد وفاته في مجلد بعنوان

A. Merlin مع مقدمة لأخيه جورج، و منه عن حياته و مؤلفات كتبها " . كما قام في مطلع شبابه بترجمة ديوان أوس بن حجر التميمي إلى الفرنسية استنادا إلى النص قد نشره ضمن محاضرات جلسات الأكاديمى العربي الذي كان جاير الإمبراطورية للعلوم في فينا" . [15]

من أعماله :

ترجمة جامع الأحاديث للبخاري 1902 بباريس .

نصوص عربية من تاكرونة 1927 بباريس .

العالم الشرقي 1936 بباريس .

اللهجات العربية في الجزائر 1906 بطنجة .

شمال إفريقيا الفرنسي 1937 بباريس .

المعجم (قاموس جمع فيه اللهجات المغربية) 1942 بالجزائر . [16]

---

[14] أندلوسي محمد : **الترجمة الأدبية من العربية عند المستشرقين (المدرسة الفرنسية نموذجا)** ، كلية الآداب و اللغات الأجنبية – جامعة تلمسان 2009 / 2010

[15] عبد الحميد صالح حمدان: **طبقات المستشرقين** ، مكتبة مدبولي،الطبعة الأولى ، 1995 ،ص1

[16] شنوفي بارودي : **الاستشراق الفرنسي و الأدب العربي القديم رجيس بلاشير نموذجا** ، رسالة دكتوراه في الأدب العربي ، جامعة سيدي بلعباس – الجزائر 2018/2017 ، ص 43

1- 13 - المستشرق الفرنسي "مارسل" 1854م 1776 -م *Marcel*

كان مارسل مستشرق فرنسي ولد 24 نوفمبر 1776 ،وتوفي بباريس في 11 مارس[17]1854 ضمن الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون حيث عمل مترجما كما قام بتأليف كتاب حول مصر وصف مصر، و قد قال عنه احمد حسن الزيات في كتابه تاريخ الأدب العربي بأنه " كان ضمن الحملة الفرنسية على مصر 1798 م و تولى إدارة مطبعة الحملة و كان عضوا في معهد مصر الذي أنشاه نابليون إبان حملته على مصر فراح يجمع المخطوطات و النقوش ، و اشترك في تحرير كتاب وصف مصر كما تولى إدارة المطبعة الوطنية في

باريس من 1802 م إلى 1810 م فقام بأعمال جليلة و قد نشر معاجم صغيرة و مختارات في اللغات الشرقية." [18]

من أعماله :

حكاية الشيخ المهدي 1799بباريس .

ترجمة أمثال لقمان 1799 بمصر .

منتخبات من آداب الشرقيين 1799 بباريس .

حل الخطوط العربية القديمة 1828 بباريس . [19]

1 - 14 – "كارل بروكلمان" Carl Brockelmann (1868-1956) :

جعل" بروكلمان "من المعنى الإشاري التأكيدي أصلا جامعا يمكن أن يُردَّ إليه الأصل في استعمالها كلها، فقد استخدمت هذه الأداة في كثير من اللغات السامية . [20] وهو مستشرق ألماني بارز بل يعد شيخ المستشرقين المحدثين، ولد في السابع عشر من سبتمبر عام 1868في مدينة روستوك، بدأ دراسة اللغة العربية وهو في المرحلة الثانوية، ودرس في الجامعة بالإضافة إلى اللغات الشرقية اللغات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية) ودرس على يدي المستشرق نولدكه.

ومن مؤلفاته المشهورة التي لاقت رواجا وانتشارا واسعا: كتاب" تاريخ الأدب العربي" الذي ترجم في ستة مجلدات، وفيه رصد لما كتب في اللغة العربية في العلوم المختلفة من مخطوطات، ووصفها، ومكان وجودها، ويعد كتابه هذا فتحا في بابه.

---

[17] عبد الرحمان بدوي : **موسوعة المستشرقين** مرجع سبق ذكره ،ص52

[18] أحمد حسن الزيات : **تاريخ الأدب العربي** ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، بدون بلد النشر ، بدون طبعة ، 1990 ، ص3

[19] شنوفي بارودي : **الاستشراق الفرنسي و الأدب العربي القديم رجيس بلاشير نموذجا** ، مرجع سبق ذكره ، ص 44 .

[20] سيف الدين شاعة و أحمد دهلي : **جهود المدرسة الاستشراقية الألمانية في دراسة اللغة العربية -دراسة مقارنة** ، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية –جامعة برج بوعريريج – الجزائر ، المجلد 20 :العدد – 20 :جانفي 2022 ، ص295 - 300

وقد اهتم بروكلمان بدراسة التاريخ الإسلامي، وله في هذا المجال كتاب مشهور بعنوان "تاريخ الشعوب الإسلامية" وقد ترجمه الى اللغة العربية: منير البعلبكي، ونبيه أمين فارس، وكانت أولى طبعاته العربية عام 1948م، ثم توالت الطبعات، ومن آخر تلك الطبعات التي وقفت عليها طبعة دار العلم للملايين عام 1993م.

ويقع هذا الكتاب في تسعمائة صفحة، تحدث فيه بروكلمان عن تاريخ العرب قبل الإسلام حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، وكرس فيه كل جهوده لدراسة أحوال المسلمين السياسية والحضارية طوال تلك الحقبة الزمنية، إلا انه مع هذا الجهد الكبير لم يخل من المآخذ العلمية عليه، وعدم توخي الصدق في أقواله وتحليلاته، ومن يطالع الكتاب يجد أن بروكلمان عند حديثه عن القرون الإسلامية المبكرة قد عمل كل ما في وسعه لتشويه الحقائق وتزييفها والافتراءات.

وقد تحدث بروكلمان عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في خمسين صفحة تقريبا من هذا الكتاب.

وقد جاءت كتاباته عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم مليئة بالمغالطات والافتراءات.

ومن أعظم افتراءاته ومغالطاته في السيرة ما يأتي:

أولا: ادعاؤه اتصال النبي صلى الله عليه وسلم باليهود والنصارى وتأثره بهم:

حيث يتحدث بروكلمان في كتابه " تاريخ الشعوب الإسلامية "ص 34 عن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، ويبدأ حديثه بالقول:

" وأغلب الظن أن محمدا قد انصرف إلى التفكير في المسائل الدينية في فترة مبكرة جدا، وهو أمر لم يكن مستغربا عند أصحاب النفوس الصافية من معاصريه الذين قصرّت العبادة الوثنية عن إرواء ظمئهم الروحي.

وتذهب الروايات إلى انه اتصل في رحلاته ببعض اليهود والنصارى، أما في مكة نفسها فلعله اتصل بجماعات من النصارى كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل هزيلة إلى حد بعيد" .

وفي صفحة 46- 47 يتحدث عن موقف النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود واتصاله وتأثره بهم حيث يقول:

" وتأثرت اتجاهات النبي الدينية في الأيام الأولى من مقامه في المدينة بالصلة التي كانت بينه وبين اليهود.

وأغلب الظن انه كان يرجو عقب وصوله إلى المدينة أن يدخل اليهود في دينه، وهكذا حاول أن يكسبهم من كريق تكييف شعائر الإسلام بحيث تتفق وشعائرهم في بعض المناحي فشرع صوم عاشوراء، وهو اليوم العاشر من المحرم على غرار الصوم اليهودي في يوم الكفارة الذي يقع عندهم في العاشر من شهر تشري، وبينما كان المؤمنون لا يصلون إلا مرتين في اليوم، أدخل في المدينة على غرار اليهودية أيضا صلاة ثالثة عند الظهر... كذلك جعل يوم الجمعة يوم صلاة عامة على غرار السبت اليهودي، ولكنه

خالف اليهود حين سمح للمؤمنين بان ينصرفوا في ذلك النهار، إلى شؤونهم الدنيوية قبل أداء الصلاة وبعدها " .[21]

ثانيا: زعمه أن النبي صلى الله عليه سلم قد اعترف بآلهة الكعبة الثلاث، وفي ذلك يقول ص 34:

" ومع الأيام أخذ الإيمان بالله يعمر قلبه ويملك عليه نفسه، فيتجلى له فراغ الآلهة الأخرى، ولكنه على ما يظهر اعترف في السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاث اللواتي كان مواطنوه يعتبرونها بنات الله، ولقد أشار إليهن في إحدى الآيات الموحاة إليه بقوله: " تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن ترتضي " ورأي بروكلمان هذا كرأي غيره من المغرضين الحاقدين الذين وضعوا هذه الفرية بغية الطعن في أعظم دعائم هذا الدين – القرآن الكريم – وبالتالي يتسرب الشك في قلوب المسلمين حتى يضعف إيمانهم ويتزعزع.

وقصة الغرانيق هذه قصة باطلة ومكذوبة على رسول الله صلى الله وسلم، وقد تناقلتها بعض كتب التفسير من أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الصلاة بالناس سورة " النجم ": فلما وصل صلى الله عليه وسلم إلى قوله تعالى: " أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى "؛ قال: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى.

ثم استمر صلى الله عليه وسلم في القراءة ثم سجد وسجد كل من كانوا خلفه من المسلمين، وتضيف الروايات أنه سجد معهم من كان وراءهم من المشركين !

ثالثا: دعوى الوحي النفسي:

يقول المستشرق بروكلمان ص 36 -مصوراً لنا الوحي النفسي الذي يزعمه - هو ومن قال بقوله :

"بينما كان بعض معاصري النبي، كأمية بن أبى الصلت شاعر الطائف، وهى بلدة بحذاء مكة، يكتفون بوحدانية عامة، كان محمد يأخذ بأسباب التحنث والتنسك ويسترسل في تأملاته حول خلاصة الروحي ليالي بطولها في غار حراء قرب مكة، لقد تحقق عنده أن عقيدة مواطنيه الوثنية فاسدة فارغة، فكان يضج في نفسه هذا السؤال، إلى متى يمدهم الله في ضلالهم، مادام هو عز وجل قد تجلى، آخر الأمر للشعوب الأخرى بواسطة أنبيائه؟ وهكذا نضجت في نفسه الفكرة أنه مدعو إلى أداء هذه الرسالة، رسالة النبوة، ولكن حياءه الفطري حال بينه وبين إعلان نبوته فترة غير قصيرة، ولم تتبد شكوكه إلا بعد أن خضع لإحدى الخبرات الخارقة في غار حراء. ذلك بأن طائفاً تجلى له هنالك يوماً، هو الملك جبريل على ما تمثله محمد في ما بعد، فأوحى إليه أن الله قد اختاره لهداية الأمة، وآمنت زوجه في الحال

[21] عبد العزيز شاكر حمدان الكبيسي : **جهود المستشرقين الألمان في التصنيف في السيرة النبوية** ندوة السيرة النبوية في الكتابات الألمانية كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة سيدي محمد بن عبدالله – مدينة فاس - المملكة المغربية أبريل 2007 ، ص 11 - 18

برسالته المقدسة، وتحرر هو نفسه من آخر شكوكه بعد أن تكررت الحالات التي ناداه فيها الصوت الإلهي وتكاثرت. ولم تكد هذه الحالات تنقضي حتى أعلن ما ظن أنه قد سمعه كوحي من عند الله " .

وبالتأمل في هذه المزاعم، ترى أنها مع طعنها في الوحي المنزل على رسول الله تطعن في عصمته فيما بلغه من الوحي عن ربه عز وجل.

ويجاب عن هذه المزاعم بما يلي: [22]

أولاً: هذا الذي يروجه كارل بروكلمان ومن يدور في دائرته اليوم باسم – الوحي النفسي – زاعمين أنهم بهذه التسمية، قد جاءونا برأي علمي جديد، وما هو بجديد، وإنما هو الرأي الجاهلي القديم، لا يختلف في جملته ولا في تفصيله، فقد صور أهل، رجلاً ذا خيال واسع وإحساس عميق، فهو إذن شاعر ثم زادوا أهل الجاهلية من قبل، فقالوا إن وجدان النبي يطغى كثيراً على حواسه، حتى يخيل إليه أنه يرى ويسمع شخصاً يكلمه؛ وما ذاك الذي يراه ويسمعه إلا صورة أخليته ووجد آناته، فهو إذن الجنون أو أضغاث الأحلام.

ثانياً: إن صورة الوحي النفسي كما صوروه مبنية على وجود معلومات وأفكار مدخرة في العقل الباطن وأنها تظهر في صورة رؤى ثم تقوى فيخيل لصاحبها أنها حقائق خارجية .

وإني أتساءل: هل كان الدين الذي جاء به خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام بعقائده وتشريعاته في العبادات والمعاملات، والحدود، والجنايات، والاقتصاد، والسياسة، والأخلاق والآداب، وأحوال السلم والحرب، مدخراً في نفسه؟

وهذا ما تنكره العقول بداهة، لأن ما جاء به بلغه من وحى الله في العقائد: يعتبر مناقضاً لكل ما كان سائداً في العالم حينئذ، من عقائد، كالوثنية، والمجوسية، والتأليه، والتثليث، والصلب، وإنكار البعث واليوم الآخر.

ثالثاً: ليس كل ما في الوحي الإلهي مما يستنبطه العقل والتفكير ومما يدركه الوجدان والشعور.

ففي الوحي جانب كبير من المعاني النقلية البحتة التي لا مجال فيها للذكاء والاستنباط، ولا سبيل إلى علمها لمن غاب عنها إلا بالدراسة والتلقي والتعليم، أو المعاصرة .

ومن هذه الجوانب. ما جاء في الكتاب والسنة، من أنباء ما قد سبق، وما فصله من تلك الأنباء، على وجهه الصحيح كما وقع.

أيقولون إن التاريخ يمكن وضعه – أيضاً – بإعمال الفكر، ودقة الفراسة؟ أم يخرجون إلى المكابرة العظمى فيقولون: إن محمداً قد عاصر تلك الأمم الخالية، وتنقل فيها قرناً قرناً، فشهد هذه الوقائع مع

[22] نفس المرجع السابق .

أهلها شهادة عيان أو أنه ورث كتب الأولين، فعكف على دراستها حتى أصبح من الراسخين في علم دقائقها؟

إنهم لا يسعهم أن يقولوا هذا ولا ذاك، لأنهم معترفون مع العالم كله بأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن من أولئك ولا هؤلاء. [23]

رابعا: إن الوحي الذي حدث للنبي فجائي طارئ لا يمكن إحضاره واجتلابه، وبالتالي لا يمكن دفعه ورده ومن أوضح الأدلة على ذلك، ما يعتريه من أعراض جسدية لا سيطرة له عليها، كاحمرار وجهه وتتابع أنفاسه، وسماع غطيط منه، وما يتقاطر منه من عرق في اليوم الشديد البرد، وثقل جسمه، وما يسمعه الصحابة عند وجهه من صوت كدوى النحل، وقد سبق ذكر الأحاديث الدالة على ذلك.

ومما يدل على ذلك أيضاً، ما انتابه من أحوال تمثلت في خوفه من ملك الوحي في مبدأ أمره عندما قال صلى الله عليه وسلم: "لقد خشيت على نفسي " وقوله: "زملوني زملوني، حتى ذهب عنه الروع "

خامسا: النبوة ليست أمراً كسبياً يناله المرء بسعيه وكسبه، ولا تخضع لجهد فكرى، أو ترقي روحي وأخلاقي، ولا تنال بالقيم الدنيوية، ولا الاعتبارات المادية، فليست باباً مفتوحاً يلج من خلاله من سمت نفسه، بل هي اصطفاء إلهي يختص به من يشاء من عباده.

وقد جعل الله تعالى النبوة في محمد في الرسل قبله، واصطفاه لذلك؛ فأي غرابة وعجب في ذلك؟

إن قدح بروكلمان ومن شايعه في إثبات الوحي لمحمد، وعصمته فيما بلغ، هو قدح في ديانته وفى رسوله الذي يؤمن به، ولكن لعل بروكلمان يرى كما يرى غيره من أهل ملته، أن الوحي هو حلول روح الله في روح الموحى إليه.

ولأجل ذلك ألهوا رسولهم، وهذا تعريف خاطئ للوحي، وقول فاسد، بل هو كفر وإلحاد، فالله لا يحل في غيره، ولا يحل فيه غيره .

وهكذا ترى أن ما زعمه من فرية الوحي النفسي، إنما هو اختلاق كان مبعثه الحقد على الإسلام والمسلمين وإرادة إبطال عصمته.

رابعا: ربطه بين لغة القرآن وسجع الكهّان:

حيث يتحدث بروكلمان في صفحة 36 - 37 عن نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قراءته على الناس مشيرا إلى انه لم يكن بعيدا عن أقوال الشعراء والكهان في الجاهلية، وهذا كما يعتقد أمر مألوف عند العرب في أن يظهر الواحد منهم، فيذيع أقواله في الناس " نثرا مسجوعا كما فعل النبي فيما نزّل عليه من وحي، ومن هنا كان على محمد أن يحتاط مرة بعد مرة، من أن يضعه مواطنوه في مصف هؤلاء الكهان ومرتبتهم " .

[23] نفس المرجع السابق .

وهذه المقارنة التي يذكرها بروكلمان بين الشعراء والكهان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست بغربية ولا حديثة العهد، وإنما ذكرها مستشرقون آخرون، وكلهم لم يخرجوا من دائرة كفار مكة أيام رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فقد قالوا انه كاهن وشاعر ومجنون، وقد رد القرآن الكريم على تلك الافتراءات فقال سبحانه وتعالى:

" وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون ". 24

وقال سبحانه: " إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليل ما تذكرون ".25

خامسا: أكاذيبه حول حادثة الإسراء والمعراج:

حيث يقول ص 44: " ومن الجائز أن تكون هذه الرحلة السماوية التي كثيرا ما أشير إليها بعد في الأساطير الشعرية التي خلفتها لنا الكتب الإسلامية جميعها أقدم عهدا من ذلك، ولعلها ترجع إلى الأيام الأولى للبعثة " . وتعبير بروكلمان " الأساطير الشعرية " يفهم منه أنه غير مصدق بحادثة الإسراء التي ذكرت في سورة " الإسراء "، والمعراج الذي ذكر في سورة "النجم "، وثبتت بالأحاديث الصحيحة.

سادسا: أكاذيبه حول غزوة بني قينقاع وغزوة بني النضير وغزوة بني قريظة وغزوة تبوك:

حيث يقول عند حديث عن غزوة بني قينقاع ص 50 - 51: " وكان موقف النبي من اليهود أقسى واعنف، وان على بني قينقاع، وهم من الصاغة، أن يستشعروا قبل غيرهم قوته وحزمه، فلم يكد ينقضي شهر على معركة بدر حتى وجّه محمد رجاله عليهم لقتلهم في الظاهر رجلا مسلما قد قتل يهوديا إثر خلاف جرى بينهما، فاضطرهم إلى الاستسلام، بعد أن حاصرهم في حيهم عدة أسابيع... "

وعند حديثه عن غزوة بني النضير وبني قريظة ص 52 يقول:

" وكان على محمد أن يعوّض هذه الخسارة التي أصابت مجده العسكري من طريق آخر، ففكر في القضاء على اليهود، فهاجم بني النضير لسبب واهٍ، وحاصرهم في حيهم، وإذ لم يجرؤ إخوانهم في الدين من بني قريظة على أن يسعفوهم، فقد اضطروا إلى الاستسلام بعد حصار دام بضعة أسابيع... " .

وعند حديثه عن غزوة تبوك ص 65 يقول:

" ولم يقدّر لمحمد نفسه أن يخوض غمرات القتال من جديد إلا مرة واحدة وذلك بأن الهزيمة التي انزلها البيزنطيون بجيوش في مؤتة ظلت على كل حال بلا ثأر، ومن هنا أمر أصحابه في اشد أيام الصيف قيظا من سنة 630 بأن يحملوا على البيزنطيين، ولسنا نعرف على اليقين ما الذي دعاه إلى انتهاج هذه السبيل في ذلك الوقت بالذات، فقد يكون قصد إلى أن يشغل أتباعه المدنيين الذين كانوا لا يزالون في حال

---

[24] - سورة القلم: الآية 51.

[25] - سورة الحاقة: الآيتان 40 - 41

من عدم الارتياح بعد توزيع غنائم حنين، ولعله كان يرجو إخضاع ما بقي من نصارى العرب الذين كانت بيزنطة من ورائهم تمدهم وتساندهم " .

وأما عن فتح مكة والحج، فيقول ص 65:

" وكان على الوثنية أن تخسر وشيكا آخر معاقلها، فبعد فتح مكة تحمل النبي صابرا أول الأمر الاحتفال بموسم الحج على الطريقة الوثنية القديمة ".

ويقول ص 80 – 81: " ولم يجز النبي لأحد غيره أن يتزوج عددا غير محدود من النساء " ، وغير ذلك من الأكاذيب والافتراءات التي أراد من خلالها الإساءة إلى شخصية النبي صلى الله عليه وسلم. [26]

1 - 15 - ريجيس بلاشير :

ولد ريجيس بلاشير بحي مونروج بباريس سنة 1900. وانتقل مع والديه إلى المغرب سنة 1915 .كان والده يشتغل في متجر، وأصبح، في المغرب، موظفًا صغيرا في الإدارة الفرنسية بمدينة مراكش. وكانت فرنسا قد أعلنت الحماية

على المغرب منذ بضعة أعوام. تعلم ريجيس بلاشير العربية في أثناء دراسته بمدرسة مولاي يوسف بالرباط. التحق، بعد الحصول على شهادة البكالوريا بكلية العلوم الإنسانية بجامعة الجزائر وتخرج فيها . تابع في هذه الجامعة سنة 1922 حاملاً شهادة الليسانس دروس المستشرقين وليام مارسي .Marçais) W(وليفي بروفنصال). Provençal – Lévi) اجتاز بنجاح مناظرة التبريز سنة 1924 فَعين مدرسا بمدرسة مولاي يوسف وباحثًا في «معهد الدراسات العليا المغربية بتزكية من المستشرق ليفي بروفنصال. ظل في هذا المعهد، وكان يديره هنري تيراس Terrasse. H مؤسس مجلة «هسبيريس Hespéris،»إلى سنة 1935. حصل سنة 1934 على شهادة دكتوراه الدولة بأطروحة رئيسية عن المتنبي وأطروحة تكميلية ترجم فيها إلى اللسان الفرنسي كتاب «طبقات الأمم» لصاعد الأندلسي (ت. 1070م) . عين أستاذًا للغة العربية الفصحى بـ المدرسة الوطنية للغات الشرقية orientales langues des Ecoleعِوضا عن المستشرق موريس غودفراي ديمنبين -Demombynes Goudefroy Maurice وظل في هذه الخطّة إلى سنة 1950.

شغل سنة 1936 أستاذ كرسي اللغة العربية وآدابهاا في جامعة السربون واستمرفيه إلى سنة 1970 ،سنة تقاعده. أدار، خارج النطاق الجامعي، من سنة 1956 إلى 1965 Institut d'Etudes Islamiquesمعهد الدراسات الإسلامية للنهوض جمعية 1956 سنة نوكو de l'académie de Paris بالدراسات الإسلامية، و"معهد المعجمية العربية" سنة 1962 وألحقه بـ "المعهد الوطني للبحث العلمي CNRS .

[26] نفس المرجع السابق .

كان بلاشير عضوا في "أكاديمية العلوم"، وعضوا شرفيا مع العلمي العربي في دمشق." عندما بدأت قضية المستعمرات تشغل الرأي العام العالمي بعد الحرب العالمية الثانية تساءل بلاشير عن مستقبل علاقة فرنسا بالشعوب التي أحب لغتها وثقافتها واشتغل بها ماكانت الحركات الوطنية قد انطلقت في كل من سورية وتونس والمغرب متجهة إلى النشوب في المأساة الجزائرية. وقف بلاشير، شأنه في ذلك شأن لويس ماسينيون ، (F. Mauriac)موريالك وفرنسوا(، (Louis Massignon وشارل أندري جوليان (Julie André. Ch)،)إلى جانب حركات التحرر الوطني. صرح سنة 1954 قائلاً: إنه لا يرى لتعقّد المسألة التي تطرحها بلدان "ما وراء البحار" (يقصد المستعمرات) وتشعبها ودقّتها إلا حلاً واحدا "هو الاستقلال." ذلك أن "مخاتلة التاريخ"، على حدعبارته، وخيمة العواقب، وأنه لا مفرمن مواجهة الوضعيات المفرطة في التشابك أو الميؤوس منها"إلا بما توفّره الثقافة من عبقرية خلاقة. واستشهد، بعد الإزراء بتحج السياسة الاستعمارية المتبعة في بلدان شمال إفريقيا، بما قاله مواطنه أندر يه جيد Gide André من أنه يجب أن نحب بما لا نقدر على دفعه مؤكّدا، بذلك، نهاية عهد نظام المستعمرات. توفي ريجيس بلاشير بباريس في 7 أغسطس 1973 مخلفًا أعمالاً في اللغة العربية وتراجم، نقل النصوص فذّة من آدابها إلى اللسان الفرنسي. ترجم معاني القرآن إلى اللسان الفرنسي، وأرخ للأدب العربي وعرف بكثير من أعلامه في أشهر دوائر المعارف والموسوعات. وضع، على امتداد حياته النشطة، 13 مؤلفًا وأسهم في وضع 3 أخرى، وأكثر من 100 مقال، وما لا يقلّ عن 300 عرض عرف فيها بأبرز المؤلفات المتعلقة باختصاصه ونقدها.

الأعمال :

انطلقت مسيرة بلاشير البحثية في اللغة العربية وآدابها سنة 1928 وامتدت قرابة نصف قرن من الزمان. وكانت اهتماماته موزعة، في بدايتها، بين الثقافة التراثية العامة والأدب. ثم خلص إلى الاهتمام باللغة العربية ودراسة شعراء أعلام من شعرائها في القديم، والعناية بالقرآن الكريم والسيرة النبوية دراسة تاريخية.

أول ما نشر، في مجلة Hespéris سنة 1928،

دراسة عن كتاب "طبقات الأمم" لصاعد الأندلسي، وبحثً آخر سنة 1930 عن صاعد بن الحسن البغدادي (لغوي، ولد بالموصل، وأقام بقرطبة)، بوصفه رائدا من رواد الثقافة العربية بالأندلس، اهتم فيه بلغته. وترجم، سنة 1932.

مختارات من أشهر ما كتب الجغرافيون العرب في العصر الوسيط. وكتب مقالة عن مدينة فاس، نشرها سنة 1934،

وبحثًا آخر مطولاً عن ابن دراج القسطلّي 1933 ،وبحثًا آخر عن الوليد بن يزيد 1935 نشره في الأعمال المهداة إلى جودفري دي مومبينDemombynes- Goudefroy Maurice . وفي سنة

1936 نشر بحثًا عن الوزير الشاعر ابن زمرك وصل فيه بين شعره وسيرته. وظل، إلى آخر أيامه مولعا بالأدب العربي والحضارة العربية الإسلامية؛ فمن آخر ما كتب بحث اهتم فيه ببشار بن برد معتنيا فيه بالشاعر الفنان بعد أن كان قد اهتم في مواضع أخرى، بشخصيته الإشكالية وما في سيرته من متعدد القضايا . ووضع، على امتداد حياته العلمية، تعريفات بكثير من شعراء العربية وأعلامها في القديم وفي الحديث نشرها في الموسوعات العالمية والمختصة.

والناظر في الأعمال التي ألفها ريجيس بلاشير على امتداد نصف قرن، وخاصة تلك التي أنجزها عندما شغل أستاذ كرسي سيلفستر دي ساسي بمدرسة اللغات الشرقية من 1935 إلى 1950 ،أو بجامعة السربون من 1950 إلى1970 سرعان ما يتبين له أتهاا تدور في ثلاثة مجالات ، هي:

*دراسات في الأدب العربي نصوصا وأعلاما والتاريخ له .

*الدراسات الإسلامية مركزة على القرآن والسير ة النبوية .

*تصنيفات في اللغة العربية نحوا ومعاجما وكيفية ترجمتها . [27]

يقول بلاشير في المعجمية العربية : " إنه لمن المبتذل التذكير بلا انقطاع أن التيارات المطبوعة و المؤثرة وحدت على الأقل بين اللغة العالم وواقعها الحي ، فالعربية المكتوبة في كل العصور حافظت و بتأثير متبادل مع اللهجات المتداولة و في النصوص الأكثر أدبية ، كأعمال الحافظ على سبيل المثال و من السهل رفع الاقتباسات المتعددة من الاصطلاحات التعبيرية الشعبية ، و في ميدان بعض العلوم كعلم النبات و الخيمياء ، و كذلك داخل فيما يخص الصنائع ، حيث تكاثرت الألفاظ المنحدرة من اللهجات العامية و لغة العامة الخاصة بالحرفيين ، بحيث كان لهم الحق للاستشهاد بها و التي لا يمكن لأي لفظ علمي على منافستها على الإطلاق . [28]

وأما ا الميادين الأخرى التي ظهر فيها نشاط بلاشير ا الذي كان وحده لامة بارزة في الدراسات العربية الإسلامية في هذا القرن في ميدان الاستعراب الفرنسي ا فقد كانت كثيرة موزعة ب f اللغة والأدب والدين والأدب الجغرافي. وفي ثبت أعماله الكاملة الذي نشرته إيف باريه Paret .E في أحد مقالاته الذي أصدره الفرنسي للدراسات العربية في دمشقا ، كما نجد خمسة عشر كتابا من تأليفه الخالص أو بالمشاركة مع آخرين ، إلى جانب مائة وسبع عشرة مقالة في موضوعات شتى كانت قد نشرت في عدد من المجلات و المنوعات الاستعرابية والاستشراقية أو في بعض الموسوعات كالموسوعة الإسلامية و الموسوعة الكبيرة و الموسوعة الشاملة . [29]

---

[27] حسن الواد : **ريجيس بلاشير** ، المركز الثقافي للكتاب ، الدار البيضاء – المغرب ، الطبعة الأولى ، 2019 ، ص 10 - 16

[28] فتح الله محمد : **الترجمات الاستشراقية للقرآن الكريم – دراسة لترجمتي ريجيس بلاشير و جاك بيرك لمعاني القرآن الكريم إلى الفرنسية** رسالة دكتوراه في الأدب العربي ، جامعة سيدي بلعباس – الجزائر ، 2015/2014 ، ص 196

[29] محمود المقداد : **تاريخ الدراسات العربية في فرنسا** ، مرجع سبق ذكره ، ص 217

2- "بلاشير" ومزاعمه الطاعنة في قدسية القرآن الكريم:

هدف "بلاشير" وأمثاله من ترجماتهم لمعاني القرآن الكريم إيهام القراء بتناقضاته، وإضفاء صفة النحل والحبكة والتأليف البشري عليه، وذلك بما يبثون في مقدماتهم وحواشيهم من أكاذيب وافتراءات لاعتقادهم الجازم أن ذلك يصيب الإسلام في الصميم.وتقع مقدمة الطبعة الأولى لترجمة "بلاشير" في 310 صفحة ضمنها عدة موضوعات، منها : تدوين القرآن الكريم، وصف للمصحف العثماني انتقادات مثارة من خلال النص القرآني. الترجمات الأوربية .أما طبعة سنة 1980 للترجمة المذكورة فلم تتجاوز مقدمتها عشر صفحات، تناول فيها المترجم فترة النبوة التي قسمها إلى أربع مراحل، وضمنها تحليلات وتعليقات مزيفة تهيئ ذهن القارئ لقبول ما يختلقه في ترجمته من افتراءات للنيل من القرآن الكريم، وهذا يدل على ما بذله "بلاشير"من مجهودات جهيدة لتحقيق الهدف الاستشراقي المنشود.

-1المناولة المنهجية ل"بلاشير" في ترجمة القرآن الكريم : رتب "بلاشير" سور القرآن الكريم وترجم معانيه الجليلة في الطبعة الأولى سنة 1949 وفق نزولها، مقتديا بنهج بعض المترجمين البريطانيين وذلك بقصد تفسير التشريع على ضوء الوقائع التاريخية، وقد أصبح القرآن وفق هذا الترتيب 116 سورة بدلاً من 114، إذ قسّم سورتي العلق والمدثر إلى أربع سور، وهو ما لا يعرفه المسلمون وما لا يعرفه المصحف الشريف منذ حضور زيد بن ثابت العرضة الأخيرة للقرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل حتى اليوم. ثم عفا عن ذلك في الطبعات التالية، ويستهل "بلاشير" دائما في مقدمة كل سورة كريمة ذكر مصدر اسمها وآراء المفسرين المسلمين وغير المسلمين في مكيتها أو مدنيتها جزئيا أو كليا لكنه في أغلب الأحيان يرجِّح آراء غير المسلمين، وقد يقحم معلومات أُخر عن السورة، والآية يترجم بعضها مرتين أو أكثر، وإذا رأى أن للآية أكثر من معنى يضع في ترجمته رقمين للآية: الرقم الأول هو رقمها حسب طبعة "فلوجل" للمصحف الذي اعتمد في عدِّ آياته على ترقيم خاص به مخالف لما عليه علماء الأمة، والرقم الثاني رقمها حسب طبعة القاهرة، وقد أشار إلى ذلك في " التنبيه الذي كتبه قبل مقدمة ترجمته. وقد ادعى أنه اعتمد على أربعة تفاسير وهي: الطبري، والبيضاوي، والنسفي، والرازي. ولكن عند قراءة ترجمته، يلاحظ أنه يرجح دائما آراء المستشرقين على ما جاء في هذه الكتب، ومن آرائه أنه يرى أن بعض الآيات إلحاقية نزلت متأخرة عن الآية السابقة لها، ويشير إلى هذه الآيات التي يراها متأخرة بطباعتها بطريقة خاصة تميزها عن الآيات الأُخر، وذلك إما بطباعتها في الجانب الأيمن من الصفحة أو بطباعتها بحرف مائل. ومثال ذلك الآية 129 في سورة النساء، ويدَّعي في مواضع أن الآيات ناقصة، فيأتي بعبارات من التوراة ليستكمل بها هذا النقص المزعوم، كما لم يتوع عن نقل بعض الآيات من أماكنها [30]

[30] أنس الصنهاجي : **القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية الفرنسية : مناولة بلاشير نموذجا** ، مجلة دراسات استشراقية ، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، العدد 08 ، صيف 2016

2 ـ مزاعم بلاشير الطاعنة في قدسية القران الكريم:

أ- تكذيب القرآن باعتباره وحياً إلهياً: حاول "بلاشير" إثبات تعارض في بعض الآيات القرآنية، وفي هذا الشأن ساق مثالا في العدل الإلهي في قوله تعالى:"اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب" وعلق بأن هذه الآية تخبر بسلطة الله المطلقة في أحكامه وقراراته وتقديره للأمور، بيد أن الآيتين التاليتين تثبتان خلاف ذلك في قوله تعالى: ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا * وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾. حيث حسب قوله، تعطي الحرية للإنسان في اختيار مصيره. ولم يقف تجاسره عند هذا الحد، بل طفق يقدم ويؤخر الآيات القرآنية عن مواضعها حسب هواه في المصحف الشريف، من قبيل إيراده للآية الحادية عشرة من سورة النساء في الآية الثانية عشرة، وتنكيس الآيات 62-63-64، من سورة طه، وإقحامها في الآية 60 وما بعدها، أما الآيتان 16 و 17 من سورة لقمان فقد رأى أنهما تعترضان وصايا لقمان لابنه، الأمر الذي يستوجب إعادتهما إلى مقبل الوصايا لاستقامة المعنى. كما وصل به الأمر إلى إضافة ما ليس في القرآن مثل فعله في الآية 52 من صورة الزخرف، إذ أضاف كلمة:"antérieurement" قبلا" بعد قوله تعالى " ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان" بحجة أن معنى الآية غير واضح. وقد ختم "بلاشير"ديباجة ترجمته بخاتمة أكد فيها بجزم أن القرآن ليس كتاب عقيدة وشريعة، بل لا يعدو أن يكون مجرد رسالة جهاد وتحريم، وبهذا المعنى يقول:" نشدنا أن نجمع ما لايجوز جهله في رسالة قيل أنها عقيدة وشريعة... وإذا ربطنا النصوص القرآنية بعضها ببعض يتضح ويتحدد خطوط القوة فيها إذ هي رسالة جهاد وتحريم أكثر من أية رسالة أخرى" وعن مسألة الوحي زعم بلاشير أن الوحي المنزل في مكة لم يكتب بل كان يخزن في الذاكرة، وأن فكرة تدوين مقاطع الوحي الهامة التي نزلت في السنوات السالفة على مواد خشنة من الجلود واللخاف، لم تنشأ إلا بعد إقامة محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، على أن هذه الحاجة للتدوين لم تظهر -حسب استنتاجه- إلا بين الحين والآخر ، أي أن الجزء الذي يكتب من الوحي هو الجزء الذي كان يرى فيه النبي الكريم خدمة وإفادة لمصلحة متوخاة في سياق معين، وقد شغلت الأدعية والأحكام الشرعية معظم حيز هذا الجزء وبذلك يقسم بلاشير القرآن الكريم الى مهم وغير مهم. وفي سياق حديثة عن مسألة جمع القرآن ومراحل تدوينه، خرج بقناعة مفادها أن التدوين لم يكن صحيحا تماما، فسقطت آيات كثيرة منه، كما أن أدوات الكتابة وما كان يكتب عليها، قد تم دون ضبط، أو نظام، مما عرض بعضه للضياع كما أن الجمع في المرحلة الثانية لتدوين القرآن بعد وفاة الرسول، لم يتجاوز ما كان في صدور الحفاظ،وبمبادرة شخصية من بعض الصحابة، و هذا ما يؤشر أن جمع القرآن وتدوينه لم يتم بطريقة علمية صحيحة،

حتى عهد الخليفة الثالث عثمان. كما اعتبر "بلاشير" أن قراءة القرآن الكريم قراءة خاطئة لا تنضبط للتسلسل الزمني لتواتر السور، وفي هذا الصدد قال:"إن السور على النظام المعاكس للتاريخ الذي نزل فيه الوحي إننا نقرأ القرآن معكوسا، ومن جهة أخرى فالسور بعيدة عن تكوين مجموعات متجانسة" وعليه ننصح بضرورة البحث عن ترتيب زمني للسور طالما أن الترتيب الذي عليه القرآن حاليا ترتيب مصطنع يشي عن الروح الفوضوية التي كان عليها العرب في ذلك الوقت، الأمر الذي استدعى حسب زعمه هجر هذا الترتيب والبحث عن آخر ينضبط للتسلسل التاريخي في النزول، وفي هذا الشأن قال:"من أجل فهم الكتاب المقدس للمسلمين تاريخيا يمكن الرجوع إلى التسلسل الزمني ...من أجل مساعدة القارئ" . وقد قسم بلاشير سور القرآن الكريم إلى أربعة مراحل، فاصلا بين كل مرحلة من هذه المراحل الأربعة بما تتميز به كل مرحلة عن الأخرى من سمات، والذي يبدو أنها مأخوذة من المستشرق الألماني "نولدكه" في معالجته لهذا الموضوع باعتبارها الطريقة المثلى- في نظر بلاشير – التي يجب التقيد بها، وفي هذا يقول: "إن التجربة أثبتت أن التقيد بالمراحل الزمنية للترتيب الذي اقترحه "نولدكه" وأخذ به بعض المترجمين يجعل القراءة المصحف سهلة بل ممتعة".وفي معرض حديثه عن المرحلة الأخيرة في تدوين القرآن ورسمه ونقطه التي تمت في العهد الأموي، أكد أنها المرحلة التي تم فيه حذف بعض الآيات التي تمجد عليا وأهل البيت لأسباب سياسية. [31]أما على المستوى الفني فقد اعترف "بلاشير" بأن القرآن معجزة وتحفة أدبية رائعة تسمو على جميع ما أنتجته الإنسانية وبجلته من الصحف وذلك لما يحويه من نثر موزون مقفى يأثر بسحره العجيب على المتلقي، وهذا ما اعتبره شبيها بترانيم المنجمين والسحرة وتفنن الشعراء، وفي هذا الصدد يقول "ولقد نشأ من هذا النثر انفعال إجمالي أثر على الأعداد أنفسهم... ثم إن لهذه الميزة تأثيراً على السامع الذي لا ينطق بالضاد... وهذا شبيه بغرابة تنبؤات المنجمين، وهدر الشعراء، وقول السحـــــرة "، فلغة القرآن ظلت في حسبه شبيهة بالشعر القديم، وذلك بفصل الأحكام الموسيقية للمقاطع اللفظية، وغنى النغم في الحركات، والقوافي المنظومة أو المسجعة.

إن منهج النفي الذي اتبعه "بلاشير"كان الغرض منه نفي الحقائق والوقائع المرتبطة بنزول القرآن الكريم، وذلك من خلال إثارة الشكوك إلى الحد الذي يجعلك تشكك في حقيقة النص القرآني المتداول.

ب- اعتبار القرآن الكريم من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم :

ادعى "بلاشير" أن القرآن الكريم ألفه محمد وجمعه من مختلف المصادر، زاعما أن تعاليمه و مادته العضوية تلقاها من راهب نصراني أريوسي اسمه "سيرجيون بحيرى" كان خارجا عن العقيدة القويمة أما القصص الواردة في القرآن فقد استقاها محمد من التوراة وقصص الغابرين وحكايات سوق عكاظ

[31] نفس المرجع السابق .

وخطب وشعر قس بن ساعدة الذي أخذ عنه بعض القضايا الدينية، لاسيما ما تعلق منها بالبعث والنشور والحساب ، ثم أضفى عليها بذكاء الرواية والأسلوب العربي الفصيحين الذي اتسم بالإيحاء أكثر منه بالوصف، ومثالاً على ذلك ذكره في قوله تعالى ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ فقد اعتبرها "بلاشير" آية مطابقة للأسطورة المنتشرة جداً في الشرق وفي الثقافة اليهودية النصرانية"، وزعمه في مقدمة سورة إبراهيم أن الآيات الخاصة بهذا الرسول الكريم (أي من الآية 38 إلى 42) هي نصوص قديمة تمَّ تنقيحها بالمدينة المنورة، واستدلاله بطول الآية الثالثة نسبياً في سورة العصر على أنها أدرجت منذ زمن قريب وجزمه في وجود آيات هامة في مقدمة سورة الأنعام أدخلت عليها تعديلات بعد الهجرة إلى المدينة المنورة بزمن وجيز. كما لم يتورع عن وصف محمد صلى الله عليه وسلم بالزعيم الداهية الذي يتقلب بتقلب المصالح، وتحول موازين القوى، وفي هذا التفسير ادعى أنه سعى إلى تحسين علاقته مع اليهود،بانتمائه إلى الإبراهيمية بعدما أدرك مكانتهم ونفوذهم في المدينة وقوة حلفائهم، وحينما قويت شوكته وانقطع حبل الود بينه وبينهم ، مال إلى النصارى بعدما استشعر جأشهم إثر هزيمته في معركة مؤتة، ويؤول ذلك من قوله تعالى. ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾. وفي السياق ذاته ذيل الصفحة الثامنة والأربعين من كتابه معلقاً على الآية الكريمة ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لله الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ بالعبارات التالية "بقت (أي القدس) قبلة المسلمين ما يربو عن 16 أو 17 شهرا، أي حتى يئس محمد من ولاء إسرائيل، ثم تحول إلى الكعبة".

لقد ظل السواد الأعظم من المستشرقين وعلى رأسهم "بلاشير"، عند دراسهم للوحي ينطلقون من ثوابت معرفية ذات صلة بديانتهم التي ترى أن آخر تجليات الوحي قد انتهت مع موسى وعيسى عليهما السلام، بالتالي فالنبوة تستحيل ظهورها في أحد بعدهما، ومن هذه الفرضية يتعاملون مع القرآن على أنه حديث، بشري محض، فهو إما عملية انتقائية اعتمدت على الكتب السماوية الأُخر، أو إنتاج ومزج بين عناصر الديانات الوثنية التي كانت سائدة في القرن السابع الميلادي.[32]

خلاصة :

من خلال عرضنا للسير الذاتية لأهم المستشرقين و الوقوف على إسهاماتهم في مجال الدراسات المتعلقة بحقل الأدب العربي ، نخلص إلى القول أنه ينبغي علينا أن نحرص كل الحرص و نحن بصدد التعامل مع مؤلفاتهم و النهل منها – إن لزم ذلك – على الالتزام بالنقد الموضوعي ، و أن ننتقي ما يتوافق مع مبادئنا و عقيدتنا و هويتنا الإسلامية العلمية .

[32] نفس المرجع السابق .

المحاضرة 11 : الدراسات الاستشراقية في حقل الأدب العربي القديم(دراسات سيرية بيوغرافية - الجزء 02 -)

المحاضرة 11 : الدراسات الاستشراقية في حقل الأدب العربي القديم
(دراسات سيرية بيوغرافية - الجزء 02 -)

مقدمة :

حظي أعلام الأدب العربي بدراسات واسعة و عميقة بداء من تحقيق دواوين الشعر الجاهلي إلى الوقوف المتميز أمام بعض الأعلام و القضايا ، [1] فنجد " "كارل بروكلمان" مثلا في كتابه " تاريخ الأدب العربي " يستعرض سير بيوغرافية لمختلف الشعراء في فترات زمنية متعاقبة ، اخترنا منهم ستة من شعراء العصر الجاهلي .

1 - سير بيوغرافية لأشهر شعراء العصر الجاهلي كما قدمهم " كارل بروكلمان " :

اختار قدامى الأدباء ستة من شعراء الجاهلية ، جعلوهم في المرتبة الأولى من التفوق و الشهرة ، و لعلهم فضلوهم على غيرهم لأنهم هم الذين أمكنهم أن يجمعوا لهم دواوين أطول و أكمل .

و يصرح الفرزدق بأسماء أخرى من أشهر شعراء الجاهلية ، غير أنه يسقط عنترة بالكلية ، و يعد أول الشعراء : المهلهل خال امرئ القيس ، و تبع الفرزدق في ذلك ابن قتيبة ، و لكن عمر بن شبة (262 / 875)يذكر أن تغلب وحدها هي التي تعد المهلهل أول الشعراء ، على حين تعد قبائل أخرى غيره .

و قال محمد بن سلام الجمحي : سألت يونس النحوي عن أشعر الناس فقال : لا أومئ إلى رجل بعينة و لكني أقول : امرئ القيس إذا غضب ، و النابغة إذا رهب ، و زبر إذا رغب .

1 -1 – " النابغة الذبياني" :

النابغة الذبياني زياد بن معاوية ، عاش في القرن الأخير من القرن السابق على ظهور الإسلام ، و نادم ملوك الحيرة : المنذرين الثالث و الرابع و النعمان بن المنذر أبا قابوس ، و استوجب سخط الأخير عليه لما يروى من أنه وصف يوما حسن زوجة النعمان في شعر أثار غيرته و غضبه ، و لكن حقيقة الأمر فيما يبدو – هي أن النابغة كان قد واصل بني غسان في دمشق ، و هم أعداء اللخميين ، فظن النعمان به الغدر و عدم الوفاء له ، و هرب النابغة منه فوجد ملجأ في بلاط عمرو بن الحارث ، و أكرمه عمرو و ابنه النعمان ، فلما مات النعمان بن عمرو بن الحارث رجع النابغة إلى الحيرة ، و نال عفو أبي قابوس و حظوته من جديد ، و لكنه لم يتمتع بذلك طويلا ، فقد وقع أبو قابوس بعد ذلك بقليل في أسر خسرو الثاني ، الملك الساساني في فارس ، و لم يلبث أن مات في محبسه ، و حينئذ رجع النابغة إلى

[1] أحمد درويش : **الاستشراق الفرنسي و الأدب العربي** ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، بدون طبعة ، 2004 ، ص 25

قبيلته بني ذبيان ، اللذين كان يرعى مصالحهم دائما عند أولى حظوته من الأمراء ، و بقي هناك إلى أن مات .

و من أشعار النابغة نذكر الأبيات التالية :

فكفكفت مني عبرة فرددتها على النحر منها مستهل و دامع

على حين عاتبت المشيب على الصبا و قلت ألما أصح و الشيب وازع

و قد حال هم دون ذلك شاغل مكان الشغاف تبتغيه الأصابع

وعيد أبي قابوس في غير كنهه أتاني و دوني راكس فالضواجع

و هذا كلام متناسب تقتضي أوائله أواخره ، و لا يتميز منه شيء عن شيء .[2]

1 – 2 – "عنترة بن شداد" :

(و قيل ابن عمرو ، أو ابن معاوية) العبسي ، كان ابن جارية حبشية سوداء تدعى زبيبة ، و يعد لذلك من أغربة العرب ، و كان شداد أبوه لا يعترف به ابنا بل عبدا له ، و لكن عنترة محا عن نفسه عار مولده بما أظهره من شجاعة في حرب داحس و الغبراء ، حيث اعترف به أبوه و ألحقه بنسبه ، و قتل عنترة في الغارة على بني نبهان من طيء بعد أن صار أشهر أبطال العرب .

و ما تزال ذكرى عنترة بوصفه أشهر أبطال العرب باقية إلى اليوم في قصة عنترة و في كثير من أسماء الأماكن .

و فن عنترة الشعري ، الذي نعرفه من معلقته بصورة أساسية ، هو في حقيقته فن بدوي نموذجي و لكنه يتسم مع ذلك ببعض ملامح حديثة ، حيث يرسم موقفا غراميا على نحو قريب من أسلوب عمر بن أبي ربيعة ، و حيث يقرن النسيب ببعض الأوصاف و الموضوعات الأخرى ، كما في قصيدة رقم 20 من الديوان الذي نشره " آلرود " .

1 – 3 – "طرفة بن عمرو بن العبد البكري ":

و كان ابن أخي المرقش الأصغر ، و قضى طرفة شطرا من حياته في بلاد عمرو بن هند الذي ملك الحيرة سنة 568 – 569 م ، و كان ينادم أخاه أبا قابوس .

[2] كارل بروكلمان – ترجمة عبد الحليم النجار : **تاريخ الأدب العربي ، ج 01** ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ص 88 - 90

و رويت في وفاة طرفة قصة كثيرة الاختلاف الرواية ، و يذكر الأعلم الشنتمري أن طرفة حينما قدم على والي البحرين ، و معه الكتاب الذي أمره فيه الملك بقتل طرفة ، نصحه الوالي و كان قريبا له بالهرب ، فأبت على طرفة عزة نفسه أن يهرب ، و اضطر الوالي إلى التنازل عن ولايته ، فنفذ القتل في طرفة وال آخر ولاه الملك من بعده .

و لكن يبدو أن طرفة لم ينادم أبا قابوس في الحيرة ، و إنما نادم أخا الملك من أبيه و هو عمرو بن مامة في اليمامة ، و كان التجأ إلى قبيلة مراد من عداوة أخيه ، فعاقب الملك طرفة بأخذ إبله التي تركها في " تبالة "في ديار بني لحم فهجاه طرفة بأشعار مقذعة .

و فضل النقاد العرب طرفة على سائر الشعراء بإجادته وصف الناقة في معلقته على نحو لم يسبق إليه . و يميل بعضهم إلى عده أشعر شعراء الجاهلية .

أما شعره فبعضه متعلق بأيام القبائل في شرقي الجزيرة ، و بعضه في هجاء ملك الحيرة ، و إذا صح ما زعمه بعض العلماء من أن ضرب المثل بصحيفة المتلمس و ما روى في ذلك من قصة الصحيفة المختومة التي أرسلها ملك الحيرة إلى والي البحرين يأمره بقتل الملتمس و ابن أخته طرفة ، كل ذلك موضوع على أساس بيت قاله المتلمس ، فلابد أن تكون القصيدة التي تفترض وقوع هذه القصة منحولة ، و يذكر العيني في شرح الشواهد الكبرى أن ابا مروان النحوي هو الذي صنع هذه القصيدة . [3]

1 – 4 – "زهير بن أبي سلمة ربيعة بن رباح المزني" :

ولد في بني عبد الله بن غطفان ، و كان أبوه قد نزل بهم و انضم إليهم ، و من ثم و هم أبن قتيبة حيث عده منهم في كتاب الشعراء ، و دافع عنهم زهير بشعره في حرب داحس و الغبراء بين الأخوين عبس و ذبيان .

و قيل أن زهير كان رواية أوس من حجر زوج أمه ، و كان أوس راوية الطفيل الغنوي و تلميذه و روي عن زهير ابنه كعب ، و عن كعب روى الحطيئة و جميل و كثير ، و يروى أن لزهير سبع قصائد نظم كل منها في عام كامل ، و من ثم سميت : الحوليات .

و قد برز عنصر التهذيب و التعليم بقوة في شعر زهير، و لاسيما في معاني العتاب و الزهد ، حتى ظن بعض العلماء أنه خاضع لتأثير النصرانية ، نعم كان تأثير النصرانية واسع الانتشار قديما في جزيرة العرب ، بيد أنه لا يجوز من أجل ذلك عدة نصرانيا .

[3] نفس المرجع السابق ، ص 90 - 94

و قيل أن زهيرا لقي النبي (صلى الله عليه و سلم) و هو ابن مائة سنة ، و لكن الراجح أنه مات قبل ظهور النبي بزمن طويل ، و قد بكته الخنساء أخته في مرثية لها .

1 – 5 – "علقمة بن عبدة الفحل التميمي" :

كان كالنابغة ينادم الحارث الأصغر الغساني و النعمان الثالث أبا قابوس اللخمي ، و لكنه لم يوطن مثله بالحيرة و لا دمشق ، و قد مدح الحارث الأصغر بقصيدة مشهورة وسأله أن يطلق سراح أخيه شأس الذي أسر في إحدى الغارات ، كما ذكر أيضا ابا قابوس ملك الحيرة (إلى حوالي 573 م) و الزبرقان من قبيلته ، و كان الزبرقان قد علت مكانته و طار صيته حوالي 632 م .

و علقمة شاعر بدوي أصيل ، و من ثم اشتهر على وجه الخصوص بوصف النعام . أما مطارحته لأمرئ القيس فهي من قبيل القصص .[4]

1 – 6 – "امرئ القيس" :

حندج (و قيل عدى ، و قيل مليكة) بن حجر بن حارث الكندي / الملك الضليل ، قضى حياته في محاولات متكررة باءت كلها بالفشل إعادة ملك بيته بني كندة اليمانية، و كان جذه حجر آكل المرار ، قد أقام لنفسه ملكا على قبائل نجد حوالي 480 م ، و لكن أخلافه لم يستطيعوا المحافظة عليه ، و قتل بنو أسد حجرا ابا الشاعر .

و لا نعرف شيئا ثابتا عن حياة امرئ القيس ، و يريد طه حسين في الأدب الجاهلي أن يرى في تاريخ امرئ القيس مثالا لحياة عبد الرحمان بن الأشعث الكندي ، وضعها القصاص إشادة بذكر قبيلته .

و قد رسمت الروايات صورة امرئ القيس على أنه بطل من أشهر أبطال العرب ، و يتضح اختراع هذه الصورة ، على غرار ما يحكى عن مشاهير الأبطال في صغرهم ، مما ذكره أبو الحسين النسابة و ذلك أن أباه كان ينهاه عن قول الشعر ، و أنه سمع منه شعرا فأمر غلاما له أن يقتله و يأتي بعينيه فانطلق الغلام فاستودعه جبلا منيفا ، و علم أن أباه سيندم على قتله ، فعمد إلى جؤذر كان عنده فنحره و اقتلع عينية فأتى بهما حجرا ، و لكن حجرا غضب و هم بقتل الغلام ، فقال له الغلام أبيت اللعن إني لم أقتله ، قال أين هو ، قال : استودعته جبل كذا ، قال : فإتني به ، فأتاه به ، فلم يقل امرئ القيس بعدها شعرا حتى قتل أبوه .

[4] نفس المرجع السابق ، ص 95 - 97

كذلك ما روي أن ملك الروم جوستنيان دعاه إلى القسطنطينية و جعله أميرا على قبائل فلسطين ليستعين به على الفرس ، فهذا منحول عليه و لكن حدث حقيقة لابن عمه قيس بن سلمة .

و ما حكى عنه من أنه فجر بإحدى بنات ملك الروم فأمر بقتله في أنقرة و هو في طريق عودته ، فإن ذلك مخترع عليه أيضا لأن كثيرا ما كان يفتخر مغامراه .

و ربما كانت قصة موته محترقا لأنه لبس حلة مسمومة كما حصل لهرقل الفحل اليوناني ، منحولة عليه أيضا ، و لعل منشأ ذلك سوء فهم الأبيات 12 – 14 من القصيدة 30 من ديوانه : و بدت فرحا داميا بعد صحة إلخ ، و قد أشار البحتري إلى قبره المزعوم بإٍض الروم في إحدى قصائده .

و يرى النقاد العرب أن امرئ القيس كان أول من استعمل النسيب و غيره من معاني الشعر في أسلوب القصائد ، و من الخصائص العروضية في شعره كثرة استعمال الضرب المقبوض في الطويل ، و كثرة الإقواء في القافية ، و كثرة التصريع في غير أول القصيدة .

و يرجع الفضل في رواية أشعار امرئ القيس الكثيرة الاضطراب إلى حماد الرواية على وجه الخصوص ، كما يرجع بعض ذلك إلى أبي عمرو بن العلاء .

و زعم الرياشي أن كثيرا من الشعر المدون في ديوان امرئ القيس منحول عليه ، و هو لفتيان من أصحابه ، مثل : عمرو بن قميئة .[5]

خلاصة :

لقد استعرضنا في هذه المحاضرة سير بيوغرافية لستة من الشعراء الجاهليين كما صورهم " كارل بروكلمان " ، و قد وقع اختيارنا على شعراء العصر الجاهلي كون هذه المرحلة تعد من بين أكثر مراحل تطور الأدب العربي التي ركز عليها المستشرقون ، و بالتالي نجد فيها مادة معرفية خصبة للتعرف على هذه الشخصيات .

[5] نفس المرجع السابق ، ص 97 - 99

المحاضرة 12 : تفاعل الباحثين العرب مع الدراسات الاستشراقية : في إطار الترجمة - في إطار النقد - في إطار التتلمذ

المحاضرة 12 : تفاعل الباحثين العرب مع الدراسات الاستشراقية : في إطار الترجمة - في إطار النقد - في إطار التتلمذ

مقدمة :

لقد سبق و أن استعرضنا عديد الدراسات الاستشراقية في مجال الأدب العربي القديم سواء تعلق الأمر بمسألة الانتحال في الشعر الجاهلي ، أو نظرة المستشرقين إلى القيم الجمالية الأدبية ... إلى غيرها من المواضيع ، كما صنفناهم إلى موضوعيين و إيديولوجيين ، و قد تعرض علماؤنا العرب لهذه الأبحاث بالنقد و التحليل لانتقاء ما يتوافق مع أصول البحث العلمي و الحقائق المتعلقة بصحة تراثنا الأدبي .

غير أن هناك فريق من الأدباء العرب من يتفق تماما مع كل ما جاء به الاستشراق ، بل و يؤيدونه باقتباس و تبني آرائهم – أي المستشرقين – في كتبهم و مؤلفاتهم ، و في هذه المحاضرة سنقف على آراء الباحثين العرب مع الدراسات الاستشراقية في إطار كل من الترجمة و النقد و التتلمذ .

1 - موقف العلماء العرب و المسلمين من الدراسات الاستشراقية :

فقد أفرط بعض مفكرينا في تمجيد شأن المستشرقين والثناء عليهم، فبالغوا في تصديقهم وتوثيقهم وإبراز الجهود التي بذلها المستشرقون، وافتخروا بهم كل الافتخار في أخذهم آراء المستشرقين في مؤلفاتهم وطبيعي أن نجد استخفافهم واحتقارهم من شأن بعض مفكري المسلمين الذين يهاجمون المستشرقين ويستنكرون دورهم، فيطلقون عليهم " دعاة الظلام " وصاحب "الانغلاق الفكري" ، و"أنصار التقليد" و"أعداء التجديد" كما فعل الدكتور "عاطف العراقي" في كتابه "العقل والتنوير" . ولنضرب مثالا لبعض أقولهم: قال الأستاذ "نجيب العقيقي" -بعد أن استعرض تراجم المستشرقين وآثارهم- متسائلا: "فهل يتساوى نشاطهم له وتضافرهم فيه مع الذي قاموا به في متعدد أوجهه مقدارا ومدى ؟" .

وقال الدكتور "طه حسين" معجبا بهم: " وكيف نتصور أستاذا للأدب العربي لا يلم ولا ينتظر أن يلم بما انتهى إليه الفرنج (أي المستشرقون) من النتائج العلمية المختلفة حين درسوا تاريخ الشرق وأدبه ولغاته المختلفة! وإنما يلتمس العلم الآن عند هؤلاء الناس، ولا بد من التماسه عندهم؛ حتى يتاح لنا نحن أن ننهض على أقدامنا، ونطير بأجنحتنا، ونسترد ما غلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا وتاريخنا وآدابنا" .

وتبعه في ذلك تلميذه الدكتور "عاطف العراقي" فقال بصراحة مدافعا عن المستشرقين: "إنني أدافع من المستشرقين دفاعا لا حد له، ولا أتردد في أن أقول إن بعض الأحكام التي نجدها عند المستشرقين قد تكون أكثر عمقا من الأحكام السطحية الفجة والتي يقول بها كثير من المؤلفين العرب، ولنفرض جدلا أننا نختلف معهم" ، و"إن صفحات المستشرقين تعد تعبيرا عن العظمة والمجد" "وينبغي أن نضع في اعتبارنا كما قلنا أن المستشرقين كانوا دعاة للحضارة، دعاة للعلم، دعاة للنور" .

وفي مقابل تلك الفرقة، نجد إفراط بعض مفكرينا المسلمين قائمين بتجريح المستشرقين، والاحتقار من شأنهم جملة وتفصيلا، وذلك لأن جهود المستشرقين -في اعتقادهم- "مشبوهة بدوافعها، مملوءة بنواقصها، فالهدف من نشر التراث العربي والإسلامي مثلا هو معرفة جوانب القوة للقضاء عليها وجوانب الضعف لتعميقها؛ وقد اهتم الاستشراق في مجال النشر بالجوانب السلبية في تراثنا أكثر من الجوانب الإيجابية، ومناهج التحقيق لم تكن علمية، فضلا عن أخطاء الفهم والتحريفات والتعليقات التي تعكس روح التعصب لدى أصحابها .

وممن يمثل هذه الطائفة الأستاذ "أحمد فارس الشدياق"، فجعل المستشرقين ضررا وبلاء لا نفع منهم ولا دفع، فقال: "إن هؤلاء الأساتيذ (المستشرقين) لم يأخذوا العلم عن شيوخه، وإنما تطفلوا عليه تطفلا وتثوبوا تثوبا، ومن تخرج فيه بشيء فإنما تخرج على القسس، ثم أدخل رأسه في أضغاث أحلام، أو أدخل أضغاث أحلام في رأسه، وتوهم أنه يعرف شيئا وهو يجهله، وكل منهم إذا درس في إحدى لغات الشرق أو ترجم شيئا منها، تراه يخبط فيها خبط عشواء، فما اشتبه عليه منها رقعه من عنده بما شاء وما كان بين الشبهة واليقين حدس فيه وخمن، فرجح المرجوح وفضل المفضول" .

وبين كلتا الفرقتين نجد طائفة معتدلة من بعض مفكرينا المسلمين، فوقفوا تجاه الإنتاجات الاستشراقية موقف المنصف العدل، وأقروا بحسناتها وسيئاتها، ودعوا الناس إلى الاستفادة منها، وممن يمثل هذه الطائفة الأستاذ "أبو الحسن الندوي" حيث حثّنا على نقد الاستشراق بإتباع أسلوب علمي نزيه، نسوق قوله للتمثيل على ما نقول:

قال الأستاذ "أبو الحسن الندوي ": "أعترف بكل وضوح وصراحة أن عددا من المستشرقين كرسوا حياتهم وطاقاتهم على دراسة العلوم الإسلامية، وتبنوا موضوع الشرقيات والإسلاميات بدون تأثير عوامل سياسية واقتصادية أو دينية، بل لمجرد ذوقهم وشغفهم بالعلم، وبذلوا فيها جهودا ضخمة، ويكون من المكابرة والتقصير أن لا ينطلق اللسان بمدحها والثناء عليها؛ ورغم هذا الاعتراف بفضلهم لا يمنعني شيء من أن أصرح بأن طائفة كبيرة من المستشرقين كان دأبها البحث عن مواضع الضعف في الشريعة الإسلامية والحضارة والتاريخ الإسلامي وإبرازها لأجل غاية سياسية أو دينية".

ونرى هذا الموقف المنصف يتجلى أيضا في كتابة الدكتور "مصطفى السباعي" على الرغم من ميله إلى تجريح الاستشراق أكثر من تعديله، عند ما نقرأ كتابه "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي" ورسالته القيمة "الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم" ، ونضرب مثالا من قوله المنصف. قال الدكتور السباعي: "وفي الحق أن كلا من الثناء المطلق والتحامل المطلق يتنافى مع الحقيقة التاريخية

التي سجلها هؤلاء المستشرقون فيما قاموا به من أعمال، وما طرقوا إليه من أبحاث، ونحن من قوم يأمرهم دينهم بالعدل حتى مع أعدائهم .[1]

1 – 1 - الموقف العربي المؤيد للدراسات الاستشراقية :

1 – 1 – 1 – "طه حسين" :

لا ينطلق" طه حسين "في تصوره للشرق من مفهوم جغرافي– كما يرى "عبد الله إبراهيم "- وإنما من اعتبار ثقافي .فثمة مجالان ثقافيان :أحدهما" الشرق البعيد "و يقصد به الهند والصين، و اليابان، و الآخر "الغرب " الأوربي، وبينهما حسب "طه حسين" الشرق القريب"، وهو مصطلح" مهجن "يأخذ اسمه من المجال الأول و مضمونه من المجال الثاني، و هذا المجال المهجن هو ما يصطلح عليه حاليا جغرافيا ب "الشرق الأوسط"، الذي يعتبره" طه حسين "امتدادا طبيعيا لمجال الغرب من ناحية ثقافية منذ الرومان . هذا التصور أشاعته الثقافة الغربية المتمركزة على ذاتها ، التي أعلت من مفهوم الغرب على أنه مكون ثقافي لا يمتثل أبدا لشروط الجغرافيا، و أوجدت له تعبيرا في ثقافة القرنين الثامن عشر و التاسع عشر في أروبا، فكرة الفصل بين الشرق و الغرب استنادا إلى منظومة القيم الأخلاقية، والعقلية، والفكرية .[2]

كانت حياة "طه حسين" الفكرية و فلسفته ، في فكره على غاية أساسية ، و هي أن يخلق من مصر امتدادا لأوربا و لثقافته الغربية و فرنسا بالذات ، فهو يرى دائما أن مصر هي جزء من أوربا ، في كل ما يتصل بالحياة العقلية و الثقافية على اختلاف فروعها و ألوانها[3]مما دفع بالبعض إلى القول عن طه حسين أنه مستشرق من أصل عربي ، و هو ليس كذلك ، و إن تلبس بلباس الاستشراق في أفكاره و تأثراته ، و أطلق بعض التعبيرات التي توحي بقدر واضح من التأثر ... و من باب أولى لا يعد العلماء المسلمون من المستشرقين ، و إن تبنوا نظريات المستشرقين و مناهجهم في القضايا الإسلامية و العربية ، في العقيدة و الشريعة و الأدب .[4]

ومما لا شك فيه أن" طه حسين" كان يطلع بشغف على آراء المستشرقين إلى حد يعرب فيه عن ثناءه وإعجابه الشديد بهم، وفي معرض حديثه عن أحدهم يقول : "إنني شديد الإعجاب بالأستاذ "هوار"

---

[1] **أحمد ستارياوان هريادي : الاستشراق و أثره و تحديد الموقف اللائق به** ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، جامعة الأزهر الشريف ، ص 14 – 16

[2] **لقي الفكر الاستشراقي عند طه حسي ن بين هيمنة الثقافة و سلطة المنه ج** ، مجلة المدونة ، المجلد 07 ، العدد 02 ، ديسمبر 2020 ، ص 303

[3] خالد أحمد أبوجندي **:الجانب الفني في القصة القرآنية منهجها وأسس بنائها**، عمار قرفي للطباعة والنشر ، الجزائر، بدون طبعة ، بدون تاريخ ، ص 30

[4] علي بن ابراهيم النملة :**مسارات الاستشراق من الالتفات إلى الالتفاف**، بيسان للنشر و التوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ،2016 ، ص 04

وبطائفة المستشرقين، وبما ينتهون إليه في كثير من الأحيان من النتائج العلمية القيمة في تاريخ الأدب العربي. [5]

يحاول "طه حسين من خلال كتابه " في الأدب الجاهلي " أن يثيرا جدلا كبيرا ، و هو يفعل ذلك عن قصد لكي يقوم بإدخال الشك الديكارتي في أذهان المفكرين العرب لدراسة الأدب العربي القديم و يهدف من وراء ذلك للتوصل إلى نتائج مثيرة للاهتمام ، و هي مسألة شائكة كان النقاد العرب القدماء قد بحثوا فيها . إن طه حسين لا يتوانى عن جلب هذا المنهج إذا ما اقتضت الضرورة ذلك ، و هو لا يجد أي حرج في ذلك . [6] كما و يقف" طه حسين" من النثر الجاهلي نفس موقفه من الشعر الجاهلي . [7]

سعى المستشرقون إلى إلحاق "طه حسين" بكل مؤتمراتهم ، لأخذ خطبهم فينتقدها و يقدم التقارير فيما يرضيهم ، و يمكن القول أنه لم يترك فرصة تمر دون أن يشيد بالمستشرقين ، و لا يحلوا له أن يعرض الموضوع أيا كان دون أن يشير إلى الاستشراق بالتمجيد و المتابعة دون تحرج ، بحيث كان للمستشرقين أثر كبير في حياته ، و قد أثر بذلك في كتاباته بأنه معجب و متأثر بالاستشراق ، تأثر يعجز عن وصفه اللسان و المكانة وجد ضالته في هؤلاء المستشرقين . [8]

طه حسين و أثر المستشرقين في نقده و منهجه :

لقد شكل تأثر طه حسين بآراء بعض المستشرقين في جامعة السّوربون له مذهباً جديداً في دراسة الأدب يختلف كلّ الاختلاف عن مذهب أساتذته في مصر الذين دان له بالفضل في اطلاعه على الأساليب العربيّة في دراسة النّص، فقد تأثر إلى حدّ كبير بالمستشرق الإيطالي" كارلو نالينو" .يقول" :أمّا أنا فقد سجلت غير مرة لهذين الأستاذين العظيمين" سيد على المرصفي وكارلو نالينو "أحدهما علمني كيف أقرأ النّص العربيّ القديم، وكيف أفهمه في نفسي وكيف أحاول محاكاته وعلمني الآخر كيف استنبط الحقائق من ذلك النّص، وكيف ألائم بينها وكيف أصوغها آخر الأمر علماً يقرؤه النّاس ويجدون فيه شيئاً ذا بال . وكلّ ما أتيح لي بعد هذين الأستاذين العظيمين من الدّرس والتّحصيل في مصر وفي خارج مصر فهو قد أقيم على هذا الأساس الذي تلقيته منهما في ذلك الطّور الأول من أطوار الشباب، بفضلهما لم أحسّ الغربة حيث الأساتذة الأوروبيين في جامعة باريس، وحين أمعنت في قراءة كتب الأدب الحديث فلا غرابة إذاً أنْ تكون حياتي كلها براً بهذين الأستاذين وإكباراً لهما واعترافاً بفضلهما وشكراً لما أهديا إليّ من جميل .وشهدت الله ما قرأت في كتاب قديم ولا حديث في الأدب إلا ذكرت أحدهما أو كليهما ".

---

[5] بن كلثوم عائشة : **أثر الاستشراق في النهضة الأدبية الحديثة " طه حسين أنموذجا "** ، قسم الأدب العربي ، كلية الأدب العربي و الفنون جامعة مستغانم ، 2016 / 2017 ،ص 63

[6] فتح الله محمد : **تفاعل طه حسين مع الفكر الغربي – قراءة في ضوء التتلمذ و النقد** ، مجلة دراسات معاصرة ، جامعة تيسمسيلت ، المجلد 06 ، العدد 01 ، جوان 2022 ، ص 275

[7] طه حسين : **في الشعر الجاهلي** ، دار المعرف ، مصر ، الطبعة الرابعة ، 1927 ، ص 365

[8] بوزقاو مريم : **الاستشراق بين الرفض و القبول في الثقافة العربية** ، مرجع سبق ذكره ، ص 119 ، 120

لقد أشار كثير من الباحثين والدّارسين إلى تأثر "طه حسين" في نقده بأستاذه "كارلو نالينو" فقد أشار جابر عصفور من خلال كتابه " المرايا المتجاورة " إلى أنّه قد تأثر ب "نالينو" وذلك من خلال إخضاعه الأدب لبعض العلل الاجتماعيّة الكونيّة، أما تأثره ببعض الأدباء والنقاد الفرنسيين أمثال" ديكارت" فقد جعله يرى أنّ القاعدة الأساسية في دخول الناقد أو الباحث إلى النّص التجرد من جميع الإيديولوجيات المسبقة التي يمكن أن يخل فيها الناقد إلى النص، وأن يستقبل موضوعه خال الذهن من أي مؤثرات سابقة .وقد استفاد "طه حسين" من هذا المنهج في دراسته للشعر الجاهلي إذ انتهى به المطاف إلى نظرية مفادها أنّ الكثرة المطلقة من هذا الشّعر ليس من الجاهلية في شيء، و إنما هي منحولة بعد ظهور الإسلام وتمثل حياة الإسلاميين وميولهم واتجاهاتهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين وأهواءهم ونزواتهم .

ويرى أنّ هذا المنهج يفرض علينا في البحث إذا أردنا أنْ نتوصل إلى حقائق تفيد في موثوقية الشعر الجاهلي ونسبة كلّ شعر إلى شاعره، وبيان العصور التي قيل فيها هذا الشّعر ، ويصرح بأن ه سواء رضينا أم كرهنا فلا بدّ من أنْ نتأثر بهذا المنهج في بحثنا العلمي والأدب كما تأثر من قبلنا به أهل الغرب، ولا بدّ من أنْ نصطنعه في نقد آدابنا وتاريخنا كما اصطنعه أهل الغرب في نقد آدابهم وتاريخهم، وذلك لأن عقليتنا نفسها قد أخذت من عشرات من السنين تتغير وتصبح غربية أو قل أقرب من الغربيّة منها إلى الشرقية ،وهي كلما مضى عليها الزمن جدت في التغيير وأسرعت في الاتصال بأهل الغرب أو كما يقول : " أريد أن أريح النّاس من هذا اللون من التعب، وأنْ أريح نفسي من الرد و الدفع والمناقشة، فيما لا يحتاج إلى مناقشة، أريد أنْ أقول أني سأسلك في هذا الجو و من البحث .[9]

و يصرح " طه حسين " بتأثير المستشرقين في سيرته الذاتية الشهيرة" الأيام"، فالمستشرقون– حسبه - " ملكوا عليه أمره و استأثروا بهواه(و بذا)خرج من حياته الأولى خروجا يوشك أن يكون تاما لولا أنه كان يعيش بين زملائه الأزهريين و المدرعين و طلاب مدرسة القضاء وجه النهار و شطرا من الليل لكن عقله قد نأى عن بيئته هذه نأيا تاما ، و اتصل بأساتذته أولئك اتصالا تاما.

إن هذا التأرجح الذي يتحدث عنه العميد هنا يعود إلى اختلاف الرؤى والمناهج التي استعملت في شرح المعارف العربية و الغربية، مما أحدث شرخا فكريا لدى كثير من الباحثين و النقاد و المثقفين العرب المحدثين من بينهم "عبد الرحمن بدوي" و "محمد مندور" و "ميخائيل نعيمة" و" أمين الخولي" و غيرهم و إن كان "طه حسين" هو أبرزهم جميعا نتيجة الأفكار التي تضمنها كتابه" في الشعر الجاهلي "و تناوله

[9] علي قاسم محمد الخرابشة : **أثر المناهج النقدية في دراسات طه حسين النقدية** ، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ، العدد 16 ، 2012 ص 17

للقضايا التي كانت محل جدال منذ القدم، واستغلها بعض المستشرقين المتعصبين لتمرير بعض الأفكار التي تخدم ثقافة المركزية الغربية. [10]

إن إطلاع "طه حسين" الواسع على الثقافة الأوربية القديمة و مقارنتها بالثقافة العربية ، و محاولة الغوص في ثنايا الثقافتين أوصله إلى جملة من الحقائق التاريخية و الأدبية ، منها ظاهرة الانتحال التي لاحظ وجودها بداية في الحضارة اليونانية ثم في الثقافة العربية ، لذا جاءت آراءه المتمردة على المناهج التقليدية و وجهات نظر المحافظين ، و هي ليست وليدة الصدفة ، بل هي مؤسسة على ثقافة اكتسبها في أوربا ، و هو مطلع على الفكر الأوربي ، كما أنه متشبع بالثقافة الغربية قديمها و جديدها ، و ما فتح باب الشك عند "طه حسين" هو تلك الأخبار الأدبية و التاريخية التي ترددت على ألسنة الرواة ، و تلك القراءات و الروايات المختلفة للنصوص الشعرية ، و تلك الأشعار التي تنسب إلى أكثر من شاعر و هي التي فتحت باب التساؤل عند " ابن سلام " و غيره حول مسألة النحل و الانتحال ، و هو التساؤل نفسه الذي تكرر بعد قرون طويلة عند "طه حسين" الذي تصدى له بالدرس بأدوات جديدة بعيدا عن مناهج القدماء ، متبعا طريق الأسئلة و الاستدلال ، و يعود شك "طه حسين" في النصوص القديمة إلى استقبال الرواة استقبال المطمئنين لرواياتهم ، و يرجع سبب ذلك لأن المسلمين القدماء كانوا مخلصين في حب الإسلام ، فأخضعوا بسبب ذلك كل شيء للإسلام ، و لم يعرضوا لمبحث علمي و لا لفصل من فصول الأدب أو لون من ألوان الفن إلا من جانب تأييده للإسلام ، و نتيجة لذلك ، ما لائم مذهبهم أخذوه ، و ما خالفه انصرفوا عنه .[11]

تورط "طه حسين" في كتابه " في الشعر الجاهلي " في أكبر خطأ ، حيث أنه ينطلق في البحث من فروض و تخيل قائم على الحدس و الظن ، غير أنه يسير في بحثه ، و كأن هذه الفروض التي ليس لها أي أساس علمي أو تاريخي ثبتت صحتها و سلم بها حقيقة ، ثم يقفز إلى استنتاجات يعدها نتائج علمية و لكنها محض افتراءات و احتمالات بعيدة عن النظريات الثابتة و النتائج العلمية المؤكدة ، و لا يجد البحث أي سند علمي سليم دال على ثبوتها، و يمكن القول أنه امتثل لأساتذته الغربيين خاصة " مارجليوت " صاحب النظرية التشكيكية في الشعر الجاهلي ، و شكه أقرب من آرائهم و استنساخها [12] ويحاول "طه حسين" تثبيت نظريته المشككة في الشعر الجاهلي بقوله : " إن هذا الشعر الذي يضاف للجاهليين يظهر لنا حياة غامضة جافة برئية أو كالبريئة من الشعور الديني القوي و العاطفة الدينية المتسلطة على النفس و المسيطرة على الحياة العملية ، أوليس عجيبا أن يعجز الشعر الجاهلي كله عن

---

[10] نوال قرين : **تلقي الفكر الاستشراقي عند طه حسي ن بين هيمنة الثقافة و سلطة المنهج** ، مجلة المدونة ، المجلد 07 ، العدد 02 ، ديسمبر 2020 ، ص 303

[11] عمرو زاير : **منهج الشك عند طه حسين و مرجعياته** ، مجلة التواصلية ، العدد 11 ، ص 40 ، 41

[12] عبد القادر بن حمو : **سند الحديث بين مناهج المحدثين و مواقف المستشرقين** ، كلية أصول الدين – الخروبة – 2008 /2009 ، ص 131

تصوير الحياة الدينية للجاهليين ... أفتظن أن قريشا كانت تكيد لأبنائها و تذيقهم ألوان العذاب ، ثم تخرجهم من ديارهم ، ثم تنصب لهم الحرب و تضحي في سبيلها بثروتها و حياتها لو لم يكن لها من الدين إلا ما يمثله هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهليين؟ كلا ... " . [13] و يعتبر "طه حسين" أن الشعر الجاهلي لا يمثل الحياة الجاهلية ، و إنما يمثلها القرآن في الجوانب الدينية و العقلية و السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية ينتقل إلى اختلاف اللغة بين البشر و لغة العصر الجاهلي ، حيث يرى أن هذا الشعر بعيد كل البعد عن أن يمثل اللغة العربية في العصر الذي يزعم فيه الرواة أنه قيل فيه . [14]

كما كان "طه حسين " دوماً ينساق وراء الدروس والمحاضرات التي كان يقدمها أساتذة من المستشرقين حيث كانت تتلاءم هذه الدروس مع رغبته وميوله" وفي الجامعة المصرية تتلمذ على يد المستشرق "جويدي" في التاريخ وفي الجغرافيا فتتلمذ على" نللينو "وفي اللغات السامية القديمة المستشرق ليتمان وفي الفلسفة الإسلامية على" ستلانا" وفي تاريخ الحضارة الشرقية القديمة على" ميلوتي"، والأدب الفرنسي على" كليمانت" .[15] وهكذا قد ولج" طه حسين" باب الاستشراق، ودخل عالم التغريب بتعلمه اللغة الفرنسية على يد أكبر علماءها في الاستشراق، واحتك بعلماء الاستشراق بربط علاقات علمية وودية مع عدد من المستشرقين، وهكذا فقد تفتح أمامه هذا الباب الطويل العريض الذي تنقصه البراءة في الكثير من الأحيان، ويخلو منه الصدق في تحصيل العلم والأدب . [16]

أعجب "طه حسين" بطريقة المستشرقين ، وتأثر بها و خضع لها ، بل و دافع عنها بعد ذلك دفاعا واسعا في كل كتاباته ، فتلقى مفاهيم الفكر الإسلامي من خلال منهج المستشرقين ، و خاصة فيما يتعلق بالقرآن و دراساته ، و الشريعة و التاريخ ، قد اعترض عن ذلك في الأزهر ، ثم انتقل إلى حركة الشعر و الأدب ، و أعلن التقدير لتاريخ الرومان و أدب اليونان على نحو أقنعه بأن هذا التراث هو مصدر الفكر البشري كله . و إن الفكر الإسلامي تأثر به و تشكل منه ، فهو يردد ما قاله أشد كتاب الغرب على الإسلام " رينان " ، ف "طه حسين" لا يتوقف لحظة ، و لا يستحي مرة أن يعلن تبعيته الواضحة لآراء المستشرقين ، و تتبع مذاهبهم المختلفة ، فهو خاضع تارة للمذهب الاجتماعي الذي يؤمن بجبرية الإنسان ، إضافة لخضوعه الكامل للبيئة و العمر ، فقد تبع مذهب "بلاشير" في دراسته للمتنبي و خضوعه ل "دوركايم " في دراسته عن "ابن خلدون" . [17]

---

[13] يحيى ولي فتاح حيدر : **نظرية الشك بين استشراقية مرجليوت و استغرابية طه حسين** ، مجلة الآداب ، العدد 106 ، 2013 ، ص 169

[14] طه حسين – تقديم ساكح كريم : **في الشعر الجاهلي** ، الدار المصرية اللبنانية ، بدون طبعة ، 2012 ، ص29

[15] .يحيى الشامي : **من أعلام الفكر العربي طه حسين أديب وناقد** ، دار الفكر العربي، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1990

[16] عبد الرحمن بدوي : **موسوعة المستشرقين**، مرجع سبق ذكره ، ص 141

[17] أنور الجندي :**طه حسين حياته وفكره في ضوء الاسلام** ، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، بدون طبعة ، بدون تاريخ ، ص 33

إن اعتقاد "طه حسين" الراسخ بكون الغرب هو المنقذ و المنجد من أدران التخلف، جعله يرى بأن سبب تخلف مصر هو علاقتها بالأتراك، فلو أنها بقيت على صفاء فكر اليونان لحقق الشعب المصري تقدمه ! يقدم هذه الفكرة في أطروحته للدكتوراه التي قدمها سنة 1917م بجامعة السوربون تحت عنوان" :فلسفة ابن خلدون الاجتماعية " ، حيث يقول" : " إني أعتقد أنه يكاد يكون مؤكدا أن الترك العثمانيين لو لم يوقفوا سير الحركة العقلية في مصر مدة طويلة لكان الذهن المصري من تلقاء نفسه ملائما للأذهان الأوربية في الأعصر الحديثة،لاستطاع أن ينال– بل أن يقدم -قسطه من الرقي العام للحضارة .لكن سيادة الترك كانت عتبة كؤودا في سبيل التقدم .فنامت مصر بينما خطت أوربا خطوات كبيرة، ولم تستيقظ إلا بتأثير من الحملة البونابارتية المباركة، فنهضت واحتكت بالأوربيين الذين غدوا أساتذتها و إني أعتقد بمنتهى اليقين أن تأثير أوربا، وفي مقدمتها فرنسا، سيعيد إلى الذهن المصري كل قوته و خصبه الماضيين " . [18]

1 – 1 – 2 - نجيب العقيقي :

دافع " نجيب العقيقي " بشراسة عن المستشرقين ، و رد على كل اتهامات المفكرين العرب الذين وصفوا الاستشراق بأنه استعمار و تبشير و نشر للمسيحية ، و كان تركيزهم الأهم على الرهبان و القسس نظرا لحقدهم الدفين للإسلام فرد قائلا : " لو استهدف الرهبان الجدل و التبشير فحسب ، لاكتفوا بتعليم العربية و أهملوا ما عداها من اللغات التي قل أو انقرض المتكلمون بها كاليونانية القديمة ، العبرية و السريانية و الكلدانية ، و كلفوا أنفسهم إنشاء بواكير مكاتب الترجمة و المكتبات و المعاهد و المطابع و المجلات لحفظ تراثنا و نشر ذخائره و التصنيف فيه و ترجمته إلى لغات العالم بأسره . [19]

أثبت "نجيب العقيقي" أن القرون الوسطى لها دين مزدوج للعرب و المستشرقين لأن الأولين نقلوا التراث الإنساني ، و حافظوا عليه ، أضافوا لأن الآخرين أخذوا هذا التراث منهم و نقلوه إلى أوربا أضاءوا بذلك دياجير ظلامها ، فكل منهم على فضل عظيم . [20]

و "العقيقي" من العلماء المؤيدين للدراسات الاستشراقية ، إذ نجده يشيد بالدور الذي قام به المستشرقون في مجال التحقيق و النشر و الحفظ ، و أدى به ذلك إلى تأليف كتاب عنونه ب " المستشرقون " في عدة أجزاء ، موسوعة في التراث العربي مع تراجم المستشرقين و دراستهم منذ ألف عام حتى اليوم و أورد أهم المدارس الاستشراقية و الكراسي و المجلات و المطابع ... اله ، وأبرز أهم المستشرقين في كل فترة أو حقبة معينة ، و قد كان للنهضة الأوربية الحديثة ، التي كانت في القرن التاسع العشر

---

[18] عبد الله إبراهيم :**المطابقة و الاختلاف، بحث في نقد المركزيات الثقافية**، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت ، الطبعة الأولى 2004 ، ص 479

[19] أحمد سمايلوفيتش : **فلسفة الاستشراق** ، دار وائل للطباعة و النشر ، الطبعة الأولى ، 2007 ، ص 690

[20] نفس المرجع السابق ، ص 689

الميلادي دور أوربا في جعل عقول العلماء الغربيين للاهتمام بتراث العرب ، فنفضوه و كشفوا عن مختلف علومه ، إذ تعددت ميول و اتجاهات المستشرقين بالاهتمام بالتراث العربي الإسلامي و الأدبي منه خاصة سواء سلبا أو إيجابا ، فأغنى التراث و فتح فيه باب الاجتهاد و الحوار ، و لا نستطيع نكران فضل المستشرقين على اللغة العربية و آدابها ، و لا على التاريخ الإسلامي ، فكشفوا عن كنوز هذه اللغة و عن هذا التراث الفخم من أدب العرب و علومهم ، و حتى في مجال الثقافة و الفكر ، سواء شعرا أو نثرا ، إضافة إلى ترجمة القرآن الذي كان له الحظ الأوفر في هذه الدراسات الاستشراقية ، باعتباره أساس الإسلام و مصدر تشريع المسلمين .

يشير "العقيقي" إلى أهمية بيان جهود المستشرقين و عدم التنكر لهم حتى و إن كان لنا بعض المآخذ على ما نشروه ، فيقول : " فإن نحن طوينا هذا الجهد تنكرنا للأمانة العلمية في البحث عن الحقيقة الموضوعية – مع أن نشره لا يتضمن الموافقة عليه و الرضا عنه جميعه - فكأننا نأبى أن يكون تراثنا جزءا لا يتجزأ من الحضارة الإنسانية التي هي ملك لنا كما هي ملك لهم ، و إن طي نشاطهم يبعث على الريبة و سوء الظن و القطيعة ، في حين أن الحضارة الإنسانية لا تقوم لها قائمة إلا على التعاون في نشر ذخائر كل أمة في العلوم و الفنون و الآداب على تنوعها و أوجه الشبه و الاختلاف فيها ، تعاونا يقصر المسافات النفسية بينها .

و يذكر أهمية إبراز جهود المستشرقين في كتابه بقوله : " أما و قد شغلوا بتراثنا كشفا و جمعا و تحقيقا و تصنيفا منذ ألف سنة في جميع البلدان و بشتى اللغات ، فلا أقل من أن نشكر لهم فضلهم على العربية بالعربية ، و نذيعه في كتاب – و إن لم يكن في مثل دقة كتبهم و عمقها و شمولها و جدتها – هو : المستشرقون . [21]

و يمتدح " العقيقي " جهود المستشرقين في دراسة الأدب العربي قائلا : " فتناولوا تراثنا بالكشف و الجمع و الصون و التقويم و الفهرسة ، و لم يقفوا منها عندها ، فيموت بين جدران المكتبات و المتاحف و الجمعيات ، و إنما عمدوا إلى درسه و تحقيقه و نشره و ترجمته و التصنيف فيه : في منشئه و تأثره و تطوره و أقره و موازنته بغيره ، واقفين عليه مواهبهم و مناهجهم و ميزاتهم مصطنعين لنشره المعاهد و المطابع و المجلات و دوائر المعارف و المؤتمرات ، حتى بلغوا فيه منذ مئات السنين و في شتى البلدان و في بسائر اللغات مبلغا عظيما من العمق و الشمول و الطرافة و أصبح جزءا لا ينفصل عن تراثنا ، و لا تؤرخ الحضارة الإنسانية إلا به " . [22]

---

[21] محمد بن سعيد عبد الله السرحاني : **الموقف العربي من الاستشراق – دراسة تحليلية** ، مجلة البحوث العلمية و الدراسات الإسلامية ، المجلد 12 ، العدد 01 ، 2020 ، ص 96

[22] نجيب العقيقي : **المستشرقون ، ج 01** ، مرجع سبق ذكره ، ص 07

إذن يعتبر "نجيب العقيقي" من أول المفكرين العرب الذين كتبوا عن الاستشراق ، فكتابه كان له صيت واسع جاب كل أنحاء العالم ، يعتبر كتابه " المستشرقون " بحق موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين و دراساتهم منذ ألف عام حتى اليوم ، و موسوعته هذه ذات قيمة كبرى تعد من أعظم ما ظهر في مجال الأدب العربي على الإطلاق .[23]

1 – 1 – 3 - بنت الشاطئ :

تثني بنت الشاطئ على أعمال المستشرقين في نشر المخطوطات فتقول : " نقابل صنيع من اشتغلوا منا بنشر المخطوطات ، منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين بصنيع المستشرقين فتروعنا المقابلة ، فأمانتهم في نقل النص يقابلها عندنا عبث بالنصوص يتناولها بالحذف و الإضافة و التغيير ... و دقتهم في مقابلة النسخ الخطية للنص و التماس الأصالة فيها و التثبت من صحة نسبها يقابلها عندنا إغفال لذكر النسخة المنقول عنها أو إخراج طبعات ملفقة مرقعة تنسب إلى المؤلف القديم دون أن يتصل به نسبها ، و بدا واضحا أن أكثر القوم هنا لم يقصدوا إلى شيء من النشر العلمي ، و لا عناهم أن ينقلوا على أنفسهم ببعض أعبائه و تبعاته ، و لا أن يضبطوا أقلامهم بشيء من نظمه و مناهجه ، إنما أخذوا النشر وسيلة ارتزاق فحسب .

و هنا يظهر في موقف بنت الشاطئ مقدار المبالغة في الثناء على جهود المستشرقين العلمية و منهجهم العلمي ، فأمانتهم و دقتهم يقابلها ضدها من الصفات في وصف جهود العرب و المسلمين في هذا المجال ، و مع اتفاقنا مع الباحثة في الثناء العام على جهود المستشرقين و أسبقيتهم في هذا الباب ، و لكننا لا نتفق معها في عبارات المبالغة ، سواء في المدح أو القدح الذي ورد في عباراتها .

و يسجل لها موقف آخر تسجل تنبه فيه إلى المزالق المنهجية في الدراسات الاستشراقية إذ تقول : " و قد حدثتكم من قبل عما ندين لهم به من إنقاذهم لتراثنا المضيع و دأبهم على جمعه و تحقيقه ، و أشرت إلى دقة منهجهم في النشر بما يكفي لإنصافهم ، و بقي أن ألفت إلى ما يلقانا في دراسات كثير منهم من التواء الأساليب في توجيه العبارات و اضطراب مناهجهم في سوق الأخبار و اعتسافهم في تأويل النصوص لتعطي نتائج خطرة محرفة تمس عقيدتنا و تشوه تاريخنا و تؤيد مزاعم بعينها مما يروجه أعداء الإسلام و العرب و الشرق .

1 – 1 – 4 -زكي مبارك :

يرى زكي مبارك أن نفع المستشرقين أكثر من ضرهم ، فيقول : " إن خصوم الإسلام من المستشرقين خدموا الإسلام بخصومتهم أجل الخدمات ، فقد عمدوا إلى القرآن و الحديث فطبعوا كل ما يتصل بهما من جيد المؤلفات و فهرسوها و بوبوها و رتبوها ترتيبا تعجز عنه مشيخة الأزهر الشريف .[24]

---

[23] محمد بن سعيد عبد الله السرحاني : **الموقف العربي من الاستشراق – دراسة تحليلية** ، مرجع سبق ذكره ، ص 123 ، 124

[24] نفس المرجع السابق ، ص 100 ، 101

1 – 2 - الموقف العربي الرافض للدراسات الاستشراقية :

1 – 2 – 1 - "أنور الجندي" :

يكشف "أنور الجندي" عن حقيقة مهمّة، وهي أنّ الحضارة الغربيّة تقوم في أيديولوجيّتها على الاستعمار والسلب الحضاري، فهي حضارة عدائيّة لا تقوم على القيم والمبادئ والإخاء الإنساني. لذا يقول " الجندي" : " إن الحضارة الغربيّة ارتبطت ارتباطًا وثيقًا وعضويًّا بالاستعمار، والتوسّع والفتح والسيطرة على المناطق المختلفة في آسيا وأفريقيا، ذلك أنّ هذه الحضارة نمت في قارة أوروبا، وهي قارة لا تملك جميع وسائل الصناعة التي هي دعامة الحضارة، ومن هنا كان اندفاعها للسيطرة على العالم التماسًا للخامات التي هي أدوات الصناعة " . [25]و العرب قبل الإسلام حضارة وثقافة وأدبا وتقاليد وعادات وأساطير ومعتقدات ، بخلاف من يقول أنه لم يكن للعرب حضارة و أنه "لم يكونوا أمة ولا شيئا مذكورا إلا بالإسلام." [26]

و يعتبر "الجندي "الاستشراق من أبرز أدوات التغريب و الغزو الثقافي ، و الذي يراه يرمي إلى استكشاف قوى المسلمين للعمل على ضربها ، كما يراه أيضا يرمي إلى إثارة الشبهات حول القيم الأساسية التي يقوم عليها وجود المسلمين ، فالهدف الحقيقي للاستشراق في نظره ليس العلم و إنما التعرف على مقدرات العالم الإسلامي من قوى نفسية و اجتماعية للعمل على هدمها لأنها تحول دون تمكين النفوذ الأجنبي . [27]

و قد وضع "الجندي" تصوّرًا مبسّطًا ومختصرًا للاستشراق بقوله: "استخدام العلم في خدمة السياسة ومن هنا فقد كانت مادّته مصدرًا مؤثّرًا وهامًّا لمؤسّسات التبشير تستعملها في دعم خططها، فقد عمد رجال الاستشراق في خدمة هيئتين أساسيّتين هما: وزارة المستعمرات، والكنيسة الغربيّة. وعليه يكون الاستشراق المقوّم الأساسي للتبشير فهو مادّته ومصدره، التي تغذي حركته، وتدعم مخطّطاته" . ويعزّز "أنور الجندي" هذا الترابط بالتحوّل الذي طرأ على خطّة الاستشراق، فيشير إلى أنّ المستشرقين هم في الحقيقة مبشّرون، تخفّوا في لباس الاستشراق، خلعوا لباس الكنيسة وارتدوا لباس العلم، ليتمكّنوا من خداع المجتمعات عن هويّتهم الأصليّة، وكانت ترتكز دعوتهم على بشريّة الإسلام، والقول بأنّه دين ملفّق من الديانتين اليهوديّة والمسيحيّة. ووضّح "الجندي" في هذا السياق دور الاستشراق حيث يقوم على وضع المادّة العلميّة المنقّحة على ضوء المقاييس الغربيّة في سبيل تثبيت وجودهم في تلك البلاد وإخضاع هذه المجتمعات للفكر الوافد نحو القوميّة والاشتراكيّة ليتعمّق الصراع بينهم ويستمر. ومن هنا يؤكّد "الجندي" مدى التناسق بين قوى التبشير والاستشراق، فيذكر أوجه التركيز والاختصاص

---

[25] أنور الجندي: **عالمية الإسلام**، دار المعارف، القاهرة، 1979

[26] - . 1ينظر : أنور الجندي ، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي – دمشق المكتب الإسلامي 1978 – م -ص19

[27] أنور الجندي : **أهداف التغريب في العالم الإسلامي** ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ، 1998 ، ص 33

لكلّ منهما، فقد اتجهت مؤسّسة التبشير إلى المدرسة والجامعة عن طريق الإرساليّات، بينما اتجه الاستشراق إلى الصحافة والثقافة عن طريق الكتاب والصحيفة، وكانت مؤسّسة الاستشراق مصدرًا للشبهات والأكاذيب، أمّا دور التبشير فهو حمل هذه الشبهات إلى عقل الشباب عن طريق مناهج الدراسة.[28] ثمّ بعد عرض الجندي لبعض شبهات المستشرقين والردّ عليها، يعرض لموازين ومقاييس البحث لدى المستشرقين في الحكم على القضايا، ويذكر بعضًا من هذه المقاييس والموازين، ولعلّ من أهمها أوّلًا: وضع أهداف علميّة ثمّ تصيّد الأدلّة، ولا يعنيهم أن تكون هذه الأدلّة صحيحة أو مستمدّة من مصادر مبعثرة. ثانيًا: اعتماد مصادر غير علميّة وتجاهل المصادر الصحيحة والاستدلال بالروايات الواهية وإغفال الروايات القويّة الصحيحة. ولعلّنا نشير في هذا السياق إلى أنّ الواقع يؤكّد ما ذهب إليه "أنور الجندي"؛ فقد سارت أعمال المستشرقين في دائرة الانحراف في منهج العمل التاريخي، وقادهم إلى مغالطات تاريخيّة في أثناء عرضهم للأحداث التاريخيّة وغيرها. ورغم هذه الانتقادات من جانب "أنور الجندي" لآراء المستشرقين في بعض القضايا، إلّا أنّه لا ينكر بعض الإيجابيّات التي قدّمها المستشرقون لاسيّما في مجال التبويب والفهرسة لكتب الأحاديث والتراجم، إلّا أنّه مع ذلك يأخذ على إيجابيّتهم أمرين: الأوّل سرقة التراث الإسلامي بأساليب متنوّعة، الأمر الثاني أنّه عند انتقاله إلى دائرة المستشرقين أصبح من أخطر التحدّيات التي تواجه المسلمين؛ لأنّه أصبح حجّة على المسلمين لا لهم. لذا يرى "الجندي" أنّ نظرتهم لكثير من القضايا تعبّر عن رؤيتهم فقط، وهي تخضع لثلاثة اعتبارات:[29]

نظرتهم للإسلام على أنّه دين لاهوتي محض كالمسيحيّة في حين أن الإسلام دين وحياة. وتأثّرهم بوجهة نظر السياسة الاستعماريّة وخضوعهم لها، وقصور إفهامهم عن إدراك حقيقة الفكر الإسلامي وطبيعته التي تربط بين الثابت والمتغيّر.

ولقد تصدّى "الجندي" لتلك الدراسات الاستشراقيّة وبيّن عُوارها، ذلك أنّه اعتبر تلك التأويلات والتصوّرات الغربيّة دخيلة على الإسلام.

إنّ كتابات "أنور الجندي" تتّجه إلى كشف مخطّطات المستشرقين أكثر من الردّ عليهم ومناقشاتهم، وهذا منهج مضطرد عنده، فتارة يتحدّث في فصل مستقلّ عن مخطّطات الاستشراق، كما فعل في كتابه "التبشير والاستشراق" والدعوات الهدّامة، وفي أحيان كثيرة يشير إلى مخطّطاتهم في ثنايا حديثه عن الاستشراق.

وفي سبيل كشف مخطّطات الاستشراق أشار "الجندي" إلى محاولات المنهج العلمي الغربي الوافد في سبيل مواجهة اللغة العربيّة، وذكر أنّ لهذا المنهج الوافد ثلاث محاولات في سبيل تحقيق ذلك: أوّلًا:

---

[28] عماد إبراهيم عبد الرزاق : **المنهج الإصلاحي و كشف زيف المستشرقين عند أنور الجندي** ، مجلة دراسات استشراقية ، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية ، العدد 29 ، 2022 ، ص 10 - 12

[29] أنور الجندي : **الفصحى لغة القرآن** ، دار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت – لبنان ، بدون طبعة ، 1982 ، ص 139

إعلاء شان الترجمة من اللغات الأجنبيّة، وتدريس اللغتين اليونانيّة واللاتينيّة. ثانيًا إعلاء شأن العاميات. ثالثًا:دراسة اللهجات بأسلوب لغات أخرى. ولعلّ من أخطر أعمال الاستشراق العمل على فرض السيطرة على الجامعات ومجامع اللغة ودوائر التعليم والثقافة. ومن أبرز المسائل التي تطرّق لها "أنور الجندي" في سبيل كشف زيف مخطّطات المستشرقين هي تسليط الضوء على تزييفهم للنصوص، فأشار إلى رأي الأستاذ "خوجة كمال الدين" في كتابه (المثل الأعلى في الأنبياء) حول أساليب المستشرقين في تحريف النصوص، والتي تبدأ بأن يشير أحدهم إلى فكرة ما من طرف خفي، ويليه آخر فيقرّر أنّ هذه الفكرة جائزة، ويأتي ثالث فيرفع هذا الحوار إلى مرتبة النظريّة، أمّا الرابع فيخلق من النظريّة حقيقة. وهكذا تتطوّر الفكرة أربعة أطوار أو خمسة إلى أن ينتهي بها المطاف لأن تصبح حقيقة مقرّرة. ولقد ضرب "الجندي" مثالًا على هذا التزييف بمحاولة المستشرق "هاملتون جب" تحريفه لكلام "شاه ولي الله الدهلوي" في كتابه (حجّة الله) فبتر "جب" نصّ" الدهلوي" من سياقه ليحاول أن يستشهد على ما ذهب إليه من انقطاع الصلة بين محمّد ودين إبراهيم عليهما السلام. ومن هنا يشير "الجندي" إلى أنّ تعصّب المستشرقين قادهم إلى أن يتّخذوا طريقًا محفوفًا بالمخاطر حيث تراهم يفرضون فرضًا يتّفق مع أهوائهم ثمّ يبحثون في القرآن أو الحديث أو الآثار المختلفة عن الأدلّة التي تؤيّد وجهة نظرهم. ويقصد "الجندي" هنا تزييفهم أو بترهم للنصوص والآثار. كما أنّنا نشير في هذا السياق إلى أنّ "الجندي" في كتابه "تصحيح المفاهيم" يرى أنّ هدف الاستشراق الحقيقي هو تعريف الغرب بنقاط القوّة في العالم الإسلامي والسعي لهدمها، ونقاط الضعف للتوسّع فيها والغاية النهائيّة هي توهين العلاقات بين المسلمين، والسعي لكسر شوكتهم. من هنا نرى أنّ "الجندي" بذل محاولات كبيرة وجهدًا عظيمًا في سبيل كشف زيف الاستشراق لدى المستشرقين، وفي سبيل الوقوف ضدّ محاولة هدم القيم الإسلاميّة، وأيضًا تركيزه على ربط الاستشراق بالتبشير والتنصير والاستعمار والعمل على كشف أساليب المستشرقين في تلك المجالات التي يرى ترابطًا بينها ووجود علاقات محوريّة. [30]يشير "أنور الجندي" في كتابه " خصائص الأدب العربي" أن للاستشراق أثر واضح في الأدب العربي يتمثل في توجيه الدارسين العرب و المسلمين في معاهد الغرب إلى اتخاذ مناهج الأدب الغربي أساسا للبحث و التماس أسلوب النقد من نظريات الأدب الأوربي ،و هذا ما تجلى فيما قام به كل من "أحمد ضيف" و" طه حسين" ممن درسوا في فرنسا ، أو "عبد الرحمان شكري" الذي درس في إنجلترا ، أو ما أخذه من اتصل بالمستشرقين خارج المعاهد ك "أمين الخولي" ، أو من نقلوا هذه المذاهب كالمازني و العقاد . [31] و يقول في كتابه " الفصحى لغة القرآن " : " إذا كان الاستشراق عدو اللغة العربية أساسا لا يرتبط من هدف باستبقاء النفوذ

[30] نفس المرجع السابق ، ص 15 - 17

[31] أنور الجندي : **خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث** ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ـ الطبعة الثانية ، 1985 ص 235

الاستعماري ، فإن المستشرقين من ناحية أخرى يعجزون عن فهم البيان العربي و هم يخطئون في فهم البلاغة العربية " .[32]

و كان في رأي "أنور الجندي" أن النفوذ الاستعماري هو الذي فرض لغة المحتل ، و اعتبرت اللغة الأولى في المدارس و المعاهد التعليمية ، و أزيحت اللغة العربية أساسا ، ثم جاءت الخطوة الثانية مباشرة ، و هي الدعوة إلى العامية و تشجيعها و الاهتمام بها و بثها في مختلف جوانب الحياة من حديث و كتابة و إذاعة و مسرحيات و قصص ، كما تقدم التبعيون بالدعوة إلى إنقاص اللغة الفصحى و محاولة وصفها بالتعقيد و وصف العامية باليسر ، كما يرى أن هناك غاية خفية هي الباعث على خدمات المستشرقين للغة العربية ، تلك الغاية معروفة أيضا لمن يفهمون من أهل الشرق، فليس بغريب إذن أن نقول أن اهتمام المستشرقين باللغة العربية كان يراد به التمهيد للحملات الاستعمارية .[33] كما يذكر أنه نقلت إلى الأدب العربي و أقحمت فيه أساليب النقاد الفرنسيين مثل "سانت بيف" ، و" فرديناند برونتيير" ، و" إيبوليت تين" من الأدب الفرنسي ، كما نقلت أساليب النقاد الإنجليز من أمثال "وليام هازلت" و "ماكولي" من الأدب الإنجليزي ، و يكشف "الجندي" عن الخلفيات النظرية و المعرفية للمناهج النقدية التي تم إقحامها في دراسة الأدب العربي ، و يرى أنها خاضعة في أصولها إلى نظريات التطور ل"داروين ، و التحليل النفسي ل "فرويد ، و التفسير المادي للتاريخ ل "ماركس" و العلوم الاجتماعية ل "ذوركايم" و" ليفي بريل ، و هي في نظره مادية تقوم على مفهوم أن الإنسان خاضع للبيئة و العصر و أنه مجبور و ليست له إرادة ، و أنه حيوان مادي يخضع للجنس . و يريد الجندي من خلال وقوفه على خلفيات النظريات النقدية الغربية التي كان لها أثر في الأدب العربي ، أن يبين مدى استيعابه لبنية الفكر الغربي و كشف نقاط الخلل فيها ، و التي يراها لا تتناسب مع البنية الفكرية للمجتمع العربي الذي له خصوصيته الثقافية ، كما أنه يجعل من نقد الاستشراق مدخلا لفهم عقلية الغرب و فكره و من ثم نقد.[34]

1 – 2 – 2 - "مالك بن نبي" :

يعتبر المفكر العربي " مالك بن نبي " من أكثر العلماء العرب الرافضين للاستشراق و الدراسات الاستشراقية ، و يعتبر أن الأساليب الماكرة التي استعملها الغرب لضرب بوادر الإرادة النهضوية في بلادنا تقوم أساسا على استثمار عنصر قابلية الشعوب الإسلامية للاستعمار ، و ذلك في ضوء المعطيات التي يوفرها له الرأسمال المعرفي الذي جمعه المستشرقون عن المسلمين ، فيعمد حالئذ إلى زيادة

---

[32] نفس المرجع السابق .

[33] عمراوي عبير : **الاستشراق من منظور أنور الجندي** ، كلية الآداب و اللغات ، قسم الآداب واللغة العربية تخصص نقد حديث و معاصر ،جامعة محمد خيضر ، بسكرة 2019 / 2020 ، ص 49

[34] مصطفى رافع : **أنور الجندي بين نقد الاستشراق ونقد المثاقفة الاستشراقية** ، مجلة قضايا الأدب ، المجلد الخامس ، العدد الثاني ، 2020 ، ص 265

منسوب التخدير عندهم ، و صرفهم عن النظر في مشاكلهم الكبرى الحارقة ، ليلتهوا بمشاكل ثانوية من قبيل انشغالهم – على نحو إيديولوجي – بقضية النزاع بين القديم و الجديد التي أفرزت استقطابا مرضيا في أوساطهم المثقفة بين المحافظين و دعاة التقدم . [35]

نبه" مالك بن نبي" لدهاء المستشرقين و حيلهم ، فقال إن مدح بعض المستشرقين لنا قد يكون له تأثير تخديري علينا مما جعلنا نغمض عيوننا مستسلمين لتلك الأحلام السعيدة التي تذكرنا بالعز الذي كان فنركن إلى ذلك و نعتمد على مجد آبائنا و أجدادنا ، و نظن بأننا عظماء لأن أجدادنا كانوا كذلك ، فنحن نغلق أجفاننا على صورة ساحرة حالمة لماض مترف ، و تحدث الصدمة بمجرد أن نستيقظ على مشهد الواقع القاسي ، من وجع و ألم و مجاعة و حرمان و فقر مدقع و بطالة و أوبئة و حكم شمولي و أمية ... و يعتقد أن المدح و التمجيد لماضينا هما من الوسائل التي شغلتنا عن أم مشكلاتنا ، و هو الأمر الذي آل بنا إلى الاهتمام بمشاكل وهمية و حلول وهمية ، و في أحسن الأحوال نقع في صراع داخلي بين الوافد و المحلي ، و بين الأصول و الفروع ، فيتقدم الآخر أين نتأخر نحن . [36]

هناك أسس نظرية اعتمدها المفكر الاسلامي "مالك بن نبي" لبيان موقفه من الاستشراق ومن المستشرقين ونتاجهم ، و من هذه الأسس تعريفه للمستشرقين بأنهم "الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية " ثم انه صنفهم إلى طبقات. هذه الطبقات اعتمدت الزمان وتصنيف آخر اعتمد فيه على موقفهم والاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين.

يقول "مالك بن نبي " : "ثم علينا أن نصنف أسماءهم في شبه ما يسمى "طبقات" على صنفين:

أ- من حيث الزمن: طبقة القدماء مثل "جربر دورييك" والقديس "توماس الاكويني" ، وطبقة المحدثين مثل "كاره دوقو" و "جولد تسهير".

ب- من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين وكتاباتهم: فهناك الطبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها". ويبدو أن هذا التصنيف الذي وضعه "مالك بن نبي" يراه ضرورياً لإقامة أي دراسة حول الاستشراق فيقول: "هكذا وعلى الترتيب يجب أن تقوم كل دراسة شاملة لموضوع الاستشراق" ، ثم يستثني من بحثه المستشرقين القدماء باعتبارهم أثروا أو ربما لا يزالون يؤثرون على مجرى الأفكار في العالم الغربي دون أيما تأثير على أفكارنا نحن معشر المسلمين. إن ما كتبوا كان قطعاً المحور الذي تحركت حوله الأفكار التي نشأت عنها حركة النهضة في أوربا، بينما لا

---

[35] خالدي مزاتي : **موقف مالك بن نبي من إنتاج المستشرقين : نحو وعي نهضوي جديد** ، مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية و الإنسانية المعمقة جامعة الجلفة ، العدد السابع ، مارس 2020 ، ص 228

[36] الساسي بن محمد الضيفاوي : **الرد على الاستشراق في الفكر العربي المعاصر : مالك بن نبي أنموذجا** ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث ، ص 04

نرى لهم أي أثر فيما نسميه النهضة الإسلامية اليوم. فلنترك قضيتهم جانباً لمن تهمه دراسة التاريخ العام.

ثم يستثني صنفاً آخر من المستشرقين (المنتقدين على الحضارة الإسلامية من المحدثين حتى لو كان لهم بعض الأثر في تحريك أقلامنا أو كان لهم بعض الصيت في زمنهم وبلدانهم مثل "الاب لاماتس"، إنهم لا يدخلون في موضوع بحثنا لأن إنتاجهم على فرض انه مس ثقافتنا إلى حد ما، إلا انه لم يحرك ولم يوجه بصورة شاملة مجموعة أفكارنا، لما كان في نفوسنا من استعداد لمواجهة أثره تلقائياً،مواجهة تدخلت فيها عوامل الدفاع الفطرية عن الكيان الثقافي، كما وقع ذلك في العهد الذي نشر فيه "طه حسين" كتابه "في الشعر الجاهلي" على غرار ما تقتضيه مسلمة قدمها المستشرق "مرجليوث" قبل سنة من صدور كتاب "طه حسين" الذي أثار تلك الزوبعة من السخط التي تخللتها الصواعق المنطلقة من قلم "مصطفى صادق الرافعي" -رحمه الله -. ويبدو أنه لم يبقَ من طبقات المستشرقين الذين سوف يتناولهم "مالك بن نبي" بالبحث سوى المادحين حيث يقول: "ولكننا على عكس ذلك نجد للمستشرقين المادحين الأثر الملموس الذي يمكننا تصوره بقدر ما ندرك أنه لم يجد في نفوسنا أي استعداد لرد الفعل حيث لم يكن هناك في بادئ الأمر مبرر للدفاع الذي فَقَدَ جدواه وكأنما أصبح جهازه معطلاً لهذا السبب في نفوسنا " ، ثم يبين "مالك بن نبي" هؤلاء المادحين وإن كانوا قد أدهشونا بما اكتشفوه في تراثنا إلا أنهم كانوا يعملون كل ذلك لصالح مجتمعاتهم الغربية أولاً فيقول: "ولاشك أن المستشرقين المادحين مثل "رينو" الذي ترجم جغرافية أبي الفداء في أواسط القرن الماضي ومثل "دوزي" الذي بعث قلمه قرون الأنوار العربية في اسبانيا ومثل" سيدييو" الذي جاهد جهاد الأبطال طول حياته من أجل أن يحقق للفلكي والمهندس العربي "أبي الوفاء" لقب المكتشف لما يسمى في علم الهيئة "القاعدة الثانية لحركة القمر" ومثل "أسين بلاثيوس" الذي كشف عن المصادر العربية للكوميدية الالهية. لاشك أن هؤلاء العلماء كتبوا النصرة الحقيقية العلمية وللتاريخ، وكل ذلك من أجل مجتمعهم الغربي.

وبالرغم من أنهم كتبوا من أجل مجتمعهم الغربي ، ولكنا نجد أن أفكارهم كان لها وقع أكبر في المجتمع الإسلامي في طبقاته المثقفة. إن الجيل المسلم الذي انتسب إليه يدين إلى هؤلاء المستشرقين الغربيين بالوسيلة التي كانت بين يديه لمواجهة مركب النقص الذي اعترى الضمير الإسلامي أأام الحضارة الغربية، لكن هل كان الأثر في الفكر الإسلامي محموداً فقط ؟ يقول "مالك بن نبي ": " إن هذه الوسيلة لم تقتصر نتائجها على الأثر المحمود في تطور أفكارنا وثقافتنا، بل كان لها اثر مرضي هو الذي نريد طرحه". إذن هذا الأثر الذي يطرحه "مالك بن نبي" هو بمثابة مرض ينخر في جسد المجتمع الإسلامي يقول : "فلكي نتصور هذا الأثر على صورته الحقيقية في مجتمعنا الإسلامي، يجب أن نعيد هذا النوع من الاستشراق إلى مصادره التاريخية. إن أوربا اكتشفت الفكر الإسلامي في مرحلتين من تاريخها فكانت في مرحلة القرون الوسطى، قبل وبعد "توماس الاكويني"، تريد اكتشاف هذا الفكر وترجمته من

أجل إثراء ثقافتها بالطريقة التي أتاحت لها فعلاً تلك الخطوات الموفقة التي هدتها إلى حركة النهضة منذ أواخر القرن الخامس عشر. ثم المرحلة الثانية التي يتحدث عنها "مالك بن نبي " ، وهي المرحلة العصرية الاستعمارية فإنها تكشف الفكر الإسلامي مرة أخرى لا من اجل تعديل ثقافي بل من أجل تعديل سياسي، لوضع خططها السياسية مطابقة لما تقتضيه الأوضاع في البلاد الإسلامية من ناحية، ولتسيير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه هذه السياسات في البلاد الإسلامية لتسيطر على الشعوب الخاضعة فيها لسلطانها وربما انطبقت هذه المجهودات العلمية في نفس أصحابها على مجرد الاعتراف بفضل تلك الشعوب وبمساهمتها في تكوين الرصيد الحضاري الإنساني، ولاشك أن المستشرق "سيديو" والعلامة "غسطاف لوبون" يتسمان في إنتاجهما بميزة العلم الخالص و الاجتهاد المخلص للحقيقة العلمية.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الفكر الإسلامي في هذه المرحلة لم ينقل من أفواه الأساتذة مباشرة ومن كتبهم المعاصرة ، بل أصبح أشبه شيء بعلم الآثار يكتشفه الباحثون الأوربيون بحكم الصدفة ويصدقون أولاً في نقله، ثم ينسبونه لأصحابه من العلماء المسلمين، أو ينسبونه لأنفسهم أو لأحد الأوربيين، فهكذا كانت اكتشافات كبرى تنسب لغير أصحابها، مثل دورة الدم الصغرى للانجليزي "وليم هرفي ، بينما كان صاحبها الطبيب المسلم "ابن النفيس" يعيش قبله بأربعة قرون. وكان العالم الإسلامي في هذه المرحلة كما يقول "مالك بن نبي" يعاني الصدمة التي أصابته بها الثقافة الغربية ويعاني بسببها على وجه الخصوص أثرين:مواجهة مركب نقص محسوس من ناحية، ومحاولة التغلب عليه من ناحية أخرى حتى بالوسائل التافهة .وهكذا كان أثر الصدمة أن جعلت الفكر الإسلامي ينحاز إلى معسكرين أحدهما يدعو لتمثل الفنون والعلوم و الأشياء الغربية – حتى اللباس – والآخر يحاول التغلب على مركب النقص بتناول حقنة اعتزاز يعلل بها النفس. ولا يخفى ما لهذا التيار من أثر حسن على المجتمع الإسلامي ولنوع الأدب الذي نتج عنه من حفاظ على الشخصية الإسلامية على الأقل. [37]

و من الأقوال التي تركها "مالك بن نبي" في الاستشراق و المستشرقين :

قوله : " الذي يعرضه المستشرقون في مناهجهم ذات الطابع العلمي كما يزعمون ، فهو يرغب بعض المثقفين في تبنيها بكل حماسة و قوة ، و غاية هذا الهوى السياسي و الديني هو في هدم الأصول و الثوابت التي بنيت عليها الثقافة الإسلامية ، و الشك في المصادر الأساسية لهذه الثقافة " . [38]

و قوله : " الجماعة التي تغير دائما خصائصها الاجتماعية بإنتاج وسائل التغيير ، مع علمها بالهدف الذي تسعى إليه من وراء هذا التغيير " . [39]

---

[37] ياسين حسين الويسي : **مالك بن نبي وموقفه من الاستشراق والمستشرقين (كتابه إنتاج المستشرقين أنموذجاً)** https://binbadis.net/archives/6380

[38] مالك بن نبي : - ترجمة عبد الصبور شاهين : **الظاهرة القرآنية** ، دار الفكر ، دمشق ، بدون طبعة ، 1985 ، ص 22

[39] مالك بن نبي – ترجمة عبد الصبور شاهين : **ميلاد مجتمع** ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ، 1974 ، ص 15

و قوله : " عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه لا لتمسكهم به كما يزعم الزاعمون " . [40]

و قوله : " فلو تناولنا جهاز الراديو مثلا لرأينا فيه مجهودات علمية و فنية مختلفة ، دون أن يخطر ببالنا الأفكار المسيحية في بنائه ، بينما هو في الواقع أثر من آثار تلك العلاقات الاجتماعية التي وجدت جهودا مختلفة لهرتز الألماني ، و بوبوف الروسي ، و برانلي الفرنسي ، و ماركوني الإيطالي ، و فليمن الأمريكي ، فكان الراديو نتيجة هذه الجهود جميعا " . [41]

و بهذا نخلص إلى أن " مالك بن نبي " لم يكن ذاتيا في حكمه على مؤلفات المستشرين ، و الدليل على ذلك أنه أشاد بكثير منها ، و التي تميز أصحابها بالصدق و الموضوعية و الحيادية في البحث ، و لم ينكر إلا تلك البحوث ذات الخلفية الإيديولوجية و الاستعمارية (نقصد هنا استعمار الفكر) ، و دعى الباحثين العرب و المسلمين إلى إحلال المنهج القرآني بدلا من المنهج الديكارتي الذي يكرس الأفكار الاستشراقية بكرهها الدفين للإسلام و المسلمين ، فحسبه القرآن هو أساس الحضارة و التطور . [42]

1 – 2 – 3 - إدوارد سعيد :

يستكشف "إدوارد سعيد" تلك الصورة التي ابتدعها الغرب عن الشرق ، و بين أن الخطاب الاستشراقي ليس مجرد فرع علمي حيادي – كما يزعم البعض - ، بل تخترقه علاقات القوة و السلطة ، فعملية فبركة صورة شرقية في المخيال الغربي ليست ببريئة و لا موضوعية ، و لا يمكن نقد العمل الاستشراقي في مجمله كمادة علمية تقتضي الدراسة و التمحيص من أجل تهذيب ـ تنظيم ترتيب ، أو تبويب معطياتها على غرار سائر المعارف ، و لكن هذا التخصص يلزم الناقد التزود من معطيات خاصة تمكنه من الخوض في هذا الشأن ، و ينطلق "إدوارد سعيد" من الفكرة القائلة بهيمنة الخطاب الامبريالي في موضوع الاستشراق ،و ليس هذا فحسب ، و لكن هناك بروز واضح لنبرة الخطاب الاستشراقي الذي يرى نفسه وصيا على الشرق دون اعتراض أو حاجة لاستشارة هذا الشرق ، بل يدعي أن الشرق هو طلب الوصاية المزعومة منه – أي الغرب – بعد أن أصبح مفهوم سلطة الغرب على الشرق مسلما به باعتباره يتمتع بمكانة الحقيقة العلمية . [43]

وبالتالي فالاستشراق في نظر" ادوارد سعيد" لم يعد عبارة عن مؤسسة ترتبط بأوربا في تكمن في عصرها البرجوازي، بل تجاوز ذلك إلى أن أصبح عبارة عن استراتيجية كونه دليلا على السيطرة

---

[40] مالك بن نبي – ترجمة بسام بركة و أحمد شعبو : **مشكلة الأفكار** ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ، 1988 ، ص 76

[41] مالك بن نبي – ترجمة عبد الصبور شاهين : **مشكلة الثقافة** ، دار الراية للنشر و التوزيع ، تونس ، بدون تاريخ ، ص 113

[42] مالك بن نبي : **إنتاج المستشرقين** ، مرجع سبق ذكره ، 28

[43] صلاح الدين بن قلوعة : **حضور الاستشراق في خطاب السلطة عند إدوارد سعيد** ، مجلة الموروث ، المجلد 08 ، العدد 01 ، ، 2020 ، ص 135

الأوربية الأمريكية على الشرق، أكثر من كونه خطابا صادقا حول الشرق، فقد أنشأه من أنشأه واستثمر فيه من استثمر فيه.... إلى حد اعتبار الاستشراق مذهبا معرفيا عن الشرق، بل وتحوله إلى مصدر حقيقي للإنتاج والكسب، إلى تكاثر الأقوال والأفكار التي تتسرب من الاستشراق إلى الثقافة ، فمنذ بدايات القرن الثامن العشر، وكتجسيد لما قاله "ادوارد سعيد"، كانت عامة بالجهل، و إن كانت نظرة الأوربي للثقافة الشرقية وخاصة الإسلامية منها تتسم مركبا من عناصر عديدة، فلقد كانت تتجمع حول فكرة الشرق دائما فيما يبدو بعض المعاني التي تتداعى إلى الذهن حين يذكر الشرق، دون أن تبلغ حد الجهل تماما أو حد العلم تماما ، فقد أصبح الشرق منذ أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر عبارة عن مكتبة أو أرشيف يعود إليه القارئ كلما أراد دراسة الشرق ومعرفته، ويضرب لنا "إدوارد سعيد "مثالا على هذا التجسيد بالمكتبة التي وضعها" بارتيميلي دربيليو" بعنوان " bibliothèque orientalisme" وقدم لها المترجم المعروف" أنطوان جولان" الذي قام بترجمة كتاب ألف ليلة وليلة ترجمة **" بيبليوتاك أورياناتاليزم "**، وفي نظرنا نحن هذه الترجمة ما هي في الأخير إلا سعي من قبل "جولان" على إثبات تلك الصفات التي ارتبطت بالشرقي (شهواني، لا عقلاني، شاذ، بليد ...) نظرا لما تحتويه تلك القصص من أمور غير أخلاقية تخرج عن ما أتى به الدين الإسلامي الحنيف. فالذي يفعله المستشرق هو السعي لتأكيد صورة الشرقي في ذهن الغربي ظنا منه أنه يفعل هذا على حد تعبير" إدوارد سعيد "من أجل نفسه ومن أجل ثقافته بل وفي بعض الأحيان من أجل المستشرق أيضا، وهذا ما تجلى في خطاب "بلفور" في مصر من أجل ممارسة الحكم الاستعماري على بلاد الشرق بقوله : " المصريين فقط، و إن كنا هناك من أجلهم، فنحن هناك أيضا من أجل أوربا كلها ينحصر في تمثيل الشرق تمثيلا أشد اكتمالا " ، وهو عينه ما فعله" دربيليو" ، والمادة التي كانت مجموعة فضفاضة من الحقائق المكتسبة بصورة عشوائية عن التاريخ المنسوب بغموض إلى بلدان الشام، والصور الشعرية في الكتاب المقدس، والثقافة الإسلامية، وأسماء الأماكن وما إلى ذلك .[44]

و قد لاقت كتابات "إدوارد سعيد" حول الاستشراق - و التي رصد من خلالها ملامح الخطاب الاستشراق في مصنفه الشهير في الحدود الفرنسية والبريطانية -[45] رواجا واسعا و صدى كبيرا ، و خلفت مؤلفاته نقاشات أكاديمية هائلة ، و ردود أفعال واسعة بما تميزت به من عمق فكري و تأصيل علمي منهجي و ما احتوته من بيان حقيقة الاستشراق و كننه و منطلقاته ، و علاقته بالاستعمار، ووصفه لواقع الاستشراق بأنه أسلوب للهيمنة على الشرق ، يقوم على إدعاء فوقية الغربي مقابل دونية الشرقي و عجز

[44] نور الدين جويني : **الاستشراق وصراع القراءات :إدوارد سعيد والماركسيون العرب** ، مجلة آفاق علمية ، المجلد 10 ، العدد 01 ، 2018 ، ص 42 ، 43

[45] خالد اليعبودي : **تاريخ الأندلس في مرآة الاستشراق الإسباني بين العلمية والضدية الموضوعية والنرجسية** ، مجلة الإنسان و المجتمع العدد 02 ، ديسمبر 2011 ، ص 112

الشرقي على تمثيل نفسه ، مما حذا بالغربي إلى تمثيله و فرض السيطرة عليه ، فكانت الدراسات الاستشراقية تبريرا للاستعمار الغربي لبلاد المسلمين ، كما بين "إدوارد سعيد" في كثير من كتبه .

و قد برز موقف "إدوار سعيد" من الحركة الاستشراقية جليا من خلال عدد من كتبه ، و التي بين فيها العلاقة بين الشرق و الغرب، و يأتي في مقدمتها في هذا المجال كتابه " الاستشراق " ، و الذي لاقا انتشارا و ردود فعل كبيرة و نقاشات فكرية واسعة ، بدأ فيه بتحديد مفهوم الاستشراق بأنه : " أسلوب من الفكر ، قائم على تمييز وجودي و معرفي بين الشرق و الغرب ، و هو أيضا أسلوب غربي للسيطرة على الشرق و استبنائه و امتلاك السيادة عليه . [46]

و حول مواجهة الاستشراق "يشير إدوارد سعيد "إلى أهمية إنشاء مؤسسات و مراكز لدراسة الغرب تقارع مراكز الدراسات الاستشراقية في الغرب ، دون الانزلاق إلى استغراب معكوس يشابه مناهج المستشرقين ، و في ذلك يقول : " إنها لصدمة موقظة أن نجد على سبيل المثال أنه فيما توجد عشرات من المنظمات لدراسة الشرق العربي و الإسلامي في الولايات المتحدة ، فليس ثمة مؤسسة واحدة في الشرق لدراسة الولايات المتحدة ، و هي أعظم المؤثرات الاقتصادية و السياسية إطلاقا في المنطقة " .

لقد تميز نقد "إدوارد سعيد" للاستشراق بصدوره من المنابع نفسها التي أحدثها المستشرقون ، و منطلقا من معرفة واضحة بمناهجهم و منطلقاتهم و خلفياتهم ، و بلغتهم ، بل تعدى ذلك إلى استخدام لغة أدبية عالية التأثير و الإقناع ، و ببلاغة خطابية متميزة . [47]

و ما لاقته أطروحة سعيد من تأييد و ثناء ، فقد ووجهت بالعديد من الدراسات النقدية فيما كتبه "رودنسون" و "برنارد ليوس" ، بل و حتى من عدد من الذين أغاظهم نقد سعيد لاستشراق "ماركس" أمثال "عزيز العظمة "، و "صادق جلال العظم" ، و" عبد الله العروي "، و "غسان سلامة" و "مهدي عامل" . [48]

إذن يمكننا القول أن "إدوارد سعيد" قد كشف عن الاستشراق ، و بين لنا وجهه الحقيقي ، و أبرز أدواته و آلياته ، و طرقه القديمة و الحديثة ، و فضح جانبه التعسفي المهيمن ، و كشف عن ترابط القوة و المعرفة في علاقة الشرق و تحكمها بالخيال الذي أنتج هذا الشرق مكونا وجاهزا ، للغرب أولا و للشرق ذاته ، فالاستشراق في نظره يعكس طريقة تناول الغرب للشرق أو العالم العربي الإسلامي ماضيا و حاضرا . [49]

---

[46] محمد بن سعيد عبد الله السرحاني : **الموقف العربي من الاستشراق – دراسة تحليلية** ، مرجع سبق ذكره ، ص 110

[47] نفس المرجع السابق ، ص 111

[48] نديم الجندي : **أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر عند إدوارد سعيد** ، دار الفارابي للنشر و التوزيع ، ص 100

[49] محمد بسناسي : **آراء العلماء العرب في الاستشراق** ، مرجع سبق ذكره ، ص 99

1 – 2 – 4 - محمود محمد شاكر :

هو من أشد المواجهات الفكرية المعاصرة ، إذ يكشف في كتاباته لنا خطورة الغزو الفكري و ما كان يستهدف الاستشراق و التبشير و الاستعمار و ما كان بينهم ، فهو دافع عن الأمة العربية الإسلامية و قد دافع عن اللغة العربية ، و عن معضلة الدعوى إلى العامة و تاريخها ، فهو يبين لنا و إن كان منطلق هؤلاء المستعمرين و المبشرين و المستشرقين في الاستنباط مخالفا للعقل تمام ، و من أجل كل هذا يجب علينا مواجهتهم جميعا دون خفاء و يلا استثناء .[50]

خلاصة :

إن الكثير من الآراء حول الاستشراق و المستشرقين كانت متمخضة عن رفض بالمطلق ، رفض تحكمه العاطفة أكثر ما يحكمه الفكر الناقد الموضوعي ، و بالتالي نحن مدعوون كباحثين عرب إلى تغليب العلمية في الحكم على الدراسات الاستشراقية بغية الاستفادة من تراث المستشرقين و دحض كل ما يمكنه الإساءة إلى هويتنا و كياننا تمام مثلما دعى إليه المفكر العربي من " مالك بني " .

[50] نفس المرجع السابق ، ص 91

خاتمة :

و بهذا نكون قد أحطنا بمفهوم الاستشراق و سلطنا الضوء على عديد الدراسات الاستشراقية في حقل الأدب العربي القديم آملين أن يجد الطلبة الأعزاء ما يحتاجونه فعلا و ما يسد حاجتهم من معلومات و إن كانت هذه الأخيرة دائما موجهة للإضافة و التعديل .

و في الختام نأمل أن تسهم هذه المطبوعة البيداغوجية و لو بالشيء اليسير في إثراء الرصيد المعرفي حول المادة المدرسة ، و أن تنور فكر طلبتنا و تنمي فيهم روح النقد و التحليل .

قائمة المراجع :

أولا : المعاجم :

1 - ابن منظور : **لسان العرب** ، المجلد الخامس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى 2005.

2 - ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، مكتبة الخانجي للطباعة و النشر و التوزيع ، بدون بلد النشر الطبعة الأولى ، 1998 .

3 - إبراهيم مصطفى و آخرون – ترجمة مجمع اللغة العربية ، ج 01 : **المعجم الوسيط** ، دار الدعوة بدون طبعة ، بدون تاريخ .

4 - الموسوعة العربية العالمية ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع ، الرياض ، الطبعة الثانية ، 1999 .

5 - فيشر : **المعجم اللغوي التاريخي**، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، بدون طبعة 1967 .

6 - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي : **القاموس المحيط** مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، الطبعة الثامنة ، 2005 .

ثانيا : المراجع باللغة العربية :

7 - ابن سلام الجمحي: **طبقات الشعراء** ، دار المدني ،جدة ،1974 بدون طبعة ، .

8 - إبراهيم أبو الخشب : **تاريخ الأدب العربي في العصر الحاضر** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1987 .

9 - المبروك المنصوري: **الدّراسات الدّينيّة المعاصرة من المركزيّة الغربيّة إلى النّسبيّة الثّقافيّة: الاستشراق، القرآن، الهويّة والقيم الدّينيّة**، الدّار المتوسّطيّة للنّشر، تونس ، 2010 .

10 - أحمد غراب **: رؤية إسلامية للإستشراق** ، المنتدى الإسلامي ،لندن ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ .

11 - أبو زيد، أحمد: **الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية** ، سلسلة كتاب دعوة الحق ، العدد 145، محرم 1415هـ.

12 - أحمد سويلم: **ثقافتنا في مفترق الطرق**، مكتبة الشروق الدولية، مصر، الطبعة الأولى، 2004 .

13 - إسماعيل علي محمد : **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل** ، دار الكلمة ، القاهرة ، الطبعة السادسة 2014 .

14 - أحمد سمايلوفتش : **فلسفة الاستشراق وآثارها في الأدب العربي المعاصر** ، دار الفكر العربي ،الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1991 .

15 - أحمد سمايلوفيتش : **فلسفة الاستشراق و أثرها على في الأدب العربي المعاصر** ، دار الفكر العربي ، مصر ، الطبعة الثالثة ، 1973 .

16 - آرثر ربري - ترجمة الدسوقي النويهي : **المستشرقون البريطانيون** مطبعة وليام كولتر ، لندن بدون طبعة 1946 .

17- الجندي :أنور: **الإسلام في وجه التغريب،** :دار الاعتصام، ، القاهرة ، بدون طبعة ، 1970 .

18 - إدوارد سعيد – ترجمة كمال أبو ديب : **الاستشراق – المعرفة – السلطة** ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت– الطبعة الخامسة 2003.

19 - إدوارد سعيد – ترجمة محمد عناني : **الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق** ، رؤية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2006 .

20 - الطيب بن إبراهيم : **الاستشراق الفرنسي و تعدد مهامه خاصة في الجزائر** ، دار المنابع الجزائر ، بدون طبعة ، 2004.

21 – الزيادي د .محمد فتح الله : **ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منها،** المنشأة العامة للنشر و التوزيع و الإعلان ، طرابلس ، 1984 .

22 - أنور الجندي :**طه حسين حياته وفكره في ضوء الاسلام** ، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، بدون طبعة ، بدون تاريخ .

23 - أحمد درويش : **الاستشراق الفرنسي و الأدب العربي** ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع القاهرة ، بدون طبعة ، 2004 .

24 - أحمد حسن الزيات : **تاريخ الأدب العربي** ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، بدون بلد النشر ، بدون طبعة ، 1990 .

25 - أحمد درويش : **الاستشراق الفرنسي و الأدب العربي** ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع القاهرة ، بدون طبعة ، 2004 .

26 - أحمد سمايلوفيتش : **فلسفة الاستشراق** ، دار وائل للطباعة و النشر ، الطبعة الأولى ، 2007 .

27 - أنور الجندي: **عالمية الإسلام،** دار المعارف، القاهرة، 1979.

الركيبي عبد الله : **القصة الجزائرية القصيرة** ، م.و.ك ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 1983 .

28 - بن نعمان أحمد : **التعريب بين المبدأ و التطبيق** ، ش.و.ن.ت ، الجزائر ، الطبعة الأولى 1981.

29 - أنور الجندي : **شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي** ، دمشق المكتب - الإسلامي 1978 .

30 - أنور الجندي : **أهداف التغريب في العالم الإسلامي** ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ، 1998 .

31 - أنور الجندي : **خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث** ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ـ الطبعة الثانية ، 1985 .

32 - أنور الجندي : **الفصحى لغة القرآن** ، دار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت – لبنان ، بدون طبعة ، 1982 .

33 - بسام بركة وآخرون : **هوية في الوطن العربي**، إشكاليات التعريب و المصطلح ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان،الطبعة الأولى .

34 - تركي بن خالد الظفيري : **الاستشراق عند إدوارد سعيد رؤية إسلامية** ، مركز التأصيل للدراسات و البحوث ،المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية ، 2015 .

35 - رودي بارت- ترجمة مصطفى ماهر : **الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية - المستشرقون الألمان منذ تيودور(نولدكه** المركز القومي للترجمة ، مصر، 2011 .

36 - زقزوق محمود حمدي: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، سلسلة آتاب الأمة الكويت،1404ه الطبعة الأولى .

37- جوتهلف برجستراسر – ترجمة محمد حمدي البكري : **أصول نقد النصوص و نشر الكتب** ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، بدون طبعة ، 1995 .

حنا الفاخوري : **تاريخ الأدب العربي** ، المكتبة البولسية ، لبنان ، الطبعة 12 ، 1987 .

38 - حنا الفاخوري: **الجامع في الأدب في تاريخ الأدب العربي** ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، 1986 .

39 - حسن الواد : **ريجيس بلاشير** ، المركز الثقافي للكتاب ، الدار البيضاء – المغرب ، الطبعة الأولى ، 2019 .

40 - خالد نعيم الشناوي **فقه اللغات العروبية و خصائص العربية** ، دار و مكتبة البصائر للطباعة و النشر ، بيروت ، الطبعة الأولى 2013 .

41 - رجيس بلاشير: **تاريخ الأدب العربي ، ج 01** ، دار الفكر ، دمشق ، بدون طبعة ، بدون تاريخ .

42 - ريجيس بلاشير - ترجمة إبراهيم كيلاني: **تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي** ، دار الفكر دمشق ، بدون طبعة ، بدون تاريخ .

43 - زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا ، الطبعة الخامسة ، 1999 .

44 - سالم يفوت : **حفريات الاستشراق في نقد العقل الاستشراقي** ، المركز الثقافي العربي ، بيروت الطبعة الأولى ، 1986 .

45 - سعيد عبد الرحمان الأعظمي و آخرون : **الإسلام و المستشرقون** .

46 - سعد الدين السيد صالح : **إحذروا الأساليب الجديدة في مواجهة الإسلام** ، الوكالة الوطنية للنشر و الإشهار ، الجزائر ، بدون طبعة ، 1990 .

47 - ساسي سالم الحاج :**نقد الخطاب الاستشراقي - الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية** ، دار المدار الإسلامي، بنغازي – ليبيا ، الطبعة الأولى ، 2002 .

48 - سعيد عبد الفتاح عاشور : **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية** ، معهد الدراسات الإسلامية القاهرة ، بدون طبعة .

49 - شاخت وبوزورث- ترجمةد .محمد زهير مهوري : **تراث الإسلام ج** ، سلسلة عالم المعرفة، الطبعة الثانية ، 1988.

50 - صالح بلعيد : **في الأمن اللغوي** ، دار هومة للنشر و الطباعة و التوزيع ، الجزائر ، بدون طبعة 2010 .

51 - صلاح الدين المنجد : **المنتقى من دراسات المستشرقين** ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ، بدون طبعة ، 1955 .

52 - صلاح الدين المنجد :**المنتقى من دراسات مختلفة في الثقافة العربية** ،ج -1 ، دار الكتاب الجديد بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1976.

53 - صالح حمد حسن الأشرف : **الاستشراق مفهومه و آثاره** ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1437-1438ه .

54 - طه حسين : **في الشعر الجاهلي** ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الرابعة ، 1927 .

55-طه حسين – تقديم ساكح كريم : **في الشعر الجاهلي** ، الدار المصرية اللبنانية ، بدون طبعة 2012

56 - عبد الوهاب حمّودة: **من زلاّت المستشرقين**، مجلّة رسالة الإسلام، دار التّقريب بين المذاهب الإسلاميّة ، القاهرة ، 1958 .

57 - عمر الدسوقي : **في الأدب الحديث (ج 01)** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، الطبعة الثامنة 1966 .

58 - عمار قرفي للطباعة والنشر ، الجزائر، بدون طبعة ، بدون تاريخ

59 - عبد الغني أحمد زيتوني : **الإنسان في الشعر الجاهلي** ، مركز زايد للتراث و التاريخ ، الإمارات العربية المتحدة ، الطيعة الأولى ، 2001 .

60 - عبد الحميد صالح حمدان: **طبقات المستشرقين** ، مكتبة مدبولي،الطبعة الأولى ، 1995 .

61 - علي بن ابراهيم النملة :**مسارات الاستشراق من الالتفات إلى الالتفاف**، بيسان للنشر و التوزيع بيروت ، الطبعة الأولى ،2016 .

62 - عبد الله إبراهيم :**المطابقة و الاختلاف، بحث في نقد المركزيات الثقافية**، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2004 .

63 - عيسى الشماس : **مدخل إلى علم الإنسان – الأنثروبولوجيا –** منشورات إتحاد الكتاب العرب دمشق ، بدون طبعة ، 2004 .

64 - عمر فروخ: **تاريخ الأدب العربي (ج 01)** ، دار العلم للملايين ،بيروت،لبنان ، الطبعة الرابعة 1981.

65 - عاصم حمدان : **دراسة مقارنة بين الأدبين العربي و الغربي** ، نادي المدينة المنورة الأدبي المدينة المنورة ، بدون طبعة ، 1997 .

66 - عبد الجبار الرفاعي : **ماهية الاستشراق وميلاده** .

67 - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني **: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها :التبشير –الاستشراق – الاستعمار :دراسة وتحليل وتوجيه،** دار القلم، دمشق ، الطبعة السابعة ، دمشق ،1994 .

68 - عفاف صبره: **المستشرقون ومشكلات الحضارة،** دار النهضة العربية، مصر 1985 .

69 - عبد المنعم فؤاد : **من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام** ، مكتبة العبيكان ،الرياض ، الطبعة الأولى ، 2001 .

70 - عامر رشيد مبيض: **موسوعة الثقافة السياسية الاجتماعية الاقتصادية العسكرية، مصطلحات ومفاهيم،** دار المعارف، سوريا ، بدون طبعة 2000.

71 –عبد المتعال الجيري : **الاستشراق وجه الاستعمار الفكري** ، مطبعة المدني ، القاهرة الطبعة الأولى ، 1995

72 - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: **أجنحة المكر الثلاثة،** دار القلم - دمشق الطبعة الثامنة 2000 .

73 - عبد القهار داود العاني : **الاستشراق والدراسات الاسلامية** ، دار الفرقان ، عمان ، بدون طبعة ، 2001.

74 - عبد اللطيف الحميد : **سقوط الدولة العثمانية : دراسة تاريخية في العوامل والأسباب** ، مكتبة العبيكان، الرياض ، 1401 ه .

75 - علي إبراهيم نملة : **الالتفاف على الاستشراق،** مكتبة عبد العزيز العامة ، الرياض ، 2007 .

76 - علي إبراهيم النملة : **إسهامات التراث العربي الإسلامي،** مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض الطّبعة الأولى ، 1996

77 - عبد المنعم محمد حسنين: **الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته** الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، - العدد الثاني ، 1977 .

78 - علي محمد آرد: **الاسلام والحضارة الغربية،** مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة الطبعة الثالثة ، بدون تاريخ .

79 - علي محمد كرد : **الإسلام و الحضارة الغربية** ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة .

80 - عماري فضيلة : **تجليات المقاربة التاريخية للخطاب الأدبي القديم في الجزائر** ، مجلة فصل الخطاب .

81 - عبد الرحمان بدوي : **،دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي** ، ،دار العلم للملايين ،بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ،1979.

82 - عبد المنعم السيد أحمد جدامي : **المستشرقون والتراث النحوي العربي،** دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، بدون بلد النشر ، الطبعة الأولى ، 2016 .

83 - غنيمي هلال : **الرومانيكية** ، دار العودة ، بيروت ، 1973 .

84 - فتحي يكن: **العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري** ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1983 .

85 - فاروق خورشيد: **عالم الآدب الشعبي العجيب،** دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى ، 1991 .

86 - كارل بروكلمان – ترجمة عبد الحليم النجار : **تاريخ الأدب العري ، ج 01** ، دار المعارف القاهرة ، الطبعة الخامسة .

87- كارلوني و فيللو - ترجمة جورج سعد يونس: **تطور النقد الأدبي في العصر الحديث** ، دار مكتبة الحياة للطباعة و النشر ، لبنان ، بدون تاريخ .

88 - محمد أبو زهرة : **ابن حزم حياته وعصره- آراءه وفقهه،** ج1، دار الفكر العربي، القاهرة ، بدون طبعة ، 1978 .

89 - مجموعة من المستشرقين – ترجمة عبد الرحمان بدوي : **دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي** ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1979 .

90 - مكسيم رودنسون و آخرون : **الاستشراق بين دعاته ومعارضيه** ،دار الساقي ، الطبعة الأولى 1994 .

91 - مرتاض عبد الملك : **نهضة الأدب العربي في الجزائر (1925 – 1954)** ، ش.و.ن.ت الجزائر ، الطبعة الثانية ،1983 .

92 - محمد أبو زهرة : **تاريخ المذاهب الإسلامية** ج2، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون طبعة 1946.

93 - محمد عبد الفتاح عليان : **أضواء على الاستشراق** ، دار البحوث العلمية ، الكويت، بدون طبعة 1980

94 - محمد مصطفى بن الحاج : **عالمية اللغة العربية** ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ تونس المجلد 10 ، العدد 19 ، 1990 .

95 - محمود المقداد: **تاريخ الدراسات العربية في فرنسا** ، سلسلة عالم المعرفة، 1992.

96 - مانع بن حماد الجهني : **الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب و الأحزاب المعاصرة** ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، دار الندزة ، الطبعة الرابعة ، 1420 ه.

97 - مالك بن نبي: **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث،** ، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1969 .

98 -مالك بن نبي – ترجمة عمر كامل سقاوي و عبد الصبور شاهين : **مشكلات الحضارة** ، دار الفكر ، سوريا ، 2009.

99 - محمد فتح الله الزيادي : **ظاهرة انتشار الإسلام و موقف المستشرقين منها** ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس – ليبيا ، بدون طبعة ، 1983 .

100 - محمد صالح البنداق: **نحو ترجمات للقرآن الكريم-** دار الآفاق الجديدة ، أغسطس 2011

101 - محمد محمد حسين : **الإسلام و الحضارة الغربية** ، دار الإرشاد ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1969 .

102 - محمد الغزالي : **دفاع عن العقيدة و الشريعة ضد مطاعن المسرفين** ، دار السلام للنشر و التوزيع ، الطبعة الخامسة ، بدون تاريخ .

103 - محمد الأسعد : **مستشرقون في علم الآثار** ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، بدون طبعة 2010 .

104 - محمود محمد شاكر: **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة بدون طبعة 1997 .

105 - مصطفى بن حسني السباعي : **الاستشراق و المستشرقون ما لهم و ما عليهم** ، دار الوراق – المكتب الإسلامي ، بدون طبعة ، 1384 ه .

106 - مصطفى السباعي **:الاستشراق والمستشرقون" ما لهم وما عليهم** .

107 - محمد فاروق النبهان: **الاستشراق :تعريفه، مدارسه آثاره،** منشورات المنظمة الإسلاميّة للتّربيّة والعلوم والثقافة، الرباط ، الطبعة الأولى ، 2007.

108 - محمد غنيمي : **الأدب المقارن** ، دار العودة و دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى 1987 .

109 - محمود مقداد: **تاريخ الدراسات العربية في فرنسا**، المجلس الوطني للثقافة.و الفنون، الكويت .

110 - مالك بن نبي : - ترجمة عبد الصبور شاهين : **الظاهرة القرآنية** ، دار الفكر ، دمشق ، بدون طبعة ، .

111 - مالك بن نبي – ترجمة عبد الصبور شاهين : **ميلاد مجتمع** ، دار الفكر ، الطبعة الثانية 1974 .

112 - مالك بن نبي – ترجمة بسام بركة و أحمد شعبو : **مشكلة الأفكار** ، دار الفكر ، الطبعة الأولى 1988 .

113 - مالك بن نبي – ترجمة عبد الصبور شاهين : **مشكلة الثقافة** ، دار الراية للنشر و التوزيع تونس ، بدون تاريخ .

114 - نديم الجندي : **أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر عند إدوارد سعيد** ، دار الفارابي للنشر و التوزيع .

115 - نجيب العقيقي : **المستشرقون**، دار المعارف ، القاهرة، بدون طبعة ، 1965. نديم البيطار : **حدود الهوية القومية – نقد عام** – بيروت ، دار الوحدة 1982 م.

116 - يوهان فوك – ترجمة عمر لطفي العالم : **تاريخ حركة الاستشراق – الدراسات العربية الإسلامية في أوربا حتى بداية القرن العشرين** ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، الطبعة الثانية ، 2001.

117 - يوهان فوك – ترجمة عمر لطفي العالم : **تاريخ حركة الاستشراق – الدراسات العربية و الإسلامية في أوربا حتى بداية القرن العشرين** ، دار المدار الإسلامي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ، 2001 .

118 - يحيى الشامي : **من أعلام الفكر العربي طه حسين أديب وناقد** ، دار الفكر العربي، بيروت الطبعة الأولى ، 1990.

ثالثا : المراجع باللغة الفرنسية :

119 - Gaston Wiet **: Introduction à la littérature arabe** , édition GP maisonneuvre et larose , Paris .

120 - Gustave Lanson : **Essais de méthode de critique de l'histoire littéraire** .

رابعا :المجلات العلمية :

121 - الساسي بن محمد الضيفاوي : **الرد على الاستشراق في الفكر العربي المعاصر : مالك بن نبي أنموذجا** ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث

122 - أبو العيد دودو : **كاربير والأ دَب العربي** .

123 - أحمد كاس : **إسهامات المستشرقين في التأليف المعجمي** ، مجلة تاريخ العلوم ، العدد الرابع .

124 - آدم أديبايو سراج الدين : **مناهج المستشرقين في الدراسات العربية للإسلامية : الرؤى و الآفاق** ، دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية ، المجلد 03 ، العدد 07 ، جويلية 2018 .

125 - أنس الصنهاجي : **القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية الفرنسية : مناولة بلاشير نموذجا** مجلة دراسات استشراقية ، المركز الأسلامي للدراسات 126 - الاستراتيجية ، العدد 08 ، صيف 2016

إشكالات ، المركز الجامعي تامنغست – الجزائر ، العدد 02 ، ماي 2013 .

127 - بلقاسم دكدوك : **المستشرقون و الأدب العربي القديم . ما لهم و ما عليهم.**

128 - بن يحيى محمد و مبارك عبد القادر : **قراءات استشراقية في أدب ابن شهيد الأندلسي** ، مجلة جسور المعرفة ، المجلد 07 ، العدد 02 ، 2021

129 -بومدين جلالي : **إرهاصات المقارنة في التراث العربي القديم** ، مجلة متون ، جامعة سعيدة – الجزائر ، العدد 01 ، 2008 .

130 - بونقاب مختار : **الطريقة العلاوية في الكتابات الاستشراقية الفرنسية** ، مجلة الطريقة العلوية العدد 02 .

131 - بن لباد الغالي : **الاستشراق نقطة اتصال الشمال والجنوب** ، مجلة الإنسان و المجتمع ، العدد 02 ، ديسمبر 2011 .

132 - جميلة روقاب : **جهود المستشرقين في صناعة المعاجم** العربية، مجلة التواصلية ، العدد 11 .

133 - حبيب بوزوادة: **القراءة الاستشراقية للموروث الأدبي بين الموضوعية والإجحاف** ،مجلة جدور، العدد37، جدة ،2014

134 - جميلة روقاب : **جهود المستشرقين في صناعة المعاجم** العربية، مجلة التواصلية ، العدد 11 .

135 - جمال سايحي و الطيب بودربالة : **أثر الدراسات الثقافية الغربية في النقد العربي المعاصر- دراسة تحليلية تأصيلية** ، مجلة الإحياء ،المجلد 19 ، العدد 23 ، ديسمبر 2019 .

136 - حسن ضياء الدين عنتر : **الاستشراق : نشأته وأهدافه** ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، مكة المكرمة ، 1401ه .

137 - حمداد بن عبد الله : موقف الحركة الاستشراقية من تاريخ النحو العربي و نقدها .

138 - رمضان حينوني : **الأدب العربي القديم في كتابات المستشرقين الفرنسيين: (أندري ميكيل) و(شارل بيلا) نموذجين .**

139 - خالدي مزاتي : **موقف مالك بن نبي من إنتاج المستشرقين : نحو وعي نهضوي جديد** ، مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية و الإنسانية المعمقة ، جامعة الجلفة ، العدد السابع ، مارس 2020 .

140 - خالد زيغمي : **الاستشراق ومنهج القراءة للتراث الأدبي، الخلفيات الفلسفية والنظرية تاريخ الأدب العربي نموذجا-** ، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 13 ، العدد 01 ، | 2021 القسم(ج)الآداب و الفلسفة .

141 - رشدي ضيف و عمر عيلان : **مكانة الشعر الجاهلي عند بعض المستشرقين** ، مجلة إشكالات في اللغة والأدب ، المجلد 09 ، العدد 04 ، 2020 .

142 - خشاب الصادق : **الاستشراق والإسلام من خلال شخصية كرستيان سنوك هورخرونيه** مجلة الإنسان و المجتمع ، العدد 02 ، ديسمبر 2011 .

143 - خالد اليعبودي : **تاريخ الأندلس في مرآة الاستشراق الإسباني بين العلمية والضدية الموضوعية والنرجسية** ، مجلة الإنسان و المجتمع ، العدد 02 ، ديسمبر 2011 .

144 - شكري النجار: **لم الاهتمام بالاستشراق** ، مجلة الفكر العربي، العدد31 ، 1983 .

145 - سعيد عبيدي : **جمع القرآن و تدوينه بعيون استشراقية . عرض و نقد** ، مجلة دراسات استشراقية ، المركز الإسلامي للدراسات الاستشراقية ، العدد 26 ، 2021 .

146 - سليم عواريب : **المعجم اللغوي التاريخي من منظور أوجست فيشر وعلم اللغة الحديث** ، مجلة القارئ للدراسات الأدبية و النقدية و اللغوية ، جامعة الوادي – الجزائر ، العدد 04 ، جوان 2020 .

147 - سلوى عثمان أحمد : **اللغة و الأدب الشعبي** ، مجلة الكلم ، جامعة وهران – الجزائر ، العدد الرابع ، ديسمبر 2017 .

148 - سالم بوتدارة : **الفكر الصوفي الجزائري من منظور الكتابات الإستشراقية الفرنسية** ، مجلّة الواحات للبحوث و الدراسات المجلد 14 العدد3 ، 2021.

149 - سيف الدين شاعة و أحمد دهلي : **جهود المدرسة الاستشراقية الألمانية في دراسة اللغة العربية -دراسة مقارنة** ، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية –جامعة برج بوعريريج – الجزائر ، المجلد 20 :العدد – 20 :جانفي 2022 .

150 - شريف حتيتة الصافي : **الظاهرة الاستشراقية و الأدب العربي الحديث " من نقد الإنجاز إلى نقد الخطاب "** ، مركز نماء للبحوث و الدراسات .

151 - شاكر عالم شوق : **الاستشراق : أخطر تحد للإسلام** ، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ ، المجلد 03 ، ديسمبر 2006 .

152 - صلاح الدين بن قلوعة : **حضور الاستشراق في خطاب السلطة عند إدوارد سعيد** ، مجلة الموروث ، المجلد 08 ، العدد 01 ، ، 2020 .

153 - طارق تركي : **تداخل الأجناس الأدبية بين القديم و الحديث** ، ص 22

154 - عبد القادر بن عزة : **الاستشراق مصنع إمداد فكري لمواد الغزو الثقافي** ، مجلة الإنسان و المجتمع ، العدد 02 ، ديسمبر 2011 .

155 - عبد الحليم ريوقي : **(ماهية الاستشراق : النشأة المناهج و الأهداف ، الأصناف و الوسائل)** مجلة الإنسان و المجتمع ، جامعة تلمسان ، العدد 02 ، ديسمبر 2011 .

156 - عقيلة حسين : **الاستشراق حقل معرفي تعريفي بالإسلام ودعوي في بلاد الغرب الوجه الآخر للاستشراق** ، مجلة الإنسان و المجتمع ، العدد 02 ، ديسمبر 2011 .

157 - عبير أحمد فاضل الثقفي : **لمحة عن الحركة الاستشراقية و وسائلها و أهدافها** ، حولية كلية الدراسات الاسلامية و العربية للبنات ، الاسكندرية ، المجلد الأول ، العدد الخامس .

158 - عماد إبراهيم عبد الرزاق : **المنهج الإصلاحي و كشف زيف المستشرقين عند أنور الجندي** مجلة دراسات استشراقية ، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية ، العدد 29 ، 2022 .

159 - عثمان بالفقيه : **جن الشعراء – نقد الرؤية الاستشراقية و نقضها** ، مجلة رؤى في الآداب و العلوم الإنسانية .

160- علي زعل الخمايسة : **الجهود الاستشراقية في الكشف عن آثار اللغة العربية** ، مجلة علوم اللغة العربية و آدابها ، العدد 13 ، الجزء 01 ، جانفي 2018 .

161 - عبد القادر شبوني : **الشعرية في منظور النقد العربي القديم** ، مجلة مقابسات في اللغة و الأدب ، المجلد 02 ، العدد 02 ، ديسمبر 2020 .

162 - عمرو زاير : **منهج الشك عند طه حسين و مرجعياته** ، مجلة التواصلية ، العدد 11 .

163 - علي قاسم محمد الخرابشة : **أثر المناهج النقدية في دراسات طه حسين النقدية** ، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ، العدد 16 ، 2012 .

164 - عبد اللطيف حني : **منهج المستشرقين في حفظ و تحقيق المخطوطات العربية – المستشرق جوتهلف برجستراسر أنموذجا .**

165 - عبد الحليم ريوقي : **ماهية الاستشراق (النشأة – المناهج و الأهداف – الأصناف و الوسائل)** ، مجلة الإنسان و المجتمع ، العدد 02 ، ديسمبر 2011 .

166 - عبد الحليم ريوقي : **ماهية الاستشراق)النشأة -المناهج والأهداف -الأصناف والوسائل** مجلة الإنسان و المجتمع ، العدد 02 ، ديسمبر 2011 .

167 - فتيحة سريدي : **المستشرقون و دراسة الأدب العربي** ، مجلة التواصل الأدبي ، جامعة عنابة – الجزائر ، العدد 01 ، جوان 2007 .

168 - فالح بن محمد بن فالح الصغيّر : **الاستشراق و موقفه من السنة النبوية** ، 2012.

169 - مرزوق العمري : **موقف الإستشراق من أصالة الفلسفة الإسلامية** ، مجلة الإنسان و المجتمع العدد 02 ، ديسمبر 2011 .

170 - كريم بن سعيد **: نقد منهج الرواية الشفوية عند بلاشير** ، مجلة لغة كلام ، المجلد 06 ، العدد 01 ، 2020 .

171 - مقتدر حمدان عبد المجيد : **موقف المستشرقين من الرسول صلى الله عليه و اله وسلم غوستاف لوبون إنموذجا** ،حوليات كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد .

172 - محمد بن سعيد السرحاني : **تاريخ و نهاية الاستشراق** ، مجلة الحضارة الإسلامية ، المجلد 22 العدد 01 ، جوان 2021 .

173 - محمد أحمد شهاب و شيماء عبد الرحيم صالح : **السمات الفنية للمعلقات في دراسات المستشرقين بناء القصيدة مثالا** ، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل العدد 37 ، شباط 2018 .

174 - مفتاح بن هدية و محمد لمين هيشور : **المعيقات الميتودولوجية للبحث الأنثروبولوجي في الدراسات العربية** ، مجلة أبحاث ، المجلد 06 ، العدد 02 ، 2021 .

175 - مجاهدي زوليخة : **ملامح الأنثروبولوجية الاجتماعية والدينية في أدب الرحلة – رحلة ابن جبير نموذجا** ، مجلة أنثروبولوجيا الأديان ، المجلد 06 ، العدد 02 ، 2020 .

176 - محمد بن سعيد عبد الله السرحاني : **الموقف العربي من الاستشراق – دراسة تحليلية** ، مجلة البحوث العلمية و الدراسات الإسلامية ، المجلد 12 ، العدد 01 ، 2020 .

177 - محمد عيساوي : **التأثيرات الاستشراقية في مسيرة اللغة العربية الفصحى بين الإنصاف و الإجحاف** ، مجلة تاريخ العلوم ، العدد 07 ، مارس 2017

178 - محمد بسناسي : **الدراسة الاستشراقيّة بين الأمس واليوم** ، مجلة دراسات استشراقية ، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، العدد 09 ، 2016 .

179 - محمد فوزي المهاجر : **دور الاستشراق في صياغة موقف الكنيسة من الإسلام االمجمع الفاتيكاني الثاني أنموذجا**

180 - محمد عوني عبد الرؤوف : **جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة** المجلس الأعلى الثقافي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2004 .

181 - محمد فتح الله الزيادي : **الاستشراق أهدافه ووسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون** ، دار قتيبة ، 2002 .

182 - محمد عيساوي : **إسهامات المفكر عبد الرحمان بدوي في نقد الآراء الاستشراقية حول تاريخ السيرة النبوية"قضايا ونماذج في ضوء موسوعة المستشرقين مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية ، المجلد 05 ، العدد 01 ،**

183 - محمد عيساوي : **قراءة في الظاهرة الاستشراقية – تحديد الماهية و الأهداف و الوسائل ،** مجلة أنسنة للبحوث و الدراسات، المجلد 07 ، العدد 01 ، جوان 2016 .

184- رمضان حينوني : **الأدب العربي القديم في كتابات المستشرقين الفرنسيين) : أندري ميكيل) و(شارل بيلا) نموذجين أستاذ محاضر بالمركز الجامعي لتامنغست / الجزائر**

185 - مسالتي محمد عبد البشير : **الأدب العربي و إشكالات التأويل عند المستشرقين بحث في مسارات تلقي الخطاب العربي في النقد الاستشراقي الفرنسي** ، مجلة دراسات استشراقية ، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، العدد 09 ، 2017/2016 .

186 - مسعود مكيد : **حقيقة الميول الاستشراقية عند كارل بروكلمان في دراسة الأدب العربي** .

187 - محمد زيوش : **الأدب بين عالمية القيّم الإنسانية و خصوصية القيّم الجمالية قراءة لمفهوم الأدب في الوعي النقدي العربي القديم** ، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية ،العدد 10 - جوان 2013 .

188 - فتح الله محمد : **تفاعل طه حسين مع الفكر الغربي – قراءة في ضوء التتلمذ و النقد** ، مجلة دراسات معاصرة ، جامعة تيسمسيلت ، المجلد 06 ، العدد 01 ، جوان 2022 .

189 - مبروك قادة : **المخيال و الأدب : إشكالية الانتماء للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية** مجلة إنسانيات ، مركز البحث في الأنتوبولوجيا الاجتماعية و الثقافية ، وهران – الجزائر ، العدد 09 ديسمبر 1999 .

190 - محمد فتح الله **: مجهودات جاك بيرك الاستشراقية دراسة في نظرته للعرب والمسلمين** الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية ، العدد 21 ، جانفي 2019 .

191 - مصطفى رافع : **أنور الجندي بين نقد الاستشراق ونقد المثاقفة الاستشراقية** ، مجلة قضايا الأدب ، المجلد الخامس ، العدد الثاني ، 2020 .

192 - محمد مكاكي : **صور من عناية الاستشراق المعاصر بالأدب العربي : الأدب النسوي أنموذجا** مجلة إشكالات ، المركز الجامعي تامنغست – الجزائر ، العدد الثاني ، ماي 2013 .

193 - ناجي شنوف : **الاستشراق وحوار الحضارات** ، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد الثامن، سبتمبر 2008 .

194 - نور الدين جويني : **الاستشراق وصراع القراءات :إدوارد سعيد والماركسيون العرب** ، مجلة آفاق علمية ، المجلد 10 ، العدد 01 ، 2018 .

195 - نرجس بخوش : **صناعة المعجم العربي عند الألماني فيشر** ، مجلة دراسات استشراقية المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، العدد 26 ، 2021 .

196 - نجلاء أحمد محمد المالكي. **قضية الانتحال في الشعر الجاهلي** ، جامعة عبد الملك عبد العزيز كلية الآداب و العلوم الإنسانية قسم اللغة العربية ، المملكة العربية السعودية ، 2019 .

197 - نوال قرين : **تلقي الفكر الاستشراقي عند طه حسي ن بين هيمنة الثقافة و سلطة المنهج** مجلة المدونة ، المجلد 07 ، العدد 02 ، ديسمبر 2020

198 - يحيى ولي فتاح حيدر : **نظرية الشك بين استشراقية مرجليوت و استغرابية طه حسين** ، مجلة الآداب ، العدد 106 ، 2013 .

خامسا : الأطروحات و الرسائل الجامعية :

199 - أحمد ستریاوان هریادي : **الاستشراق و أثره و تحديد الموقف اللائق به** ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، جامعة الأزهر الشريف .

200 - أكرم عبد الله محمد العوسجي : **دراسات المستشرقين للشعر الجاهلة (دراسة تحليلية نقدية)** رسالة دكتوراه في الأدب العربي – تخصص أدب جاهلي ، كلية الآداب ، الجامعة الإسلامية ، بغداد – العراق.

201 - أندلوسي محمد : **الترجمة الأدبية من العربية عند المستشرقين – المدرسة الفرنسية نموذجا** كلية الآداب و اللغات الأجنبية ، قسم اللغة و الأدب العربي ، جامعة تلمسان ، 2009 / 2010 .

202 - بن كلثوم عائشة : **أثر الاستشراق في النهضة الأدبية الحديثة " طه حسين أنموذجا "** ، قسم الأدب العربي ، كلية الأدب العربي و الفنون ، جامعة مستغانم ، 2016 / 2017 .

203 - بوزقاو مريم : **الاستشراق بين الرفض والقبول في الثقافة العربية** ، رسالة دكتوراه في الأدب العربي ، جامعة سيدي بلعباس ، 2019 /2020 .

204 - شنوفي بارودي : **الاستشراق الفرنسي و الأدب العربي القديم** ، رسالة دكتوراه في الأدب العربي ، جامعة سيدي بلعباس – الجزائر 2017 ، 2018 .

205 - عبد القادر بن حمو : **سند الحديث بين مناهج المحدثين و مواقف المستشرقين** ، كلية أصول الدين – الخروبة – 2008 /2009 .

206 - عمراوي عبير : **الاستشراق من منظور أنور الجندي** ، كلية الآداب و اللغات ، قسم الآداب واللغة العربية تخصص نقد حديث و معاصر ،جامعة محمد خيضر ، بسكرة 2019 / 2020 .

207 - فاطمة فاتح : **الشعر الجاهلي في ميزان الاستشراق الألماني – دراسة تحليلية نقدية –** رسالة دكتوراه في الأدب و اللغة العربية، كلية الآداب و اللغات و الفنون ، جامعة سيدي بلعباس – الجزائر 2015 ، 2016 .

208 - ميم نسرين لطيفة : **جهود المستشرقين في نشر التراث العربي** رسالة دكتوراه في الدراسات الاستشراقية ، جامعة سيدي بلعباس – الجزائر 2014 / 2015 .

209 - مدني زنوش و صفية حماني : **جهود المستشرقين في مجال التأليف المعجمي – رينهارت آن دوزي نموذجا –** جامعة مولود معمري – تيزي وزو – الجزائر ، 2019 / 2020 .

210 - فتح الله محمد : **الترجمات الاستشراقية للقرآن الكريم – دراسة لترجمتي ريجيس بلاشير و جاك بيرك لمعاني القرآن الكريم إلى الفرنسية** ، رسالة دكتوراه في الأدب العربي ، جامعة سيدي بلعباس – الجزائر ، 2015/2014 .

211 - هجيرة دردير ي : **قراءة بلاشير للمتنبي – دراسة نقدية –** كلية الآداب و اللغات و الفنون جامعة وهران – الجزائر ، 2008 /2009 .

سادسا : التظاهرات العلمية :

212 - أماني محمود عبد الصمد إبراهيم : **أثر المستشرقين في تكوين الرأي العام الغربي عن الفقه الإسلامي ووسائل تصحيحه** ، مؤتمر " الاستشراق ما له و ما عليه " ، ، كلية العلوم و الآداب بالرس المملكة العربية السعودية ، من 14 إلى 16 مارس 2016 .

213 - عفاف بنت حسن بن محمد مختار الهاشمي **: الاستشراق ما له و ما عليه** ، مؤتمر " الاستشراق ما له و ما عليه " ، كلية العلوم و الآداب بالرس، المملكة العربية السعودية ، من 14 إلى 16 مارس 2016 .

214 - عبد العزيز شاكر حمدان الكبيسي : **جهود المستشرقين الألمان في التصنيف في السيرة النبوية** ندوة السيرة النبوية في الكتابات الألمانية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة سيدي محمد بن عبدالله – مدينة فاس - المملكة المغربية أبريل 2007 ، ص 11 - 18

215 - فريدة أولمو : **قراءات إستشراقية في التسامح الإسلامي** ، مؤتمر " الاستشراق ما له و ما عليه " كلية العلوم و الآداب بالرس، المملكة العربية السعودية ، من 14 إلى 16 مارس 2016 .

216 - محمد سيد أحمد شحاته : **موقف المستشرقين من النصوص النبوية** ، مؤتمر " الاستشراق ما له و ما عليه " ، ، كلية العلوم و الآداب بالرس، المملكة العربية السعودية ، من 14 إلى 16 مارس 2016 .

217 - محمد الأمين بله الأمين الحاج : **مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية و تطبيقاته في السنة النبوية** ، مؤتمر " الاستشراق ما له و ما عليه " ، كلية العلوم و الآداب بالرس، المملكة العربية السعودية ، من 14 إلى 16 مارس 2016 .

218 - محمد أمين المناسية : **مناهج المستشرقين العلوم الشرعية أنموذجا"** ، مؤتمر " الاستشراق ما له و ما عليه " ، كلية العلوم و الآداب بالرس، المملكة العربية السعودية ، من 14 إلى 16 مارس 2016 .

سابعا : المطبوعات البيداغوجية :

219 - جمعي بوقفة : **الاستشراق و الدراسات القرآنية** ، مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة لغة و دراسات قرآنية ، جامعة باتنة ، 2020 – 2021 .

سحر كاظم حمزة المنصوري : **الانتحال في العصر الجاهلي عند المستشرقين** ، دروس مقدمة لطلبة السنة الأولى ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة بابل ، 2018 .

220 - لحسن رضوان : **الأدب العربي و الاستشراق** ، مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلية السنة الثالثة ليسانس دراسات أدبية – تخصص أنثروبولوجيا ، كلية الأدب العربي و الفنون ، جامعة مستغانم 2022 .

221 - موسى خابط عبود : **الاستشراق لغة و اصطلاحا** (محاضرات في الاستشراق) ، كلية التربية و العلوم الإنسانية ، جامعة بابل ، 2018 .

وافية بن مسعود : **محاضرات في مادة الأدب العربي و الاستشراق** مقدمة لطلبة السنة الثالثة تخصص دراسات أدبية .

ثامنا : مواقع الانترنت :

222 - ور محمود زناتي : **مجالات الدراسات الاستشراقية** ، شبكة الألوكة ، 2013 ، / 18 - 11 - 2021https://www.alukah.net/literature_language/12068-https://www.alukah.net/culture/0/51901/#ixzz7CaujMhD9 , 18/11/2021 .

223 - ناجي بن وقدان : **مجالات الاستشراق** ، نور الإيمان ، ديسمبر 2016 https://alimanlight.com/ar/?p=842

224 - ياسين حسين الويسي : **مالك بن نبي وموقفه من الاستشراق والمستشرقين كتابه إنتاج المستشرقين أنموذجاً**https://binbadis.net/archives/6380